الخطب المنبرية

د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

الخطب المنبرية: ج ٣/ عبد المحسن بن محمد القاسم ـ
ط ١ ـ الرياض، ١٤٣٣هـ

ص٢٥٤ : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٤ ـ ٩٢٧٣ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ الخطب الدينية ٢ ـ الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٣/١٥١٦

رقم الإيداع : ١٤٣٣/١٥١٦

ردمك : ٤ ـ ٩٢٧٣ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعـــة الأولى

١٤٣٣ هـ

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد:

فهذه «**المجموعة الثَّالثة**» من الخطب، ألقيتها في المسجد النَّبويِّ. أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها ذخراً لنا في الآخرة.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

أحبُّ عملٍ عند الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقو الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله عباده وسخَّر لهم ما في السَّموات وما في الأرض، وأسبغ عليهم نعمَه ظاهرةً وباطنة؛ ليُفردوه سبحانه بالعبادة، فبقي النَّاسُ بعد آدمَ عشرةَ قرونٍ يعبدون الله وحده، فزيَّن الشَّيطانُ لبعض خلق الله عبادةَ الأصنام، فعبدوها؛ فأرسل اللهُ الرُّسلَ وأنزل معهم الكتب؛ ليرجع النَّاسُ إلى عبادة الله وحده، ومن رأفته بخلقه: جعل فِطَرَهم موافِقةً لما خلقهم له، فكلُّ مولودٍ يولد على فطرةِ إفرادِ الله بالعبادة، وأنَّه المعبودُ وحده دون من سواه، قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

والشَّيطان يسعى لإفساد فِطَرِ الخلق؛ ليَحْرِمَ العبادَ من رضا ربِّهم عنهم، ومن النَّعيم المقيم المعدِّ لهم في جنَّات عدن، قال عليه الصَّلاة

والسَّلام: «**قال الله ﷻ: إنِّي خلقت عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتهم الشَّياطينُ؛ فاجْتَالَتْهُم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنْزِلْ به سلطاناً**» (رواه مسلم)، يدعو إبليسُ الخلقَ إلى الوقوع في أعظم ذنبٍ يُعصى اللهُ به، سئل النَّبيُّ ﷺ أيُّ الذَّنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك**» (متفق عليه)؛ فَعَبد كثيرٌ من النَّاس غير الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

ومِنْ آثار عدمِ الإيمان: أنَّ كلَّ عمل يُعمَلُ ـ وإن كان صالحاً ـ فإنَّه لا يثاب عليه؛ لفقدانِ أصل الدِّين، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! إنَّ ابنَ جُدعانَ كان في الجاهليَّة يصل الرَّحم ويُطعم المسكين، فهل ذاك نافعُه؟ قال: «**لا ينفعه، إنَّه لم يقل يوماً: ربِّ اغفر لي خطيئتي يومَ الدِّين**» (رواه مسلم).

وهذا الذَّنب سببٌ لسخطِ الله وحلولِ الذِّلة والمَسْكنة لمن فعله، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وصاحبه يتقلَّبُ في كروبٍ وهمومٍ وأحزان، قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويمنعُه من دخول الجنَّة ويُخَلِّدُه في النَّار، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولئلَّا يقعَ العبادُ في شَرَكِ الشَّيطان ويُسْخِطوا ربَّهم ويُخلَّدوا في النَّار؛ أرسل الله لكلِّ أمَّةٍ رسولاً يُحذِّرهم من دعوة الشَّيطان، ويأمُرُهم بعبادة الرَّحمن، وأنزل الكتب، ودعا إليه في أكثرِ آياتِ القرآن، وجميعُ ما في القرآن دالٌّ عليه، وأوَّلُ أَمرٍ في كتاب الله هو الأمرُ به، قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] ـ أي: وحِّدوا ربَّكم ـ، وأوَّلُ نهيٍ يتلوه قارئُ القرآنِ هو النَّهيُ عن ضدِّه ﴿فَلَا

تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لاشتمالها على التَّوحيد، وأعظم آية في كتاب الله ما اشتملت على وحدانيَّته ـ آيةُ الكرسي ـ.

ومكث النَّبيُّ ﷺ بعد بعثته يدعو إلى توحيد الله عَشْرَ سنين، لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ تتابعت عليه الشَّرائعُ فكان يدعو إليها مع التَّوحيد إلى مماته، وكان يقول في صباحه ومسائه: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كَلمةِ الإخلاص، وعلى دين نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى ملَّةِ أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين**» (رواه أحمد)، وكان يستفتح يومَه بالتَّوحيد فيقرأ في ركعتي الفجر بالكافرون والإخلاص، ويَخْتمُه به فيقرأ في الشَّفع والوتر بالكافرون والإخلاص.

ووصَّى به أمَّته، أتى أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: دلَّني على عملٍ إذا عَمِلتُه دخلتُ الجنَّة قال: «**تعبدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاةَ المكتوبة، وتؤدِّي الزَّكاةَ المفروضة، وتصومُ رمضان**» (متفق عليه)، وكان يأمر أصحابه أن يبايعوه على عبادة الله وحده، قال عوف بن مالك رضي الله عنه: كنَّا عند رسول الله ﷺ ثمَّ قال: «**أَلَا تبايعون رسولَ الله؟** قلنا: فعلام نبايعك؟! قال: **على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصَّلواتِ الخمس**» (رواه مسلم).

وإذا بَعث الدُّعاةَ إلى الأمصار: يأمرهم أن يبدؤوا بالدَّعوة إلى التَّوحيد، بعث معاذاً إلى اليمن وقال له: «**إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه: شهادةُ ألا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله**» (متفق عليه)، وإذا جاءه وَفْدٌ من الوفود علَّمهم التَّوحيد، أتاه وفد عبد القيس فقال لهم: «**أتدرون ما الإيمانُ بالله وحده؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **شهادة ألا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله. . .**» (الحديثَ رواه البخاري).

وخاف الرُّسلُ على أبنائهم اتِّباعَ الشَّيطانِ بعبادةِ الأصنام، قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والنَّبيُّ ﷺ خافه على أمَّته فقال: «**أخوف ما أخاف عليكم: الشِّركُ الأصغر، فسئل عنه؟ فقال: الرِّياء**» (رواه أحمد)، وهو من حقِّ الله على العباد، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله على العباد؟** قال: الله ورسوله أعلم، قال: **حقُّ الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» (متفق عليه).

ويقرِّبُ العبدَ من الجنَّة ويباعدُه من النَّار، جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! أخبرني بما يقرِّبني من الجنَّة ويباعدُني من النَّار؟ فنظر النَّبيُّ ﷺ في أصحابه ثمَّ قال: «**لقد وُفِّق** ـ أو **لقد هدي** ـ قال: **كيف قلت؟** قال: فأعاد، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**تعبدُ الله لا تشركُ به شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتَصِلُ الرَّحم**» (متفق عليه).

ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرة إلا به، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» (رواه أحمد)، ومَنْ كانت خاتمته على الشَّهادة دخل الجنَّة، قال ﷺ: «**من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله عند الموت؛ دخل الجنَّة**» (رواه مسلم)، ومن مات عليه دخل الجنَّةَ ونجا من النَّار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من لقي الله لا يشركُ به شيئاً؛ دخل الجنَّة، ومن لقيه يشركُ به؛ دخل النَّار**» (رواه مسلم).

وأعمال الموحِّدين تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وأعزُّ ما يملك المسلمُ هو توحيدُه لربِّه، وأهمُّ ما عليه: حفاظه عليه من البطلان، أو القوادح، أو النَّواقصِ الواردة عليه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «التَّوحيد ألطفُ شيءٍ وأنزهه، وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيءٍ يخدِشه ويدنِّسه ويؤثِّرُ فيه، فهو كأبيضِ ثوب: يؤثِّرُ فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصَّافية جداً: أدنى شيءٍ يؤثِّرُ فيها».

والله ﷻ أوحى لرسله أنَّه إنْ وقع منهم شركٌ؛ حَبطت أعمالهم، فكيف بغيرهم؟! قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولذا خاف إبراهيمُ عليه السلام من الشِّرك، فدعا ربَّه ـ وهو يبني الكعبة ـ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وإذا كان الخليل يخشى على نفسه الشِّرك فغيره أولى.

وتعليمُ الأبناءِ أصلَ دينِهم، وسؤالُهم الدَّائمُ عنه؛ هو نهج الرُّسل، يعقوبُ عليه السلام ـ وهو في نزع الرُّوح ـ يسأل أبناءه عن توحيدهم ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ونبيُّنا محمَّد ﷺ يسأل جارية صغيرة «**أين الله؟** قالت: في السَّماء» (رواه مسلم)، ومدارسةُ كتبِ الاعتقادِ السَّليمة، وملازمةُ حِلَقِ أهلِ العلم؛ من أسباب الثَّبات، قال ﷺ: «**تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلُّوا: كتاب الله وسنَّتي**» (رواه الحاكم) قال الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «أهمُّ ما عليك: معرفةُ التَّوحيد قبل معرفة العبادات كلِّها حتَّى الصَّلاة»، والدُّعاء بالثَّبات على الدِّين سبيلُ الأنبياء، قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وتعظيمُ توحيد الخالق، وإدراكُ أهمِّيَّته، والبعدُ عن الشُّبهات؛ من أسباب الهدى.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوحيد أعظم ما تزكو به النَّفس، ولا يتحقَّقُ إلا بالكفر بجميع ما يُعبَدُ من دون الله ـ وهو معنى الشَّهادة ـ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من قال: لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعبد من دون الله؛ حَرُمَ ماله ودمه، وحسابه على الله** ﷻ» (رواه مسلم)، ومَنْ حقَّق التَّوحيد: زالت كروبُه، ونال رضا ربِّه، وقُبلت أعمالُه، وضوعفت أجورُه، وكانت حياته طيِّبة، وغُفرت ذنوبُه، ودخل الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، ولا نعمةَ أعظمُ من نعمة الدِّين والثَّباتِ عليه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

حماية جناب التوحيد

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربَّه نجا، ومن أعرض عن ذكره هوى.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ العبد في كمال عبوديَّته لله، وتحقيقُ العبوديَّةِ بإخلاص العمل لله واتِّباعِ هدي رسوله ﷺ، وإذا عَمِل العبدُ عملاً لم يكن فيه مخلصاً لله؛ كان عمله هباءً، ومن أخلص فيه لله ولم يكن متَّبعاً هديَ النَّبيِّ ﷺ؛ كان العمل مردوداً عليه، وإذا كان العمل خالصاً صواباً؛ كان متقبَّلاً مشكوراً، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

والدِّين قائم على نفي وإثبات ـ لا يَصلُح إسلامُ المرء إلا بهما ـ: تبرُّؤٌ من الآلهة وأهلِها، وإثباتُ العبوديَّة لله وحده، قال عليه الصَّلاة

والسَّلام: «**من قال: لا إله إلا الله، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ من دون الله؛ حَرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على الله ﷻ**» (رواه مسلم).

وأعظمُ أمرٍ في الإسلام الأمرُ بالتَّوحيد، وأعظمُ نهيٍ فيه النَّهيُ عن ضده، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أيُّ الذَّنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله نِدّاً وقد خلقك**» (متفق عليه)، ودعوة الرُّسل متَّفقةٌ على الأمر بإفراد الله وحده بالعبادة، والتَّحذير من الشِّرك أو الوقوع في حِمَاه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن لازم عبادة الله كما أمر جلَّ وعلا؛ أَمِنَ في نفسه وماله وولده وداره، وأَمِنَ في قبره، وأَمِنَ يومَ الحشر والحساب، قال سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والتَّوحيد الحقُّ مُمَحِّصٌ للذُّنوب، ماحقٌ للخطايا، مانعٌ من ولوج النَّار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فإنَّ الله حرَّم على النَّار من قال: لا إله إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ الله**» (رواه مسلم)، ومن حقَّق التَّوحيد الواجب والمستحبَّ؛ دخل الجنَّة بغير حساب «**هم الذين لا يسْتَرْقُون، ولا يَكْتَوُون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون**» (متفق عليه).

والشِّرك وَبَالُهُ وخيمٌ، يُحبطُ العملَ ويُسْخِطُ الرَّبّ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ بل إنَّه يُوجبُ الخلودَ في النَّار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]؛ ولأن الشِّرك يوجب الهلاك في الدُّنيا والآخرة: دعا الخليلُ ـ إبراهيمُ ـ عليه السلام ربَّه أن يحفظه وأبناءه منه، قال سبحانه إخباراً عنه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال إبراهيم التَّيمي رحمه الله: «ومَنْ يأمنُ الشِّركَ على نفسه بعد إبراهيم؟!».

وخيرُ ما يدعو إليه الدَّاعيةُ: كلمةُ التَّوحيدِ وما تدلّ عليه، قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه: شهادةُ ألا إله إلا الله وأن محمَّداً رسول الله**» (متفق عليه)، ومن دعا غير الله؛ فقد ظلم نفسه ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ومن جثا عند صنمٍ أو خضع لقبرٍ؛ فقد طلب مُحالاً وحَسِب السَّراب ماءً ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]. ودعاءُ الأموات وسؤالُهم الحوائج، نداءٌ لا يُسْمعُ وكرباتٌ لا تُفْرَجُ، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

والغلوُّ في الأموات والصَّالحين؛ سببُ كفرِ بني آدم وتركِهم دينَهم، وقد حذَّر منه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما أهلك من كان قبلكم: الغلوُّ في الدِّين**» (رواه النسائي).

وشرُّ الخلق مَنْ عكف على القبور ودعاها من دون الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لأمِّ سلمة رضي الله عنها: «**أولئكِ إذا مات فيهم الرَّجلُ الصَّالحُ ـ أو العبدُ الصالح ـ بَنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئكِ شرارُ الخلق عند الله**» (متفق عليه).

والسِّحر يُطفئُ نورَ الإيمان ويهدمُ الإسلام ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وإتيانُ الكُهَّان؛ فسادٌ في الدِّين، ونقصٌ في العقل، قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال ﷺ: «**من أتى كاهناً، أو عرَّافاً، فسأله عن شيء فصدَّقه؛ فقد كفر بما أُنْزِل على محمَّد ﷺ**» (رواه أحمد).

والتَّمائم ـ من الحِلَق والخيوطِ والأَصْدافِ ونحوِها ـ لا تزيد لابسَها إلا وهناً وضعفاً، رأى النَّبيُّ ﷺ رجلاً في يده حَلْقةً من صُفْرٍ فقال: «**ما هذه؟! قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنَّها لا تزيدك إلا وهناً، فإنَّك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً**» (رواه أحمد)، ولُبْسُ التَّمائم؛ شركٌ بالله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من علّق تميمة؛ فقد أشرك**» (رواه أحمد)، ومن علّق شيئاً؛ وَكَله الله إلى ذلك المعلَّق ثم يهْلِك، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من تعلّق شيئاً؛ وُكِلَ إليه**» (رواه أحمد والترمذي).

والأشجارُ والأحجارُ لا تُرتجى البركةُ منهما ولا بهما، وإنَّما هي من مخلوقات الله لا تضرُّ ولا تنفع. وإراقةُ الدِّماء بالقُربان لا يكون إلا لله، وَمَنْ ذبح لغير الله؛ وقع في أَوْحَالِ الشِّرك، وفي الحديث: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» (رواه مسلم).

والنَّذر عبادةٌ لا يُصرفُ لغير الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من نذر أن يطيعَ الله فليطعْه، ومن نذر أن يعصيَه فلا يَعْصِه**» (رواه البخاري). ومن استعاذ بالله أعاذه، ومن لجأ إلى غيره خذله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق؛ لم يضرَّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» (رواه مسلم).

وإذا حلّت بك نوائبُ الدَّهر وكروبُ الزَّمان؛ فلا تستغثْ بغير الله، ولا تدعُ غيره، ولا تخضعْ لميِّتٍ في قبره أو رُفاتٍ في لَحْده، وارْفَعْ مبتغاك إلى مَنْ في السَّماء، فهو الذي يجيب الدُّعاء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وإذا أصابتك مصيبة؛ فقابِلْها بالرِّضا والتَّسليم، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة رحمه الله: «هو الرَّجل تصيبه المصيبةُ فيعلمُ أنَّها من عند الله؛ فيرضى ويسلِّم»، ولا تسخط من المكتوب، فالسَّخَط لا يزيله. واحذر النَّدمَ على قلَّة الحذر قبل وقوع

القَدَر بكلمةِ «لو»؛ فإنَّها من الشَّيطان، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تَعْجَزْ، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أنِّي فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل؛ فإنَّ لو تفتح عمل الشَّيطان**» (رواه مسلم). وفوِّض أمورك إلى الله؛ فلن يأتيَك من الدُّنيا إلا ما قُسِم لك منها ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، والاعتماد على الأسباب بالقلب والجوارح؛ قدحٌ في التَّوحيد، وتعطيلُ السَّبب عجزٌ، والواجبُ فعلُ الأسباب المباحة مع تعلّق القلب بالله. وبالتَّوكُّل عليه سبحانه يتيسَّرُ العسير، وتُبسطُ الأرزاق، وتُفْرَجُ الكروب.

والأمن من مكر الله غرورٌ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، واليأس من روح الله؛ قنوطٌ ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، والجمع بين الرَّجاء والخوف مع المحبَّة؛ سبيل الاعتدال.

والشِّرك له أبوابٌ خفيَّة، يسعى الشَّيطانُ جاهداً أن يَلِجَ منها الصَّالحون، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أخوف ما أخاف عليكم: الشِّركُ الأصغر**، فسُئل عنه؟ فقال: **الرِّياء**» (رواه أحمد). والرِّياء داء العاملين يُفْسِدُ العمل وَيُغْضِبُ الرَّبَّ، وهو أخوف على الصَّالحين من المسيح الدَّجَّال، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَلَا أُخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟** قالوا: بلى، قال: **الشِّركُ الخفيّ ـ يقوم الرَّجل فيصلِّي، فيزيِّنُ صلاته لما يرى من نظر الرَّجل إليه ـ**» (رواه ابن ماجه).

والعمل الصَّالح يُرتجى به ثواب الله وحده، لا يُراد به زخرفُ الدُّنيا، ومن صرف قلبه بعمله الصَّالح إلى زينة الحياة؛ حَبِط عملُه وخسر في آخرته، قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ

أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ولا أحدَ أحبُّ عند المسلم من الله، ولا أجلَّ في قلبه منه تعالى، فهو العظيم في فؤاده، والكبير في نفسه، والصَّادق في محبَّة الله لا يحلف إلا به وحده، والحلف بغيره سبحانه ـ كالكعبة والنَّبيِّ، والأمانة والوليّ ـ؛ شركٌ بالله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك**» (رواه الترمذي).

والإكثار من الحلف بالله ـ ولو كنت صادقاً ـ؛ منافٍ لتعظيم الله في الصُّدور، فاحفظ يمينك ولو في صدقك، قال سبحانه: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩]، واحذرها في كذبك فهي الغموس، ومن تعظيم الله: الرِّضا بمن حَلَف به سبحانه ـ ولو كان المستمعُ يعلم كذبَ الحالف ـ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليَصْدُق، ومن حُلِف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله**» (رواه ابن ماجه).

ومن إجلال الله: ألا تَرُدَّ من سأل به سبحانه، قال ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه**» (رواه أبو داود).
وذمُّ الدَّهر وتقلُّبِ أحواله من حَرٍّ أو قَرٍّ؛ أذيةٌ لربِّ العالمين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال ﷻ: يؤذيني ابنُ آدم يسبُّ الدَّهر وأنا الدَّهر، بيدي الأمر، أقلِّب اللَّيل والنَّهار**» (رواه البخاري).

ولأجل الدِّين؛ قامت السَّمواتُ والأرض، والسُّخرية به أو بأحكامه أو أهلِه؛ تُخرِجُ المرءَ من الإسلام، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ * لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ولا تظنَّ بالله ظنَّ السَّوءِ ـ من استحقاقك أكثرَ ممَّا أُعطيت، أو احتقارِ نعمةٍ في يد غيرك منحها الله إياه ـ؛ فذاك ظنّ الجاهلية، فكلُّ ما

في الكون بأمر الله وحكمته ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والتَّصوير من كبائر الذُّنوب، وصاحبه متوعَّد بالنَّار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلُّ مصوِّرٍ في النَّار**» (متفق عليه). واقدُرْ ربَّك حقَّ قدره؛ فهو العظيم في ملكه، المستوي على عرشه، الحكيم في تشريعاته، وحافظ على ما افترضه عليك من الصَّلوات المكتوبة في وقتها، وإيَّاك والتَّفريطَ فيها، فإنَّها عمود الدِّين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلاة، فمن تركها؛ فقد كفر**» (رواه الترمذي)، ومن توجَّه إلى ربِّه في جميع أحواله؛ صلُحت أعمالُه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الدِّين أَنْفسُ ما تملك؛ فاحفظ دينك بالبعد عن الفتن، فإنَّها تأخذ بالقلوب، وتجلب الشُّبهاتِ والشُّرور، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ومن اسْتَشْرَفَ إليها** ـ أي: تَطَلَّعَ إليها ـ **أخذته**» (رواه البخاري). وغضُّ البصر عن النِّساء المحرَّمات؛ زكاةٌ للنَّفس، وطاعةٌ لله، ورفعةٌ في الدَّرجات، قال جلَّ وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وحِلْيَةُ المرأةِ في سترها، وجمالُها في حجابها، وزينتُها بتمسُّكها بدينها، ونساء الصَّحابة مِثالٌ يحتذى بهنَّ في الحجاب والسِّتر والحياء، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وسماع الأغاني؛ من المعاصي التي تُظلم القلب، وتصدُّ عن سماع القرآن، قال ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ أقوامٌ من أمَّتي، يستحلُّون الحِرَ** ـ أي: الزِّنا ـ

والحريرَ والخمرَ والمعازف» (رواه البخاري)، وخير ما يسمعه العبدُ كلامُ ربِّ العالمين، فيه النُّور والهدى والشِّفاء.

والمال الحلال؛ صلاحٌ للدِّين، وقوَّةٌ في البدن، وهدايةٌ للأولاد، وبركةٌ في العطاء، وسببٌ في إجابة الدُّعاء، واقتداءٌ بالأنبياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، والمال الحرام؛ ممحوقُ البركة، كثير الضَّرر، صاحبه طويلُ النَّدم، مردودُ الدُّعاء.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

نعمةٌ جميعُ الخلق يتمنَّاها
(الهداية)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

يفتح الله على عباده نعماً متواليةً عليهم باللَّيل والنَّهار، يَنالُ بفضله بعضُ عباده شيئاً منها، ويُحْرَمُ بحكمته وعدله منها آخرون، ونعمةٌ من نالها فهو السَّعيد، ومن فقدها توالت عليه الحسرات، والله يصطفي من يشاء من عباده لها ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]، ولا يمنحها إلا لمن يحب، لا ينفع في حصولها نسب؛ فَمَنَعَ منها أبا لهبٍ القرشي، ووهبها لبلالٍ الحبشي، ولا يُجدي في نوالها مال؛ حُرم منها قارونُ ـ ذو الكنوز ـ، وَوَفَّق لها أبا هريرة ـ الذي يسقط في الطُّرقات من الجوع ـ، ولا يُدني منها حسب؛ فأُبعد عنها فرعون، ومنَّ بها على جارية صغيرة سألها النَّبيُّ ﷺ: «**أين اللهُ؟** قالت: في السَّماء» (رواه مسلم)، والله سبحانه جعل هذه النِّعمة بيده وحده ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وأنزل الكتب السَّماوية من أجلها،

قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

والرُّسل دَعَوْا ربَّهم أن يديمَها عليهم، فقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [النمل: ١٩]، وأمر اللهُ جميعَ الرُّسلِ بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وسأل الأنبياء ربَّهم أن يمنحها لذريَّاتهم، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، وقال زكريَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وكلُّ مصلٍّ يدعو ربَّه في كلِّ ركعة من صلواته أن يكون من أهلها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

والشَّابُّ الذي نشأ في طاعة الله؛ يظلُّه الله تحت ظلِّ عرشه، والمرأة تتميَّز عن غيرها بالدِّين «**فاظفر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك**» (متفق عليه)، ولا نجاة من الهلاك إلا بالصَّلاح والإصلاح، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ومِنْ حِكَم البعث والنُّشور: مجازاةُ الصَّالحين على ما قدَّموا، قال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤]، وأوَّلُ كلامِ أهلِ الجنَّةِ إذا دخلوا الجنَّةَ؛ شكرُ اللهِ سبحانه على نعمة الهداية ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والصَّالحون هم خير الخلق عند الله، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيّنة: ٧] ـ أي: خير الخلق ـ، والملائكة تدعو لمن استقام على هذا الدِّين، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، وكلُّ مصلٍّ يدعو في تشهُّده لكلِّ صالحٍ بالسَّلامة من الآفات

والشُّرور، يقول: «السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين»، قال النَّبيُّ ﷺ: «**فإذا قالها أصابت كلَّ عبدٍ لله صالحٍ في السَّماء والأرض**» (متفق عليه).

والله يتولَّى عبدَه الصَّالحَ ويحفظُه، ويكتُبُ له المحبَّةَ في الأرض وفي السَّماء، وحياته في الدُّنيا طيِّبة، ورزقُه بفضل الله مُيسَّر، ورحمةُ الله تتنزَّل عليه، قال جلَّ شأنه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [الجاثية: ٣٠]، وصلاح العبد قد يصل نفعُه إلى ذريَّته، كما قال سبحانه عن اليَتِيمَيْن: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ الكهف: ٨٢]، وصلاح الأبناء يَنال الآباء، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه؛ إلا من ثلاث** ـ وذكر منها ـ: **أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**» (رواه مسلم)، والصَّالح موعودٌ بالمغفرة والأجر الحسن وبجنَّات النَّعيم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قال الله ﷻ: أعددتُّ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلبِ بشر**» (متفق عليه).

وبعد: أيُّها المسلمون:

فالتَّمسُّك بالدِّين؛ وصيَّةُ الله لرسوله ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وفي زمن الفتن وكثرةِ الشُّبهات والشَّهوات؛ يظهر أثر الصَّلاح في السَّلامة منها.

ومَنْ مَنَّ الله عليه بصلاح نفسه؛ فعليه أن يدعوَ الآخرين إلى هذا الخير العظيم، وأعظم ما يُدعى إليه توحيدُ الله سبحانه، إذْ لا صلاح لعبدٍ إلا به، سُئل النَّبيُّ ﷺ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**إيمانٌ بالله**» (متفق عليه)، وعمارة المساجد بالصَّلاة وتلاوةِ القرآن وكثرةِ الذِّكر ولزوم حِلَق العلم فيها؛ من أسباب الإعانة على الهداية ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، ودعاءُ اللهِ سبحانه

وطلبُ الهداية منه؛ من أقوى الأسباب في حصولها، والصُّحبةُ الصَّالحةُ خيرُ مُعين على الطَّاعات، وتدبُّر سيرِ الأنبياء يحدو بالقلب إلى الآخرة، ومن تمسَّك بدينه؛ زاده الله من الهدى والتُّقى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمَّد: ١٧].

وشرط قبول العمل الصَّالح: الإخلاصُ لله فيه، وأن يكون موافقاً لهدي النَّبيِّ ﷺ، وعلى هذا النَّهج القويم سار الصَّحابةُ والتَّابعون، متمسِّكين بقوله عليه الصَّلاة السَّلام: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ**» (رواه مسلم)، ومن لم يكن عملُه خالصاً صواباً؛ فإنَّ عمله يضمحلّ، والمسلم يحبُّ ربَّه فيفردُ عباداتِهِ كلَّها له، ويحبُّ نبيَّه فيطيعُ أمرَه ولا يزيد على شرعه شيئاً، موقناً بأنَّ محبَّة الله ومحبَّةَ رسولِه ﷺ هي من طاعته، كما قال سبحانه: ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وصلاح المجتمع باستقامة الرِّجال والنِّساء فيه على دين الله، ومن صلاح المرأة: سترُها، وعفافُها، وقنوتُها لربِّها، ولزومُ حجابها؛ فهو عبادةٌ من أجلِّ العبادات لها، والله سبحانه تولَّى شأنَ المرأة؛ لتبقى مصونةً محفوظة، فقال عن حديثها: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال مرشداً لها في مِشْيَتِها: ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ [النور: ٣١]، وأَمَرَها بعدم إبداء زينتها كما أمرها بستر وجهها، فقال: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور: ٣١]، ونهى الرِّجال عن النَّظر إليها، فقال: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ [النور: ٣٠].

فالتَّمسُّك بالدِّين؛ طريقُ الجنَّة والحياةِ الطَّيِّبة، والأخذُ بسنَّة النَّبيِّ ﷺ والعضُّ عليها بالنَّواجذ؛ سبيلُ الفائزين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

يَصْلُح العملُ ويُرْفعُ إلى الله بالإخلاص والمتابعة، وإذا استقامت النَّفس على دين الله فثناء المرء على نفسه بالصَّلاح مذموم، قال سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، والمؤمن لا يَرى عملَه الصَّالحَ كثيراً؛ بل يَسْتَقِلُّه؛ لأنَّ نعمَ الله عليه أجلُّ وأعظم، والنَّبيُّ ﷺ كان يقوم من اللَّيلِ حتى تتفطَّر قدماه، ويقول: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً؟!**» (متفق عليه)، فاجتهدوا في امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، والبعدِ عن الشُّبهات.

ثمَّ اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عظمة الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

أوجد الله العباد من العدم، وأمدَّهم بالنِّعم، وكشف عنهم الكروب والخطوب، والفطر السَّليمةُ تحبُّ من أنعمَ وأحسنَ إليها، وحاجة النُّفوس إلى معرفة ربِّها أعظمُ من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب والنَّفَس، ولا سعادة في الدُّنيا والآخرة إلا بمعرفة الله ومحبته وعبادته، وأعرفُ النَّاس به أشدُّهم له تعظيماً وإيماناً. وعبوديَّة القلب أعظمُ من عبوديَّة الجوارح وأكثرُ وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، وأعمال الجوارح لإصلاح القلب، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله يُنزِل العبد من نفسه حيث يُنزله العبدُ من نفسه». وإذا عرف المخلوق ربَّه؛ اطمأنَّت إليه نفسُه وسكن إليه قلبُه، ومن كان بالله وصفاته أعلم؛ كان توكُّله أصحَّ وأقوى، وأكملُ

النَّاس عبوديَّة المعظِّمُ لله، المتعبِّدُ له بجميع أسمائه وصفاته.

والله سبحانه له من الأسماء أحسنها ـ وأسماؤه مدح وتمجيد ـ، وله من الصفات أعلاها ـ وصفاته صفات كمال ـ، كان النَّبيُّ ﷺ يقول في ركوعه: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**» (رواه النسائي)، له الكمال المطلق في كلِّ شيء، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» (رواه مسلم). وجميع من في السَّموات ومن في الأرض ينزِّهون الله عن كلِّ عيب ونقص، قال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، وكلُّهم يسجد له، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

له سبحانه الخلق والأمر وحده، أتقن ما صنع، وأبدع ما خلق، وقدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنة، والحُكم حُكمُه ولا يشْرَكُه في ذلك أحد، لا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه. حيٌّ لا يموت، جميع الخلق تحت قهره وقبضته، يُميتهم ويُحييهم، ويُضحكهم ويُبكيهم، ويُغنيهم ويُفقرهم، ويُصوِّرهم في الأرحام كيف شاء.

ما من دابَّةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها يدبِّرها كيف شاء، وقلوب العباد بين أصبعيه يقلبها كيف شاء، ونواصيهم بيده، وأَزِمَّة الأمور معقودةٌ بقضائه وقدره. لا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، لو أنَّ الأمَّة اجتمعت لتضرّ أحداً واللهُ لم يكتب ذلك؛ لم يضرَّه أحد، ولو اجتمعوا على نفعه واللهُ لم يرد ذلك؛ لم ينفعه أحد، لا رادَّ لعذابه إن نزل، ولا رافع له إن حل سواه. يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، لا يُسأل عمَّا يفعل والخلق يُسألون، قائمٌ بنفسه، مستغنٍ عن خلقه، ومهمينٌ عليهم جميعاً، مفاتيح الغيب عنده لا يعلمها إلا هو، وأخفى علمها حتى عن الملائكة؛ فلا

يعلمون من سيموت غداً أو ما سيحدث في الكون قبل أن يكون.

ملِكٌ يدبِّر أمر عبادِه، يأمر وينهى، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، أوامره متعاقبة على تعاقب الأوقات، نافذة بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ومن جملة شؤونه: أن يفرِّج كرباً، ويَجْبُرَ كسراً، ويغنيَ فقيراً، ويجيبَ دعوة، قال عن نفسه: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

عِلْمُه وسع كلَّ شيء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، لا تتحرَّك ذرَّة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، لا تخفى عليه خافية، استوى عنده السِّرُّ والعلانية قال سبحانه: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرّعد: ١٠]، يسمع أصوات المخلوقين وهو على عرشه، قالت عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النَّبيِّ ﷺ تكلِّمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]» (رواه أحمد)، وأفعال العباد في ظلمة اللَّيل البهيم لا تخفى عليه قال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]، يرى وهو فوق سمواته دبيب النَّملة السَّوداء، على الصَّخرة الصَّمَّاء، في اللَّيلة الظَّلماء.

خزائنُه مَلْآى في السَّموات والأرض، ويداه مبسوطتان بالسَّخاء، سحَّاءُ اللَّيل والنَّهار، ينفق كيف يشاء، كثير العطاء، واسع الجود، يعطي قبل السُّؤال وبعده، و«**ينزل إلى السَّماء الدُّنيا كلَّ ليلة في الثُّلث الأخير من اللَّيل، ويقول: من يسألني فأعطيه؟...**»، ومن لم يسأله يغضب عليه. وأبواب عطائه فتحها لخلقه؛ فسخَّر بحاراً، وأجرى أنهاراً، وأدرَّ

أرزاقاً. ساق للخلق أرزاقهم؛ فرزق النَّمل في قرار الأرض، والطَّير في الهواء، والحيتان في الماء ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. ورزقه وسع الجميع؛ فساق إلى الجنين رزقه وهو في رحم أمِّه، وإلى الجَلَد القوي في ملكه.

كريمٌ يحبُّ العطاء والكرم، إذا سئل أعطى، وإذا رفعت إلى غيره حاجة لا يرضى، وكلُّ خير فهو منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣]. رزقه لا ينفد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أرأيتم ما أنفق مذ خلق السَّماء والأرض، فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينه**» (رواه مسلم)، ولو سأله العباد جميعاً فأعطاهم ما سألوه؛ لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قال الله ﷻ: يا عبادي! لو أنَّ أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني؛ فأعطيت كلَّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممَّا عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَط إذا أُدخل البحر**» (رواه مسلم).

والثَّواب على العمل يضاعفه، الحسنة عنده بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والقليل من زمن الطَّاعة يُكثِّره؛ فليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، وصيام ثلاثة أيَّام من كلِّ شهر كصيام الدَّهر، وإذا أنفق العبد مالاً ابتغاء وجهه؛ ردَّه له أضعافاً مضاعفة، ويزيد في السَّخاء فوق المنى؛ فأعطى أهل الجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، وإذا ترك العبد شيئاً من أجله؛ عوَّضه خيراً منه.

غنيٌّ عن جميع خلقه، وكلُّ شيء مفتقر إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، لا يبلغ العبادُ نفعَه فينفعوه، ولا ضُرَّه فيضرُّوه، عليٌّ كبير، الكرسيُّ موضعُ قدميه سبحانه، وقد وسع الكرسيُّ السَّمواتِ والأرض، والسَّموات السَّبع في الكرسيِّ كدراهمَ سبعةٍ ألقيت في تُرْس، والكرسيُّ في العرش كحلقة من حديد

أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض، وعرشه أعظم مخلوقاته، وتحت العرش بحر، ويحمل العرشَ ملائكةٌ ما بين شحمة أُذن أحدهم إلى عاتقه مسيرةُ سبع مئة عام، وربُّنا مستوٍ على عرشه ـ كما يليق بجلاله وعظمته ـ، وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه.

محيطٌ بكلِّ شيء ولا يحيط به شيء، ويدركُ الأبصارَ والأبصارُ لا تدركه، وقدرته شملت جميع مخلوقاته وهي ضعيفة عنده وإن كبرت في أعين المخلوقين، فالسَّموات يطويها سبحانه يوم القيامة ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى ثم يقول: «**أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثمَّ يطوي الأرضين بشماله، ثمَّ يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟**» (رواه مسلم)، ويجعل السَّموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشَّجر على إصبع، والماء والثَّرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثمَّ يهزُّهن، ثم يقول: «**أنا الملك، أنا الملك**» (متفق عليه)، وإذا تكلَّم بالوحي أخذت السَّمواتِ منه رجفةٌ وصعق أهل السَّماء، وأول من يفيق جبريل، والسَّمواتِ تخشاه، قال ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الشورى: ٥] قال الضَّحَّاك رَحِمَهُ اللهُ: «أي: يتشقَّقن فَرَقاً من عظمة الله ـ أي: خوفاً منه ـ».

قيُّومٌ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَعُ إليه عملُ اللَّيل قبل عمل النَّهار، وعملُ النَّهار قبل عمل اللَّيل، «**حجابه النُّور، لو كشفه لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» (رواه مسلم)، الأَمر يدبِّره مِن السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ في يَوْمٍ كَانَ مقداره أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧].

قويٌّ لا يعجزه شيء إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وأمْرُه كَلَمْحِ

البصر بل هو أقرب، وله جنودٌ لا يعلمها أحد سواه، قَلَبَ قرى قومِ لوطٍ وجعل عاليها سافلها، ولما امتنع بنو إسرائيل عن قبول ما في التَّوراة رفع جبلاً فوق رؤوسهم كأنَّه ظُلَّة وظنُّوا أنَّه واقعٌ بهم، وتجلَّى سبحانه لجبل فجعله دكّاً، ولما رأى موسى ذلك خرَّ صعقاً. والأرض إذا انقضى الدَّهر يرجُّها رجّاً، ويدكّها دكّاً، وينسف الجبال نسفاً. وبنفخة واحدة في الصُّور ينفخ فيه إسرافيل يفزع الخلق، وبنفخة أخرى يصعقون، وبثالثة يقومون للحشر. وإذا نزل سبحانه لفصل القضاء؛ تشقَّقت السَّماء لنزوله تعظيماً له وخشية.

والله سبحانه فوق ما يصفه الواصفون، ويمدحه المادحون، لا نِدَّ له ولا نظير، ولا شبيه ولا مثيل، عَرَفَ الرُّسلُ ربَّهم فأكثروا له التَّذلُّل والتَّعبُّد والخضوع؛ فكان داود عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً، ونبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم يقوم اللَّيل حتى تتفطَّر قدماه، وإبراهيم عليه السلام أوَّاه لرِّبه منيب، ومن سلك نهج الأنبياء؛ نال السَّعادة والرَّخاء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيها المسلمون:

لا أحدَ أحبُّ إليه المدح من الله، ولذا أثنى على نفسه، وأصل التَّفاضل بين النَّاس إنَّما هو بمعرفة الله ومحبته والثَّناء عليه، ومن عرف الله وقلبُه سليم؛ أحبَّه وعظَّمه، وكلَّما ازداد له معرفةً ازداد له طاعة، والذُّنوب تُضْعِف تعظيمَ الله ووقاره، ولو تمكَّن وقارُ الله وعظمتُه في قلب العبد ما تجرَّأ أحد على معاصيه، وكلُّ معصية فمن الجهل بالله، وإجلال الله يَعْظُم بالطَّاعات، وأعظم عبادة يتقرب بها العبد من ربه؛ هي إفراده بالعبادة، فلا يُسألُ إلا هو، ولا يستغاثُ إلا به، ولا تُصرف أي عبادة إلا له وحده. ومن عبد مع الله غيره؛ فما قدر الله حقَّ قدره، وظلم نفسه بالوقوع في الشرك، ومن هداه الله لتعظيم الرَّبِّ وإفراده بالعبادة؛ وجب عليه أن يدعوَ غيرَه إلى توحيد الله وتعظيمه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عِظَـم خَلْق السَّماء

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّـا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربَّه علا، ومن اتَّبع هواه هوى.

أيُّـها المسلمون:

خلق الله الخلق وأتقنه، ودعا عباده إلى التَّفكُّر فيما خَلَق ﴿**أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ**﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وخير ما أُنفقت فيه الأنفاس: التَّفكُّرُ في آيات الله وعجائبِ صنعه، وإذا نظر العبد إلى الآيات بالبصر؛ انفتحت بصيرةُ القلب وعُظِّم الخالق وزاد الإيمان، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تفكُّرُ ساعة، خيرٌ من عبادة ليلة».

وقد أثنى الله على المتفكِّرين في خَلْقِه فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وذمّ من لم يتفكَّرْ في خَلْقِ الله،

قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، واللهُ خلق الإنسان وأَمَرَه بالتَّأمُّل في نفسه، فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، وخَلَق النَّبات وقال: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وخَلَق ما هو أكبر من ذلك وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وكان النَّبيُّ ﷺ كثيراً ما ينظر إلى السَّماء متأمِّلاً فيها، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السَّماء» (رواه مسلم).

خَلْقُها عظيمٌ، صورتها لا تتغيَّرُ أينما حَلَلْت، بناها الله بقوَّة وأوسعها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، خلقها على غير مثالٍ سابقٍ في اتِّساعها وارتفاعها ولا عمد لها، وأبدع خلقها ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وحَمِد نفسه سبحانه عند ذكر خَلْقِها فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

خَلَقَها بعد الأرض في يومين ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، وجعلها سبعَ سموات طباقاً ـ طبقةً بعد طبقة ـ، قال ابن كثير رحمه الله: «كلُّ سماء أوسعُ من التي تحتها، لا صَدْعَ فيها ولا شقَّ، ولا أَمْتَ ولا عِوَج»، مستويةٌ معتدلة، لو نظر البصر إليها حتى يملَّ ويكلَّ ما اطَّلع على نقصٍ فيها أو عيب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك: ٣، ٤]، قَلَّ أن تجيء سورةٌ في القرآن إلا وفيها ذكرها.

في خَلْقها برهانٌ على وحدانيَّة الله وقوَّته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٢]، خَلْقُهَا أكبرُ من خلق النَّاس، قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] قال ابن القيِّم رحمه الله: «خَلْقُ السَّمواتِ أعجبُ من بدن الإنسان؛ بل لا نسبةَ لجميع ما في الأرض إلى عجائبِ السَّموات

والأرضِ والبحارِ والهواء، وكل ما تحت السَّمواتِ بالإضافة إلى السَّمواتِ كقطرةٍ في بحر».

خلقها الله بالغةَ الحُسْن مرتفعة، شفَّافةً صفيقة، شديدةَ البناء، متَّسعةَ الأرجاء، مكلَّلةً بالنُّجوم، موشّحةً بالشَّمس والقمر والكواكب، لونها لا تَملُّه الأبصار، وما فيها من الكواكب والعجائب، تتقاصر عقولُ البشر عن قليلها.

لم يُقْسِمْ تعالى في كتابه بشيءٍ من مخلوقاته أكثرَ من السَّماء وما فيها من النُّجوم والشَّمس والقمر، أقسم بها وبمن بناها فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، وأقسم بنجومها وأخبر أنَّه قَسَمٌ عظيم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦]، وأقسم بجمالها وحُسْنها ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] ـ أي: الجمال والحسن ـ.

وتأمَّلْ خلقَ هذا السَّقفِ العظيمِ مع صلابته وشدَّته وجماله وما فيه من العجائب، خلقه الله من دخان ـ وهو بخار الماء ـ قال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، بروجُها حليتُها، ونجومُها زينتُها وحفظُها ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، لها أبوابٌ لا يدخل أحدٌ في السَّماء إلا من أبوابها وبعد الإذنِ له، محروسةٌ بِحَرَسٍ شديدٍ من الملائكة والشُّهب ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، وصانها الله عن قرب الشَّياطين منها ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]، لا معصيةَ فيها، استكبر إبليس، وعصى آدمُ ربَّه فيها؛ فأُهبط الجميع إلى الأرض ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨].

والله قويٌّ متعالٍ، أمسكها مع عِظَمِهَا وعِظَمِ ما فيها من الزَّوال، وثبَّتها من غير مُمْسِكٍ لها مِنْ فوقِها ولا مِنْ تحتِها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]، السَّماءُ أكبر من الأرض، وبقدرته سبحانه أمسكها من الوقوع عليها ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥]، وتكاد تنفطر من عِظَم ذنب الشِّرك بالله، قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ❁ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ❁ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ❁ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١]، مسبِّحةٌ لله مقدِّسة، منزِّهة له عن الشَّريك والأنداد، قال جلَّ وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ممتثلة أمر الله مطيعة له ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وعرش الرَّحمن فوقها، والله مستوٍ على عرشه ـ كما يليق بجلاله وعظمته ـ، رقيبٌ على خلقه، مطَّلعٌ عليهم، يدبِّر الأمر من السَّماء إلى الأرض.

في السَّماء بيتٌ معمور، يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخرَ ما عليهم (رواه مسلم)، وفي السَّماء ملائكة لا يحصي عددَهم إلا من خلقهم، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]، وكلُّ ما فيها قانتٌ لله حامد، ساجدٌ له سائل ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وجميع ما فيها من حركةٍ أو سكونٍ، مكتوب عند الله ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥].

عَظُمَت السَّماءُ وعَظُم ساكنوها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أُذِن لي أن أُحدِّثَ عن مَلَك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شَحْمةِ أُذنه إلى عاتقه مسيرةَ سبع مئة عام**» (رواه أبو داود)، ومع عظم خلقهم فإنَّهم يخشون ربَّهم أشدَّ الخشية، و«**إذا قضى الله الأمر في السَّماء وتكلَّم بالوحي، ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَاناً لقوله**»، ويسبِّحونه إذا تكلَّم ﷻ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وإذا قضى أمراً سَبَّح حملةُ العرش، ثمَّ سبَّح أهل السَّماء**

الذين يلونهم، حتى يبلغَ التَّسبيحُ أهلَ هذه السَّماءِ الدُّنيا» (رواه مسلم).

وأهلُ السَّماء يحبُّون الرَّجل الصَّالح، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا أَحَبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ: إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيحبُّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السَّماء، إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السَّماء، ثمَّ يوضعُ له القبولُ في الأرض**» (متفق عليه)، وفي غزوة بدر نزل مَدَدٌ من ملائكة السَّماء الثَّالثة قاتلوا مع المؤمنين (رواه مسلم).

وفي السَّماء خزائنُ وأرزاقُ العباد، وما في الأرض أسباب له ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذرايات: ٢٢]، كان الحسن البصري رحمه الله إذا رأى السَّحاب قال: «في هذا واللهِ رزقُكم، ولكنَّكم تُحْرَمُونه بخطاياكم وذنوبكم». ماؤها عذب طهور مبارك، إنْ نَزَلَ على الأرض جَمَّلها وزيَّنها ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٥]، ومنها نزل الوحي فاستنارت الأرض بنور الهدى، والنَّبيُّ ﷺ أمينُ الشَّرع فيها فلا يزاد بعده بغلوٍّ أو ابتداع، أو قدحٍ أو تفريطٍ، فقد كُفي النَّاسُ التَّشريع، ولم يؤمروا بسوى الاتِّباع والتَّسليم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَلَا تأتمنونني وأنا أمينُ من في السَّماء، يأتيني خبرُ السَّماء صباحاً ومساءً؟!**» (رواه البخاري). وفي كلِّ ليلة ينزل ربُّنا إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثلث اللَّيل الآخر فيقول: «**من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيَه؟ من يستغفرني فأغفرَ له؟**» (متفق عليه).

والأمر لله من قبلُ ومن بعدُ، جَعَلَ النُّجوم أَمَنَةً للسَّماء من الزَّوال، وإذا انقضى أَمَدُ العمل في الحياة، أذن الله بزوال ما في الدُّنيا، ويفسُدُ الكونُ إيذاناً بالانتقال إلى دار القرار، فتُفجَّرُ البحارُ وتتأجَّجُ ناراً، وتُكوَّرُ الشَّمسُ، ويَخسِف القمر، وتُسيَّر الجبال، وتَنتثر الكواكب فتضعُفُ السَّماءُ وتنشقُّ وتطوى، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا ذهبت النُّجومُ أتى السَّماءَ ما توعد**» (رواه مسلم) قال النَّووي رحمه الله: «النُّجوم ما دامت باقيةً؛

فالسَّماءُ باقيةٌ، فإذا انكدرت النُّجومُ وتناثرت في القيامة، وهَنَت السَّماءُ فانفطرت، وانشقَّتْ وذهبت»، فتتحرَّك السَّمواتُ يوم القيامة، وتنشقُّ وتنفرِج وتضعُف، قال سبحانه: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، وتُكشطُ وتكون وردة كالدِّهان ـ أي: تذوب وتتلوَّن كما تتلوَّن الأصباغ التي يُدَّهن بها من شدَّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم ـ، وتَتبدَّل وتتغيَّر، قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ويطويها الجَبَّارُ كما يُطوى سجلُّ الكتاب، ويأخذها بيده اليمنى ويقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبِّرون؟ ويجعلها على أصبع.

فتأمَّلوا ما خلق الله، وعظِّموا الخالق ووحِّدوه، وأقبلوا عليه بالخشية منه وفعلِ الطَّاعات، واحْذَروا الغفلةَ وفِعْلَ الخطيئات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

التَّفكُّر في خلق الله سببُ الهدى والفلاح، قال وهب بن منبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما طال تفكُّرُ امرئ قطُّ إلا فَهِم، ولا فَهِم إلا علم»، وكان السَّلف ـ رحمهم الله ـ يُحيُون تلك العبادة في أحوالهم، قال أبو سليمان الدَّارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنِّي لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء، إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة».

وإذا تأمَّلت ما أمر الله عباده بالتَّفكُّر فيه؛ هداك إلى العلم به سبحانه وبوحدانيَّته، وصفاتِ كماله ونعوتِ جلاله، وعمومِ قدرتِه وعلمِه، وكمالِ حِكمَتِه ورحمَتِه وإحسانِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عجائب الأرض

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً .

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

تفرَّد الله وحده بالخلق والتَّدبير، وأودع في مخلوقاته من عجائب صنعه وعظيم فعله؛ فشهدت له مخلوقاته بالرُّبوبيَّة، وأقرَّ من نوَّر الله قلبَه له بالوحدانيَّة، وآيةٌ من آيات الله يراها الصَّغير والكبير، ويشعُرُ بها الأعمى والبصير، والأصمُّ والسَّميع، يتقلَّب الخلقُ عليها ثمَّ يودَعُون فيها، خَلَقها فأبدعها، وحمد نفسه لمَّا فرغ من خلقها فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وأقسم بها فقال: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦]، وبأجزاءَ منها ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، خلقها من غير مثالٍ سابقٍ لها، وبنوره استنارت ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وتحدَّى الخلق أن يخلقوا مثلها ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠]، وهي أكبر من خلق النَّاس، ولعظم خلقها؛ أقرَّ الكفَّار

بأنَّ خالقها هو الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وأمر بالتَّفكُّر فيها ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وذمَّ من لم يعتبر بها وبما فيها ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وأخبر أنَّها مليئةٌ بالعبر والآيات ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

هي أصل الإنسان ومنها خُلِق ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، خَلَقَها في يومين قبل السَّماء كالأساس للبناء، ثمَّ خلق السَّماء في يومين، ثمَّ دحا الأرض في يومين آخرَيْن، فأخرج بدحيِها ما كان مودعاً فيها، فظهرت العيون وجَرَت الأنهار ونبت الزَّرع ورست الجبال، فأتمَّ الخلقَ في ستَّة أيَّام آخرُهنَّ يومُ الجمعة، فاتّخذه المسلمون عيدَهم في الأسبوع، ثمَّ بعد خَلْقِها استوى الرَّحمن على عرشه، وقال للسَّماء وللأرض ـ بما فيها من جبال ثقالٍ وبحارٍ زاخرات ـ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

خلقها سبع أرضين، كلّ واحدة فوق الأخرى، ومدَّها ووسَّعها، فلم تَضِق يوماً على ساكنيها، وسلك فيها سبلاً لا يتيهون فيها، وذلَّلها لخلقه، فالإنسان والطَّير والحيوان يُثيرها، قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]، ظهرُها سكنٌ للأحياء، وبطنها نُزُلٌ للأموات، في جوفها ماء وحولها ماء، ولا تضطرب ولا تَحِيد، وبفضله كفَّ البحرَ أن يطغى على يابسها، وأمسك السَّماء أن تقع عليها.

أرساها بجبالٍ شامخاتٍ؛ لئلَّا تميد، وأَحسَنَ نَصْبَها، ورفعها فأحسنَ هيئَتها، وجعلها صلبةً لا تضمحل مع تطاول الزَّمان، خشعت جبالُها لخالقها، وتسجد له وتهبط من خشيته، وأَبَتْ وأشفقت من حمل الأمانة.

وفيها بحار تَمْخُر الفُلكُ فيها، وتَحْمِل الثِّقال، وما في بحارها

مـأكـول حـلال ولـو كـان مـيـتـة ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦]، وأنهارها حلوة عذبة تنْبُعُ في موطنٍ ويسوقها إلى موطن آخرَ رزقاً للعباد، قِطَعُها متجاورات، تُسقى بماء واحد، فَتَنْبُتُ الأزواجُ المختلفةُ المتباينةُ في اللَّون والشَّكل والطَّعم والرَّائحة، منها غذاء والآخرُ دواء وفيها داء، ونباتها بقَدَرٍ مَوْزُونٍ ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تكاد تخلو ورقةٌ منه ولا عِرْقٌ ولا ثمرةٌ من منافعَ تَعْجَزُ عقولُ البشر عن الإحاطة بها وتفصيلها»، وطيورها وسباعُها وبهائمُها أُممٌ شتّى، تُبهر العقل من عجائبها وإتقان خلقها، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

مـلـيـئـةٌ بـالـخـزائـن والأرزاق ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وإنِّي أُعطيت مفاتيحَ خزائنِ الأرض**» (متفق عليه)، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تَنْتَثِلُونها ـ أي: تستخرجونها ـ» قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَلكتْ أمَّتُه من الأرض ما لم تملكْه أمَّةٌ من الأمم»، والله تكفَّل برزق جميع مَنْ عليها ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وخزائنها تُفتح بالطَّاعات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، حلالها كثير وبركاتها وفيرة، واللَّبيب يستغني بحلالها عن حرامها وبالقناعة عن إثمها، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

جمالها وما عليها من زينةٍ للابتلاء والامتحان، قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وفاضلَ سبحانه بين أرضه الواسعة؛ فاختار منها أماكنَ جعلها خيرَ البقاع وأشرَفها، فمن قصد بيتَ اللهِ الحرام مخلصاً له العمل؛ غُفِرت له

ذنوبه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من أتى هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ؛ رجع كيومَ ولدته أمُّه**» (متفق عليه)، وليس على وجه الأرض بقعة يجوز الطَّواف بها سوى كعبة الله المشرَّفة، وليس فيها موضعٌ يشرع تقبيله واستلامه سوى الحجرِ الأسود، والرُّكنُ اليماني من الكعبة يُستَلم، ونهى التَّعبُّدَ في موضع يشرك فيه مع الله، نذر رجل أن ينحر إبلاً بِبُوانَة فسأل النَّبيَّ ﷺ فقال: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعْبَد؟** قالوا: لا، قال: **هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟** قالوا: لا، فقال: **أَوْفِ بنذرك**» (رواه أبو داود).

والأرض تشرف بما يقع عليها من الأعمال الصَّالحة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أحبُّ البلاد إلى الله: مساجدُها، وأبغضُها إليه: أسواقُها**» (رواه مسلم)، والله إذا أحبَّ عبداً كتب له المحبَّة فيها، والعالِم يَسْتغفرُ له من في السَّموات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء. والأرض لا تأكل أجسادَ الأنبياءِ بعد موتهم، وفي الإنسان عَظْمٌ لا تأكله الأرض، منه يُركَّب يومَ القيامة، وصلاحها بالطَّاعة وفسادها بالمعاصي، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. والأرض محكمة البناء لكن من عِظم ذنب الشِّرك تكاد تنشقّ، قال جلَّ شأنه: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]، والأرض لله نهى أن يُمشى عليها ببَطَرٍ أو كِبْرٍ أو معصية، قارونُ أعرض عن الله؛ فَخُسِفَ به وبداره، و«**بينما رجلٌ يمشي قد أعجبته جُمَّتُه** ـ أي: شعره إلى منكبيه ـ **وبُرْدَاه؛ إذ خُسِف به الأرض، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض حتى تقومَ السَّاعة**» (متفق عليه)، وفي عهد النَّبيِّ ﷺ ارتدَّ رجلٌ وَلحِقَ بالرُّوم، فلما هلك حفروا له قبراً، فكلَّما دفنوه فيه أخرجته الأرض منها، فتركوه ميّتاً فوق القبر (رواه مسلم).

وكلُّ ما فيها من حركةٍ أو سكونٍ مكتوبٌ عند الله، قال ﷻ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهو سبحانه لا يغيب عنه شيء ممَّا في كونه، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، يقضي حوائج عباده بتفريج كروبهم، وإنزالِ النّعم والهباتِ عليهم ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وفي آخر الزَّمان تَكثُر الزَّلازل، وتظهر خسوفاتٌ؛ إيذاناً بطَيِّ الأرض وزوالها، وتقوم السَّاعة على شرار الخلق، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تقوم السَّاعة حتى لا يقالَ في الأرض: اللهُ الله**» (رواه مسلم)، وإذا جاء أمر الله تتزلزل الأرضُ جميعُها، وتُحملُ وتُرجُّ رجّاً، وتدكُّ دكَّةً واحدة، وتُلقِي ما في بطنها من الأموات وتتخلَّى عنهم، وأوَّلُ من تَنشقُّ عنه الأرض نبيُّنا محمَّد ﷺ، وتُحدِّث يومئذٍ أخبارَها، وتَشْهدُ على النَّاس بما عملوا على ظهرها من خيرٍ أو شرٍّ، ويطوي اللهُ السَّموات، ثمَّ يأخذُهن بيده اليمنى، ثمَّ يطوي الأرضَ بشماله، ثمَّ يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟، وتبدّل الأرض ويُحشر النَّاس على أرضٍ غير هذه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يُحشر النَّاس يوم القيامة على أرضٍ بيضاءَ عَفْرَاءَ** ـ أي: شديدةَ البياض ـ؛ **كقُرْصَة النَّقي** ـ أي: كالدَّقيق النَّقي ـ **ليس فيها عَلَمٌ لأحد** ـ أي: ليس فيها علامةُ سكنى، أو بناء، أو أثر ـ» (متفق عليه).

والأمر لله من قبل ومن بعد، وإليه يُرجع الأمرُ كلُّه، خَلَق فأتقن ما صنع، وابتلى مَنْ خلق، والسَّعيد من وحَّد خالقه ونال مرضاتِه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان: ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

نصب الله مخلوقاتِه علاماتٍ على ربوبيَّته، وشواهدَ على وحدانيَّته، وآياتٍ على كمال صفاته، وكم لله من آية تفنى الأعمار دون الإحاطة بها؟! وبفضله سبحانه سخَّر لنا جميعَ ما في السَّموات وما في الأرض؛ لنستعين بها على طاعته، ونعملَ على أرضه بما نفوزُ به في الآخرة من جنَّاته، ولا صلاحَ للقلب إلا بتعظيم خالقه وإخلاص العمل له وحده.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

منافع اللَّيل

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله الخلق وأتقنه، ودبَّر ما خلق فقدَّره، وفَتَقَ السَّماءَ عن الأرض وزيَّنها، وجعل اللَّيل والنَّهار آيتين، فمحا آية اللَّيل وجعل آية النَّهار مبصرة، يُغشي اللَّيلَ النَّهار، ويُكَوِّر النَّهارَ على اللَّيلِ بمقدار يعلمه، وجعل اللَّيلَ بعد إدبار النَّهار آيةً من آيات الله الدَّالةِ على وحدانيَّته، قال سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

أقسم الله بوُلُوجِه على النَّهار شيئاً فشيئاً من غير إفزاعٍ للبشر، فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]، وأقسم به إذا غَشِيَ الشَّمسَ حين تغيب

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤]، وإذا غطَّى الخلائق بظلامه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [اللَّيل: ١]، وأقسم به إذا سكن فأظلم ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢]، وإذا جمع ظلامه كلَّه وادْلَهَمّ ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، وإذا كشف غِطاءَه عن الخلق فاستناروا ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣].

وهو آية عظيمة تُرى بالأبصار تدعو إلى تعظيم الله وإفراده ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [لقمان: ٢٩]، ورحمةٌ من رحمته بعباده ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣]، وتقليبُ اللَّيلِ والنَّهارِ برهانٌ على قوَّتِه وإحكامِ مُلكه، وتحدَّى الخلقَ جميعاً أن يحوِّلوا اللَّيل نهاراً ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ [القصص: ٧١]، وتدبيره له بتقدير يجهله البشر ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

والتَّفكُّر في تدبيره يدعو إلى عبادة الله وذِكْرِه وشكرِه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وهو مِنَّةٌ من الله، أَمَرَ عباده أن يشكروه عليها ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وهو داعٍ إلى إيمان العباد بربِّهم ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

في اللَّيل يتثاقل أهل النِّفاق عن الطَّاعة؛ فَأَثْقَلُ الصَّلاة عليهم صلاةُ العشاء والفجر، وهو زمن التَّعبُّد، النَّافلة فيه أفضل من نافلة النَّهار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أفضل الصَّلاة بعد الفريضة: صلاةُ اللَّيل**» (رواه مسلم)، وتُعلُّقُ القلوبِ فيه بالله أرجى؛ فأمر الله رسولَه بالإكثار من الصَّلاة والتَّسبيح فيه ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا﴾

[الإنسان: ٢٦]، واقتفى الصَّالحون أَثَره فـ ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

وفيه صلاة الوتر، والله وتر يحبُّ الوتر، و«**صلاة آخر اللَّيل مشهودة**» (رواه مسلم)، و«**من صلَّى العشاء في جماعة؛ فكأنَّما قام نصف اللَّيل، ومن صلَّى الفجر في جماعة؛ فكأنَّما قام اللَّيل كلّه**»، و«**في اللَّيل ساعةٌ** ـ من مغيب الشَّمس ـ **لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل اللهَ من خَيْرَي الدُّنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه**» (رواه مسلم)، وفي الثُّلث الأخير منه ينزل ربُّنا إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: «**من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألُني فأعطيَه؟ من يستغفرُني فأغفرَ له؟**»، وهو زمنٌ تُرجى فيه توبة التَّائبين، نزلت توبةُ الذين خُلِّفُوا في الثُّلث الأخير من اللَّيل (رواه البخاري).

والقرآن نزل ليلاً ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣]، وأفضلُ زمنٍ لتلاوته هو اللَّيل، قال سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، وفيه ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهر. وأُسْري بالنَّبيِّ ﷺ ليلاً. واللَّيل بظلامه مفزِع، و«**مَنْ قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتَاهُ** ـ أي: من الشُّرور ـ» (متفق عليه)، وفي أوَّل اللَّيل تنتشر الشَّياطين؛ فأمر النَّبيُّ ﷺ: «**إذا كان جُنْحُ اللَّيل** ـ أي: أوَّلُه ـ **فكفُّوا صبيانكم، فإذا ذهبت ساعة من اللَّيل فَخلُّوهُم**» (متفق عليه). وفي صلاة الفجر تجتمع ملائكة اللَّيل وملائكة النَّهار.

والنَّوم من نعم الله الجسيمة، يحتاجه الغنيُّ والفقير، وبفضل من الله جعله يسيراً في كلِّ مكان، ويناله كلُّ مخلوق بلا ثمن، ليس بمتاعٍ يحمله المسافر فيُجْهَد، ولا بِذِي ثمنٍ لا يجد الفقيرُ ثمنَه فيحزن، ولا جُرْمَ له يَعْجَز الضَّعيفُ والصَّغيرُ عن نقله؛ بل تُغْمَضُ العينانِ، فترتفعُ الرُّوح، فينالُ الجسدُ الرَّاحةَ والسُّكون، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النبأ: ٩].

وهو من آيات الله العظيمة الدَّالة على قوَّته وجبروته، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣]، يُميت البشر بالنَّوم، ثمَّ يوقظهم متى شاء، إذا شاء، قضى سبحانه أن تكون نومةُ أهل الكهف ﴿ثَلَـٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]؛ فكان ما شاء، وهو سبحانه حيٌّ قيُّومٌ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يَخْفِض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عملُ اللَّيل قبل عمل النَّهار، وعملُ النَّهارِ قبل عمل اللَّيل**» (رواه مسلم)، والشَّيطان يتخبَّط العبدَ في منامه، و«**مَنْ قرأ آية الكرسي قبل نومه؛ لم يزل عليه من الله حافظ، ولم يَقْرَبْهُ شيطانٌ حتى يصبح**» (رواه البخاري).

والرُّؤيا الصَّالحةُ في النَّوم من الله، و«**الحُلُم من الشَّيطان، فمن رأى رؤيا صالحةً؛ فليحمد الله عليها، ولْيُحدِّث بها من يحبّ، ومن رأى حُلُماً من الشَّيطان؛ فَلْيبصُق عن يساره ثلاثاً، وليتعوَّذ بالله من شرِّها، وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه، ولا يحدِّثْ بها أحداً، فإنَّها لا تضرُّه**» (متفق عليه).

والنَّوم قسيم الموت ويُذكِّر به، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤٢]، وكم من نائمٍ مات في نومه؟! ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ عند نومه: «**إنْ أَمْسَكْتَ نفسي فارحمها**» (متفق عليه)، و«**إذا نام العبد عَقَد الشَّيطانُ على قافيته ثلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ على كلِّ عُقْدَةٍ، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله؛ انحلَّت عقدة، فإن توضَّأ؛ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى؛ انحلَّت عقدة، فأصبح نشيطاً طيِّب النَّفس، وإلا أصبح خبيث النَّفس كسلان**» (متفق عليه).

والاستيقاظ بعد النَّوم نعمةٌ من الله تُشكر، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النُّشور**» (رواه

الخِـيـرَةُ فيما قضاه الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى أجمل ما أظهرتم، وخير ما أكننتم.

أيُّها المسلمون:

سمَّى الله نفسَه بأسماءَ حُسنى، واتَّصف بأكملِ الصِّفات، خلق الخلقَ وأتقنه، وفَطَر الكونَ فأبدعه، وَمَلَك فأحكم مُلْكَه، لا يتحرَّكُ متحرِّكٌ ولا يسكن ساكنٌ إلا بعلمه وإرادته، يحكم ولا معقِّبَ لحكمه، ويقضي ولا رادَّ لقضائه، قويٌّ لا يُمانَعُ في فعله، عظيمٌ كبيرٌ لا يُسألُ عما يفعلُ والخلق يُسْألون، وهو سبحانه مع ذلك رحيمٌ يتقلَّبُ الخلقُ في آثارِ رحمته، أرحمُ من الوالدة بولدها، شكورٌ من ترك شيئاً لأجله أعطاه المزيد، لطيفٌ بعباده يسوق إليهم النِّعمَ وهم لا يشعرون، رزَّاقٌ فتَّاحٌ فَتَح أبوابَ الرِّزقِ من السَّماء والأرضِ على عباده ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ: ٢٤]، كريمٌ يُعطي ويُجزل في العطاء، ليس بينه وبين خلقه حجاب، والعبد ضعيف منعوتٌ بالفقر، موصوفٌ بالعجلة، محجوبٌ بالجهل، لا يعلم ما يكون غداً ولا أين يموت ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وهو سبحانه رحيمٌ رؤوفٌ بعباده أمرهم أن يفوِّضوا أمورَهم إليه، ويتوكَّلوا عليه، وأن يرضَوا بما قسمه لهم.

والإيمانُ بالقضاء والقدر: أحدُ أركانِ الإيمان، وكان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ صحابتَه أسبابَ الإيمان والرِّضا بما اختاره الله لهم، كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورةَ من القرآن؛ لاستتار الغيبِ وخفاءِ الحكمة عنهم، قال جابر رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمور كلِّها، كما يُعَلِّمُنَا السُّورةَ من القرآن» (رواه البخاري)، وما يقضي به الله للعبد، خيرٌ ممَّا يطلبه العبد لنفسه؛ فإنَّه أرحمُ به من نفسه، وما يدَّخره للعبد إذا منعه ما يحب، خيرٌ له ولو كانت نفسُه متشوِّفةً إلى ضدِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**عَجَباً لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلَّه خير، إنْ أصابته سرَّاءُ شكر؛ فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضرَّاءُ صبر؛ فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن**» (رواه مسلم).

وما يُصاب به المسلم من مصائبَ وأحزان، إنَّما يبتليه الله بها ليهذِّبَه، ويمتحنُه بها ليُعطيَه، ويمنعُه ليرفعَه، والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، كم قضى الله لعبده بسبب الابتلاء من الدَّرجات والهبات وهو لا يعلم؟! إبراهيمُ عليه السلام وُهِب له إسماعيلُ بعد كِبَرٍ وأحبَّه؛ فأمره الله بذبحه ابتلاءً له؛ فامتثل الخليلُ لأمر الله بالذَّبح، فكانت الخيرة له؛ فنجَّا اللهُ ابنَه من الذَّبح، وبنى إسماعيلُ معه الكعبة،

وَوَهب له مع إسماعيل إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم يأت نبيٌّ إلا من سلالةِ الخليلِ ـ إبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهَاجَرُ ـ أمُّ إسماعيلَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تركها زوجُها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع رضيعها بأمر الله في مكَّة، بوادٍ قَفْرٍ لا حسيس فيه ولا أنيس، وأوشكَتْ على الهلاك، لا ماءَ ولا مأوى، فجرت بين جبلين تَظنُّ السَّرابَ ماءً، لعلَّ نظرها يصدق أمانيَّها، فكانت الخيرة فيما اختاره الله، نزل جبريل فضرب بجناحه الأرض؛ فخرجت زمزمُ عيناً معيناً، يشرب منها الحُجَّاجُ والمعتمرون وغيرُهم، ببركةِ توكُّلِ هاجرَ على الله، ويَسْعون كما سعت بين الصَّفا والمروة.

ويوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عاش في كَنَف أبٍ رحيمٍ مشفقٍ، يخاف عليه أن يخرج للَّعب مع إخوته ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، ثمَّ يُنتزع من وسط تلك الرِّعاية والعطف، ويَفقِدُ حنانَ الأُبوَّةِ وأُنسَ الأُخوَّةِ ويُلقى في الجُبِّ فريداً، منحه الله نسباً وجمالاً وشباباً، فَرَاوَدَتْهُ امرأةٌ بعد الجُبِّ عن نفسه، فقال مع توفر الدَّواعي: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣]؛ فأعقبه الله ثناءً، وجعله مثالاً لعفاف الشَّبابِ والخشيةِ من الله في الخفاء، ومنحه الرِّسالة بعد الجُبِّ، وجعل خزائنَ مُلْكِه بيده، وأُنزِلتْ سورةٌ باسمه تُتلى إلى يوم القيامة.

وأيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُبتلى بالمرض، ويتوارى عنه الأصحاب، ومات له ـ وهو على تلك الحال ـ أولاد، ولكنَّ الله برحمته مدَّخِرٌ له الشِّفاءَ والنَّعماء؛ فعوفي من الابتلاء، ورزقه الله من الأولاد مِثْلَهم من العدد، وجعله الله مَثَلاً للصَّابرين ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ويونسُ عليه السلام يُلقى من السَّفينة في لُجج البحر، فيلتقمُه حوتٌ، ولكنَّ اللهَ أنجاه من الهلاك، ورعاه بكلاءته؛ فألقاه الحوتُ على ساحل البحر، بعد أن مكث في بطنه أيَّاماً، وأنبت الله عليه شجرةً من يقطين، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون، فآمنوا كلُّهم فمتعهم الله إلى حين؛ فكان ابتلاؤه خيراً له ولقومه وللمكروبين مِنْ بعده، فما دعا أحد بدعوته إلا نجَّاه الله من كربه، قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**دعوةُ ذي النُّون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظَّالمين، لن يدعوَ بها مسلمٌ في شيء قطُّ إلا استجاب الله له بها**» (رواه النسائي).

وزكريَّا عليه السلام حُرِمَ الذُّرِّيَّةَ دهراً طويلاً، ووَهَنَ عظمُه، واشتعل رأسُه شيباً، والتجأ إلى الله بالدُّعاء؛ فكان عاقبةُ هذا التَّأخير، أَنْ نادته الملائكةُ أنَّ الله يبشِّرك بغلام، والذي سمَّى هذا الغلام هو الله، وسمَّاه باسمٍ لم يُسمَّ به مخلوقٌ من قبل ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، وقبل حمل أمّه به، كشف الله لوالده ما سيكون من حال ابنه في الحياة؛ لتطمئنَّ نفسه بهدايته ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وأمُّ موسى يأمرها الله بإلقاء ابنها موسى في اليمِّ وهو رضيع، وفي ظاهر ذلك الهلاك، لكنَّ الله حفظه وحَرَّمَ عليه المراضع، وَرَدَّه إلى أمِّه تُرْضِعُه وتأخذ ثمناً على رضاعتها له.

ثمَّ يعيش موسى عليه السلام في مساكنِ فرعونَ في نعيمٍ ورخاءٍ، ويُبتلى ببلاءٍ آخر، فإذا ملأٌ يأتمرون به ليقتلوه، فيخرجُ من مِصرَ خائفاً يترقَّب ويسير في صحراءَ جرداء، ويصل إلى مَدْينَ ـ بلدٍ لا يعرفه ـ، فيرفع بصره

إلى السَّماء ويقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]؛ فمنحه الله ـ بعد هذا العناءِ والابتلاء ـ الرِّسالةَ والنُّبوَّةَ، وكلَّمه بلا واسطة، واصطفاه من أُولي العزم.

وأُمُّ مريمَ تتمنَّى أن تُرزق بمولودٍ ذكر، فرزقها الله أنثى؛ فكانت العاقبة خيراً كثيراً، فتلد تلك الأنثى نبيّاً رسولاً.

ومريمُ عليها السلام حفظت فرجها؛ فنفخ الله فيها من روحه، فحملت بأمر الله من غير زوج، ومن هَوْلِ مصابها قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، ولكنَّ الله حكيمٌ عليمٌ جعل هذا الحملَ آيةً للنَّاس، تَحْمِلُ به من غير زوج، ويُولَدُ ذلك الحملُ ويكونُ نبيّاً، ويُخلِّد الله ذكرها وولدها في القرآن ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ نشأ يتيمَ الأبوين، ولا إخوةَ له يرافقهم؛ فكان الله هو الذي آواه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦]، وعُرج به إلى السَّماء ويرافقه جبريل، وأعدَّ الله له خيرَ نزلٍ في الجنَّة وأعلاه، وقال له: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

والصَّحابةُ هاجروا من مكَّة إلى المدينة، تركوا وطنَهم وأهلَهم إلى أرضٍ أخرى وقومٍ آخرين؛ فجعلهم حملةَ الدِّين، وجعلهم من أهل الجنَّة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي السَّنة السَّادسة من الهجرة: قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ مع صحابته إلى مكَّة في الحديبية، وعددهم ألف وأربع مئة، فصدَّهم المشركون عن دخولها، واصطلحوا على أن يأتوها العام المقبل، فتألَّمت قلوبُ الصَّحابة وحزنت نفوسُهم، إذ صُدُّوا عن البيتِ بعد قربهم منه، وأُمِروا بالرُّجوع عنه وقد قدموا إليه، فاستجابوا لأمر رسول الله ﷺ بالرُّجوع عن الدُّخول هذا

العام؛ فعادوا إليه العام المقبل وعوَّضهم الله عمرة عن عمرتهم التي تحلَّلُوا منها وقوَّة وعزّاً، وصاروا عشرة آلاف، ودخلوا مكَّة من غير قتالٍ عام الفتح، ودخل النَّاس في دين الله أفواجاً، وكسَّر النَّبيُّ ﷺ الأصنامَ التي حول الكعبة وهو يتلو ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وانتشر الدِّين في الآفاق.

ومن نشأ على طاعة الله في شبابه، ومنع نفسه من المحرَّمات واتِّباع الهوى؛ أظلَّه الله تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

ومن دَعْتُه نفسُه إلى امرأةٍ مُحرَّمةٍ عليه، فتركها مخافة الله؛ حشره الله تحت ظلِّ عرشه مع خير عباد الله، قال قتادة رحمه الله: «لا يَقْدِر رجلٌ على حرام، ثمَّ يَدَعُهُ، ليس به إلا مخافةَ الله؛ إلا أبدله في عاجل الدُّنيا قبل الآخرة ما هو خيرٌ له من ذلك».

ومن فقد بصره فَصَبَرَ؛ عوَّضه الله في الآخرة بما لا عينٌ رأت، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله ﷻ: إذا ابتليت عبدي بِحَبِيبَتَيْهِ فصبر، عوَّضتُّه منهما الجنَّة**» (رواه أحمد).

فمن أيقن بحسن اختيار الله لعبده؛ هانت عليه المصائب، وسهُلت عليه المصاعب، وادخر ما ابتلي به، ثقة بلطف الله وكرمه وحسن اختياره.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

يكتب الله لبعض عباده درجاتٍ عاليةً تَقْصُرُ عنها أعمالهم، فيبتليهم الله بأنواعٍ من البلاء؛ لينالوا أجراً يبلغُ بهم تلك الدَّرجاتِ والمنازلَ العالية، ومن صبر على ما أصابه وسلَّم أمره إلى الله؛ رزقه الله الرِّضا واليقين، وجعل عاقبةَ أمرِه حميدة، وإذا قويت الرَّغبةُ إلى ما حرَّم الله، وتاقت النَّفسُ إلى فعله، فامتنع العبد عنه؛ عظم الأجرُ في تركه، وضوعفت المثوبة في مجاهدة النَّفس على الخلاص منه، وعُوِّض خيراً منه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

الثَّبات عند المصيبة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

قدَّر الله المقاديرَ والآجال، ونسخ الآثارَ والأعمال، وخلق السَّمواتِ والأرضَ والموتَ والحياةَ للابتلاء، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، فجُبِلَت الدُّنيا على الأخطار والأكدار، هذا مُبْتلىً بالجوع، وآخَرُ بالخوف، وذاك بنقص الأنفس، وأولئك بالأموال. والمحن لا تعرف زماناً ولا جنساً، ولا مكاناً ولا سنّاً، قال جلَّ وعلا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

والإيمان بالأقدار خيرِها وشرِّها: ركنٌ من أركان الإيمان، والمؤمن ثابت عند الشَّدائد والعظائم، لا تزعزعه البلايا والمحن، يسير مع القضاء كيفما كان، مؤمناً به، مفوِّضاً أمره إلى الله، متوكِّلاً عليه.

والابتلاء مسلك العظماء، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أشدُّ النَّاس بلاءً: الأنبياء، ثمَّ الأمثلُ فالأمثل، يُبتلى الرَّجلُ حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زِيدَ في بلائه، وإن كان في دينه رِقَّةٌ خُفِّف عنه**» (رواه الترمذي)، وابتلاء المؤمن إنَّما هو لتمام أجره وعلوِّ منزلته، قال ﷺ: «**وما يزال البلاء بالعبد، حتى يمشيَ على ظهر الأرض وما عليه خطيئة**» (رواه أحمد)، قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّما يُعْرَفُ قدرُ البلاء، إذا كُشِفَ الغطاءُ يومَ القيامة».

والمسلم عزيزٌ عظيمٌ، لا ينكسر أمام البلايا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المؤمن؛ كالخامة من الزَّرع** ـ وهي: أوَّلُ ما ينبت ـ **تُفَيِّئُهَا الرِّيح** ـ أي: تُمَيِّلُهَا ـ **مرَّةً وتَعْدِلُها مرَّةً** ـ أي: يبتلى ثمَّ يعودُ إلى قوَّته ـ، **وَمَثَلُ المُنَافق؛ كالأَرْزَةِ** ـ أي: كشجرة الأَرْزِ ـ **لا تزالُ حتى يكونَ انْجِعَافُهَا** ـ أي: سقوطها ـ **مرَّة واحدة** ـ أي: أنَّها قويَّة في رأي العين، لكنَّها في حقيقتها ضعيفة تسقط مرة واحدة ـ» (متفق عليه).

وكان نهجُ الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ: القوَّةَ عند البلاء، والثَّباتَ على الدِّين عند المحن، وكان من دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألك الثَّباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشد**» (رواه النسائي).

والخليل ـ إبراهيم ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَسَّر الأصنام، وقال أعداؤه: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١]؛ ليروا عذابنا له، فلم يخش منهم وقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وهدَّدوه بالحرق بالنَّار، فلم يزده إلا أَمَلاً بالله، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]؛ فبشَّره الله بغلامٍ حليمٍ، ولما قال له أبوه: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، لم يضعفْ عن الدَّعوة وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

ويوسفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ وهو في السِّجن ـ لم يُقْعده حزنٌ عن الدَّعوة إلى

التَّوحيد ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ولوطٌ عليه السلام قال له قومه: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، فقال لهم بعزَّةٍ: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] أي: المُبغِضين، وشعيبٌ عليه السلام توعَّدوه بالإخراج إن لم يتَّبع دينَهم، فقال لهم: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويونسُ عليه السلام لم يُثْنِه الهمُّ عن التَّعلُّق بربِّه وهو في بطن الحوت؛ بل كان ينادي ربَّه بالتَّوحيد ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وفرعونُ يَتَّهِم موسى بالجنون، ويقول: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء: ٢٧]، فلم يلتفت موسى إلى قوله؛ بل دعاه إلى التَّوحيد، وقال: ربِّي هو ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٧]، ولمَّا جمع فرعونُ سحرتَه لإرجاف موسى ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٢٠] ـ أي: يومُ العيد ـ؛ ليرانا جميعُ النَّاس، وكان ذلك في موقفٍ مهول، قال موسى ـ وهو واثقٌ بنصرِ اللهِ متيقِّنٌ من هزيمتهم ـ: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ [يونس: ٨٠].

ولمَّا خذله بنو إسرائيل واستنكفوا عن القتال معه، وقالوا له: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]: لم يتوان عن إنفاذِ أَمْرِ ربِّه؛ بل قاتل وقاتل معه أتباعُه ونصرهم الله، ولمَّا خرج مِنْ مِصرَ تَبِعه فرعون، فإذا البحرُ أمامَه، وفرعونُ خلفَه، فـ ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، فقال بإيمانٍ راسخٍ وقوَّةٍ بالله: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ حُبِس في أَحدِ شِعَابِ مكَّة ثلاثَ سنوات، ولم يتوقَّف عن الدَّعوة، وسخروا منه وقالوا: ساحِرٌ وكذَّابٌ ومجنونٌ، فأعرض عنهم، وأخرجوه من بلده مكَّة ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ

ﭐﺛۡﻨَﻴۡﻦِ﴾ [التوبة: ٤٠]؛ فأكملَ إبلاغَ رسالةِ ربِّه في بلدٍ آخر.

وفي بدرٍ يرى كثرةَ المشركين، ويقول: إنِّي أُرِيت مصارعَ القوم، وأصيب المسلمون في أُحدٍ، وسار إلى خيبرَ للقتال، وتجمَّعت عليه الأحزابُ في غزوة الخندق، ثمَّ سار إلى مكَّة لفتحها، وقال بعد غزوة الخندق: «**اليومَ نغزوهم ولا يغزوننا**» (رواه البخاري)، وأصيب المسلمون في حنين، ثمَّ غزا الرُّومَ في تبوك.

وكُسِرت رَباعِيَته، وشُجَّ رَأسُهُ، وسال الدَّمُ على وجهه، وسحره اليهود، وَوُضِع له السُّمّ، ورَبط الحجارة على بطنه من شدَّة الجوع، ورُمي في بيته بالإفك، ومات ستَّةٌ من أولاده، ولم يبق له من أولاده سوى فاطمةَ؛ فما صدَّه ذلك عن نفع النَّاس بالعلم والنُّور.

وأثنى الله على صبر الرُّسل وعزيمتهم بقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾ [السجدة: ٢٤].

والصَّحابةُ رضي الله عنهم أُخْرِجُوا من ديارهم، فما وَهَنَهُمُ الخروجُ عن نُصرة الدِّين؛ فجعل الله كنوزَ كسرى وقيصرَ تحت أيديهم، وفي غزوة الخندق: يَمسُّهم البَرْدُ والجوعُ والقلوبُ لدى الحناجر من الخوف؛ فصبروا على ذلك لإبلاغ دين الله.

وأصاب الصَّحابةَ مصابٌ جَلَلٌ ـ وهو وفاة النَّبيِّ ﷺ ـ، فلم يقفْ حزنُهم على موته عائقاً دون استمرارهم في الدَّعوة إلى الله والجهادِ في سبيله؛ فساروا على نهج النَّبيِّ ﷺ في حياته، فأنفذ أبو بكر رضي الله عنه جيشَ أسامة، وقاتل المرتدِّين، وقاتل مانعي الزَّكاة، فنصر الله الإسلام، وأظهره على الدِّين كلِّه.

وبعد: أيُّها المسلمون:

فدين الله متين، والله ناصرُه وناصرٌ أتباعَه، قال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، ولئن ضعف المسلمون في زمنٍ، فالله ناصرُهم إن عادوا إليه ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ولئن انكسر المسلمون في موقف، فهم المنتصرون وإن انهزموا، ومحنةُ المؤمن خفيفةٌ منقطعة، ومحنة الكافر شديدة متَّصلة، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وَفَرَحُ الكافرين بنصرٍ على الضُّعفاء هو ذلٌّ لهم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠] قال ابن القيِّم رحمه الله: «ما يصيب الكافر من العزِّ والنَّصر، دون ما يحصل للمؤمنين بكثير؛ بل باطنُ ذلك ذلٌّ وكَسْرٌ وهوان، وإن كان في الظَّاهر بخلافه». وإمهال الله لظلم الكافرين؛ ليزدادوا من الإثم والعذاب.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

في الابتلاء مع الأعداء؛ تمحيصٌ للإيمان، ورفعةٌ للأجور، وتكفيرٌ للسَّيِّئات، واتِّخاذُ شهداء، ونصرةٌ للدِّين، وعودة للمسلمين إلى الله، وظهورُ مكر أعداء الدِّين.

وما يصاب به المسلمون من ابتلاء، إنَّما هو إيقاظٌ لهم، ودافعٌ إلى محاسبةِ أنفسهم، والرُّجوعِ إلى الله، والقيامِ بأوامره، ونبذِ أسباب الضَّعف والخلاف، وطلبِ النَّصر من الله.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

السَّعادة في اتِّباع النَّبيِّ ﷺ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله الخلق لعبادته وحده؛ ليعيشوا في ظلِّ التَّوحيد بطمأنينةٍ ورخاء، وسكينةٍ وأمان، وكان النَّاس قبل البعثة في ضلال؛ فعبدوا الأصنام، ووَأَدُوا البنات، وأكل بعضُهم أموالَ بعضٍ بالباطل، وعاشوا في ذُعْرٍ بسبب الشِّرك؛ فتشاءموا بشهور وطيور، وصف أبو رجاءٍ العَطَارِديُّ حالَهم بقوله: «كنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً خيراً منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حَثْوةً من تراب، ثمَّ جئنا بالشَّاة فحلبنا عليه» (رواه البخاري).

ولقد سئموا من عباداتهم الباطلةِ وعاداتِهم المَقيتة، فكانوا يتحيَّنون بعثةَ رسولٍ بشَّر به عيسى ابنُ مريمَ يُنقذهم ممَّا هم فيه ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]؛ فاصطفى

الله رجلاً منهم، هو خيرهم نسباً، وأرجحهم عقلاً، وأكملهم صفات، نشأ على الصِّدق والأمانة، والعفاف والتَّواضع، عرف قومُه حميدَ صفاتِه قبل بعثته، قال سبحانه: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]، وعظَّم الله شأنَه، ورَفَعَ ذكرَه، وغَفَر ذنبه، وحفِظه وصانه، وخصَّه بالمقام المحمود وبالكوثر، وعُرِج به إلى السَّماء إلى مستوىً سَمِع فيه صريفَ الأقلام، وكلَّمه من غيرِ واسطة، وسخَّر معه الملائكةَ فقاتلوا معه في حُنَيْنٍ والأحزاب، وكان الله وملائكته معه في بدر ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٢].

وأخذ الله الميثاق على الرُّسل أنَّهم إنْ أدركوا محمَّداً ليتبعنّه، والجنُّ فرحت بدعوته، وأمر بعضُهم بعضاً باتِّباعه، ولما قدِم المدينة قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «فما رأيتُ أهلَ المدينةِ فَرِحوا بشيءٍ فَرحَهم برسول الله ﷺ، حتى خرج الصِّبيانُ يقولون: قَدِم رسولُ الله».

لاقى المحنَ وقاسى الشَّدائدَ في نشر الدِّين أُخرِج من بلده، وحُبِسَ في الشِّعب وكُسرت رَباعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه وسال الدَّمُ منه، وقُتِل أصحابُه، ومكر به المشركون ليقتلوه، واجتمع عليه الأحزاب، وكان يقول: «**لقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذى أحد، ولقد أُخِفْتُ في الله وما يُخاف أحد**» (رواه الترمذي).

وأمر الله بطاعته واتِّباعه، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، حديثُه وحي، ومزاحُه حقّ، قيل: يا رسول الله! إنَّك تداعبنا، فقال: «**أجل! ولكن لا أقول إلا حقّاً**» (رواه الترمذي)، وليس لأحدٍ تشريعٌ بعدَه، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] قال ابن كثير رحمه الله: «تُوزن الأقوالُ والأعمالُ بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مردود على قائله».

باتِّباعه يُنالُ الهدى والفلاح، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنِّي قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتابَ الله وسنَّتي**» (رواه الحاكم) قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنَّة: مثلُ سفينةِ نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك»، ومن لم يتبعه ندم، قال جلَّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عرفوا قدر النَّبيِّ ﷺ؛ فأجَلُّوه وعظَّمُوه، قال عروة بن الزُّبير: «إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تكلَّم خفضُوا أصواتَهم عنده، وما يُحِدُّون النَّظر إليه؛ تعظيماً له» (رواه البخاري)، وكانوا يُنْصِتون إلى حديثه، قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا تكلَّم سكَتَ النَّاس؛ كأنَّ على رؤوسهم الطَّير»، ويمتثلون أوامره، قال أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنِّي لا أترك شيئاً من أمره، فإنِّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ».

وشَرْعُه ـ بحمد الله ـ كاملٌ من جميع الوجوه، قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ومِنْ وصاياه ﷺ: «**عليكم بسنَّتي**» (رواه الترمذي) قال أبو ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «توفِّي رسول الله ﷺ وما من طائرٌ يقلِّب جناحيه في السَّماء، إلا ذَكَر لنا رسولُ الله ﷺ منه شيئاً».

ومن قَدَّم عقلَه وهواه على سنَّته؛ ضلَّ، وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع رجحانِ عقولهم وفهمِهم للنُّصوص: يُقدِّمون الاتِّباعَ والإذعانَ على آرائهم، قَبَّل عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الحجرَ الأسودَ وقال: «إنِّي لأعلم أنَّك حَجَرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُك»، وقال عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو كان الدِّين بالرَّأي، لكان أسفلُ الخُفِّ أولى بالمسح من أعلاه»، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الأدب مع النَّبيِّ ﷺ: ألا يُسْتَشْكلَ قولُه؛ بل تُسْتَشكلُ الآراءُ لقوله، ولا يُعارضَ نصُّه بقياس؛ بل تُهدرُ الأقيسةُ وتلقى لنصوصه، ولا يُحرَّفَ كلامُه عن حقيقته لخيالٍ يسمِّيه أصحابُه المعقول، ولا يُوقفَ قبولُ ما جاء به على موافقة أحد».

ومن خالف أمرَه؛ توعَّده الله بمصيبةٍ أو عذاب، قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ودينه عليه الصَّلاة والسَّلام متينٌ، من طعن فيه، أو لَمَزَ شيئاً منه، أو سَخِر منه؛ هلك، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

أيُّها المسلمون:

وبعد وفاة النَّبيِّ ﷺ رحل الصَّحابةُ في الأوطان؛ لجمع ما فاتهم منها، قال جابر رضي الله عنه: «بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديثٌ سمعه من النَّبيِّ ﷺ، فاشتريت بعيراً، ثمَّ شددتُّ رحلي فَسِرْتُ إليه شهراً حتى قدمتُ الشَّام».

وتوالى العلماء على حفظ سنَّته للنَّاس، وتأصيلِ الأصول والقواعدِ لها، بتصنيف الصِّحاح والمجاميع، والمسانيدِ والسُّنَنِ والآثار، وكُتبِ الجرحِ والتَّعديل، لاقوا في ذلك الشَّدائدَ والأخطار، وسطَّروا للتَّاريخ العَجَب في الصَّبر والجَلد، قال ابن الجوزي رحمه الله: «طاف الإمامُ أحمدُ الدُّنيا سنين، حتَّى جمع المسند»، ورَحَلَ بَقيُّ بنُ مَخْلَدٍ رحمه الله من الأندلس إلى بغدادَ على قدميه، حتى يسمعَ الحديثَ من الإمام أحمد.

وفي مواطن إلقاء الشُّبهات يكون التَّمسُّك بالسُّنَّة ألزم، واتِّباعُها أوجب، قال ابن حجر رحمه الله: «لا يُلتفتُ إلى الآراء ـ ولو قويت ـ مع وجود سنَّة تخالفها».

فالواجب على العبد: تقديمُ الوحي على العقل، وتعظيمُ سنَّة النَّبيِّ ﷺ في النُّفوس، وتلقِّيها بالقبول والرِّضا، وكمالِ التَّسليم والانقياد.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكرُ لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

حَفِظ الله سنَّةَ نبيِّه ﷺ؛ فوصلت إلينا غرَّاء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**تركتكم على مثل البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**» (رواه ابن أبي عاصم)، والفلاح في العمل بوصيَّته ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين من بعدي، تمسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ**» (رواه الترمذي) قال عمر بنُ عبدِ العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليك بلزوم السُّنَّة، فإنَّها لك ـ بإذن الله ـ عصمة».

وتعظيمُ سنَّته ﷺ تقتضي التَّسليمَ، وعدمَ طلبِ الهدى من غير طريقه، وحسنَ الاتِّباعِ فيما بلَّغه عن ربِّه، ولا سعادةَ للعباد، ولا هدايةَ، ولا نجاةَ في الدُّنيا والآخرة، إلا باتِّباع كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ ـ اعتقاداً وقولاً وعملاً ـ، والاستقامةِ على ذلك والصَّبرِ عليه حتى الممات.

وحقُّ النَّبيِّ ﷺ على أمَّته: إبلاغُ رسالتِه للنَّاس على وِفْق ما جاء به، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بلِّغوا عنِّي ولو آية**» (رواه البخاري)، فاجتهدوا في طاعة ربِّكم، وإبلاغِ سنَّة نبيِّكم، والاهتداءِ بخير الهدي ـ هديِه ﷺ ـ.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

أخلاقُ النَّبيِّ ﷺ

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

كرَّم الله بني آدمَ وفضَّلَهم على كثيرٍ ممَّن خلق تفضيلاً، واجتبى منهم مَنْ خصَّه بالنُّبوَّة والرِّسالة، واصطفى من أولئك: أفضلَهم نبيَّنا محمَّدَ بنَ عبدِ الله، صفوةَ بني هاشم، وهاشمٌ خيارُ قريش، فهو خيارٌ من خيار، اختاره الله لهذه الأمَّة؛ لهدايتها إلى دين الله القويم، وصراطِه المستقيم، فكانت حياتُه عبادةً وشكراً، ودعوةً وحلماً، وابتلاءً وصبراً، تحلَّى فيها بخُلُقٍ سامٍ وفَأْلٍ محمود، شمائلُه عطرة، وسيرتُه حافلة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «اضطرار العباد فوقَ كلِّ ضرورة إلى معرفة الرَّسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر».

ما من خيرٍ إلا دلَّ الأمَّةَ عليه، وما من شرٍّ إلا حذَّرَها منه، قال عن نفسه عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما يكنْ عندي من خيرٍ فلن أَدَّخِرَهُ عنكم**»

(متفق عليه). قضى قريباً من شطر زمن رسالته يدعو لأمرٍ واحدٍ، هو أعظم أمرٍ أمر الله به، من لم يستجبْ له فيه خلَّده الله في النَّار وحرَّم الجنَّة عليه، افتتح رسالته به فقام على جبل الصَّفا، وقال لقريش: «**قولوا: لا إله إلا الله تُفْلِحُوا**»، مكث عشر سنوات في مكَّةَ لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ دعا إلى بقية الشَّرائع معه إلى مماته، ووعد من حقَّقَ هذا الأمرَ بدعوةٍ منه مستجابةٍ له يوم القيامة، فقال: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يومَ القيامة، فهي نائلةٌ ـ إن شاء الله ـ مَنْ مات من أمَّتي لا يشركُ بالله شيئاً**» (متفق عليه).

كثيرُ التَّعبُّد لله؛ قام بالطَّاعة والعبادة خير قيام، قدماه تتشقَّق من طول القيام، في ركعةٍ واحدةٍ قرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ والنِّساء، وكان جميلَ الصَّوت في تلاوة القرآن، قال البراء رضي الله عنه: «سمعت النَّبيَّ ﷺ يقرأ في العشاء ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التِّين: ١]؛ فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً أو قراءةً منه» (متفق عليه).

خاشعٌ لله؛ يصلِّي وفي صدره أَزيزٌ كأَزيزِ المِرْجَلِ من البكاء، ولسانُه لا يفتر عن ذكر الله، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يذكرُ الله على كلِّ أحيانه» (رواه مسلم)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرسولِ الله ﷺ في المجلس الواحد مئةَ مرَّة: **ربِّ اغفرْ لي، وتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيم**».

يحبُّ الصَّلاة، ويوصي بها، قال أنس رضي الله عنه: «كانت عامَّةُ وصية النَّبيِّ ﷺ حين موته: **الصَّلاةَ، وما ملكت أيمانكم**، قال: حتى جعل رسول الله ﷺ يُغَرْغِرُ بها صدرُه، وما يكاد يُفيصُ بها لسانه ـ أي: ما يَقْدر على الإفْصاح بها ـ» (رواه أحمد)، وكان يحثُّ صغار الصَّحابة على نوافل الصَّلوات، قال لابن عمر ـ وهو فتىً ـ: «**نِعْمَ الرَّجلُ عبدُ الله!**

لو كان يصلِّي من اللَّيل» (متفق عليه). يقينه بالله عظيم، واثقٌ بأنَّ كلامَ الله فيه شفاء؛ إذا مرض يَرْقِي نفسَه بكلام الله، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفث» (متفق عليه).

معظِّمٌ للرُّسل من قبله، قال له رجلٌ: يا خيرَ البريَّة! فقال: «**ذاكَ إبراهيم**» (رواه مسلم)، ونهى عن إطرائه وتعظيمه فقال: «**لا تُطْرُونِي كما أطرت النَّصارى ابنَ مريم، فإنَّما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه**» (رواه البخاري).

يدعو كلَّ أحدٍ إلى هذا الدِّين ولو كان المدعوُّ صغيراً؛ زار غلاماً يهودياً مريضاً فقعد عند رأسه، وقال له: «**أسْلِمْ**، فَأَسْلَم الغلام» (رواه البخاري)، يتواضع للصَّغير ويغرسُ في قلبه العقيدة، قال لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «**يا غلام! إنِّي أعلِّمُك كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظِ اللهَ تجدْه تُجَاهَك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله**» (رواه الترمذي).

يتلطَّف في تعليم صحابته، ويظهر ما في قلبه من حبِّه لهم؛ أخذ بيد معاذ وقال له: «**والله إنِّي لأحبُّك، أوصيك يا معاذ! لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاة أن تقول: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرِك وشكرِك وحُسْنِ عبادتك**» (رواه النسائي).

لا يعنِّف ولا يتكبَّر؛ بل صدرُه منشرح لكلِّ أحد، دخل رجلٌ - وهو يخطب - فقال: يا رسول الله! رجلٌ غريبٌ جاء يسألُ عن دينه لا يدري ما دينُه، قال: فأقبلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وتركَ خطبتَه حتى انتهى إليَّ، فأُتِيَ بكرسيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حديداً، قال: فقعد عليه رسولُ الله ﷺ وجعل يعلِّمني مما علَّمه الله، ثمَّ أَتَى خطبتَه فأتمَّ آخرَها» (رواه مسلم).

رفيقٌ بالشَّباب مشفقٌ عليهم، قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «أتينا النَّبيَّ ﷺ - ونحنُ شَبَبَةٌ متقاربون - فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنَّ أنَّا اشتقنا أهلَنا، وسأَلَنا عمَّن تركْنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً،

فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم؛ فعلِّموهم ومُرُوهُم، وصلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي**» (رواه البخاري).

دَمْثُ الأخلاق؛ ليس بفاحشٍ ولا متفحِّشٍ في الألفاظ، وحياؤُه أشد من العذراء في خدرها. عفُّ اليد لم يضرب أحداً في حياته، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «ما ضرب رسولُ الله ﷺ شيئاً قطّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً؛ إلا أن يجاهد في سبيل الله»، ولم ينتقم لنفسه؛ بل يعفو ويصفح، وإذا خيِّر بين أمرين أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ النَّاس منه. طَلْقُ الوجه، قال جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما رآني رسولُ الله ﷺ قطُّ؛ إلا تبسَّم».

واصلٌ لرحمه، صادقٌ في حديثه، قاضٍ لحوائج المكروبين، قالت له خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إنَّك لَتَصِلُ الرَّحم، وتصدُق الحديث، وتحمِلُ الكَلّ، وتكسبُ المعدوم، وتَقْرِي الضَّيف، وتعينُ على نوائب الحق». بارٌّ بوالدته؛ زار قبرَها فبكى وأبكى من حوله، وقال: «**استأذنت ربِّي في أنْ أستغفرَ لها فلم يُؤْذَنْ لي، واستأذنتُهُ في أن أزورَ قبرَها فأَذِنَ لي** » (رواه مسلم). يوصي بالجار، ويحثُّ على حسن جواره وإكرامه، قال لأبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إذا طبختَ مَرَقةً؛ فأكْثِرْ ماءَها، وتعاهدْ جيرانَك**» (رواه مسلم).

رقيقُ القلبِ، رفيقٌ بمن تحت يده؛ خدمه أنس عشرَ سنين فما قال له النَّبيُّ ﷺ: أفٍّ قط، ولا قال لشيءٍ صَنَعَهُ: لِمَ صنعْتَ، ولا أَلَا صنعتَ. رحيمٌ بالضُّعفاء والمرضى؛ أمر من يصلِّي بهم أن يخفِّف صلاتَه من أجلهم، رؤوفٌ بالنَّاس شديدُ الحِلم؛ بال أعرابيٌّ ـ جهلاً منه ـ في مسجده، فتناوله النَّاس، فقال لهم: **دعوه حتى يقضي بوله، وأَهْرِيقُوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنُوباً من ماء، فإنَّما بعثتم ميسِّرين ولم تُبْعَثُوا معسِّرين**» (رواه البخاري).

كثيرُ البذل والعطاء؛ لا يردُّ سائلاً ولا محتاجاً، قال حكيم بن

حزام رضي الله عنه: «سألت رسولَ الله ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني» (متفق عليه). كريم اليد، واسع الجود؛ جاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: «يا قوم! أسلموا فإنَّ محمداً يعطي عطاءً لا يخشَ الفاقة» (رواه مسلم). ورأى رجلٌ عليه بردة فقال: «ٱكسُنيها ما أحسنَها! فأعطاه إيَّاها» (رواه البخاري). طيِّبٌ لا يأكل إلا طيّباً؛ يتوارى عن أيِّ شبهةٍ في المطعم أو المشرب، قال ﷺ: «**إني لَأَنْقَلِبُ إلى أهلي فأجدُ التَّمرةَ ساقطةً على فراشي، فأرفَعُها لِآكُلَهَا ثمَّ أخشى أن تكونَ صدقةً فَأُلْقِيهَا**» (متفق عليه).

يُجِلُّ صحابتَه ويعظِّمُ مكانتَهم ـ وإن كانوا حديثي السِّنّ ـ، قال عن أسامة بن زيد ـ وهو لم يتجاوز حين ذاك الثَّامنةَ عشرةَ من عمره ـ: «**أوصيكم به، فإنَّه من صالحيكم**» (رواه مسلم). وإذا مرض أحدهم عَادَهُ وحَزِنَ لمصابه؛ زار سعدَ بنَ عبادة فوجد مرضه شديداً فبكى.

وفيٌّ مع صحابته؛ لم ينسَ فضلَهم وإيثارَهم، آخرُ يومٍ صعد فيه المنبر قال: «**أوصيكم بالأنصار؛ فإنَّهم كَرِشِي وعَيْبَتِي** ـ أي: جماعتي وخاصَّتي الذين أثقُ بهم وأعتمدهم في أموري ـ، **وقد قَضَوُا الذي عليهم وبقيَ الذي لهم، فاقبلوا من محسنِهِم، وتجاوزوا عن مسيئِهِم**» (رواه البخاري). وحفظَ لخديجةَ مواقفَها العظيمة وبذلَها السَّخيَّ وعقلَها الرَّاجح؛ فكان يَذْكُرُها بالخير بعد وفاتها، ويصل أقربائَها، ويحسن إلى صديقاتها. وأمر بِسَدِّ كلِّ خَوْخَةٍ ـ أي: باب يفتح من بيوتهم على مسجده النَّبوي ـ سوى بابِ أبي بكر؛ وفاءً له.

ومع عِظَمِ أَعْبَاءِ ما أُوكل إليه من الرِّسالة، كان جميلَ العِشرة مع أهله متلطِّفاً معهم؛ فإذا دخل بيتَه يكون في مهنة أهله، وإذا حضرت الصَّلاة خرج إلى الصَّلاة (رواه البخاري). رقيقٌ مع أولاده وأحفادِه مُكْرِم لهم؛ إذا دخلتِ ابنته فاطمة يقوم لها ويأخذ بيدها ويجلسها في مكانه

الذي كان يجلس فيه (رواه أبو داود)، وكان يضع الحسن على عاتقه ويقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أحبُّه فأحبَّه**» (متفق عليه)، وخرج على صحابته وبنتُ ابنته أمامةُ على عاتقه فصلَّى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها (متفق عليه). وَصَف عثمانُ بنُ عفَّانَ رضي الله عنه معاملتَه لصحابته فقال: «صحبنا رسولَ الله ﷺ في السَّفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير» (رواه أحمد).

ذاق من الحياة مرَّها ولَأْوَاءَها، قالت عائشة رضي الله عنها: «دَخَلَتْ عليَّ امرأةٌ ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة» (متفق عليه). وربط على بطنه الحجرَ من الجوع، قال عمر رضي الله عنه: «لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَظَلُّ اليومَ يَتَلَوَّى ما يجد من الدَّقَل ـ أي: التَّمر الرَّديء ـ ما يملأُ به بطنه» (رواه مسلم).

لاقى من المحنِ والشَّدائدِ أشقَّها؛ نشأ يتيماً، وأُخْرِجَ من بلده، وحُوصِرَ في الشِّعب ثلاث سنين، واختفى في غار، ومات له ستة من الولد، وتبعه قومه في مهاجَره وقاتلوه، ومكر به أهل النِّفاق، وسُقِي السُّم، وعُمِلَ له السِّحر، وكان يقول: «**أُخِفْتُ في اللهِ وما يُخافُ أحد، وأوذيتُ في اللهِ وما يُؤذَى أحد**» (رواه الترمذي). ومع ما لاقاه من تلك المصائب وغيرها كان متفائلاً في حياته ويقول: «**يعجبني الفألُ الصَّالح، والكلمةُ الحسنة**» (متفق عليه).

أعرض عن الدُّنيا ورجا ما عند الله، فكان يقول: «**ما لي وللدُّنيا! ما أنا في الدُّنيا؛ إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثمَّ راح وتركها**» (رواه الترمذي)، ففارق الحياة ولم يخلِّف شيئاً من حطامها، قالت عائشة رضي الله عنها: «توفِّي رسولُ الله ﷺ وما ترك ديناراً، ولا درهماً، ولا شاةً، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء» (رواه مسلم)، وصَفَهُ عليٌّ رضي الله عنه بقوله: «لم أَرَ قبله ولا بعده مثله».

وبعد: أيُّها المسلمون:

فالنَّبيُّ ﷺ قد أدَّى أمانةَ رسالتِه ونصحَ لأمته وقال: «**مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رجلٍ أَوْقَدَ ناراً فجعل الجَنَادِبُ** ـ طائرٌ يُشْبِهُ الجراد ـ **والفَرَاشُ يَقَعْنَ فيها وهو يَذُبُّهُنَّ عنها، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النَّار وأنتم تَفَلَّتُونَ من يدي**» (رواه مسلم).

ومن وفاء الأمَّة له: أداء حقوقه من الإيمان به والتَّصديق بما جاء به، فقال: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمَّة يهوديٌّ ولا نصرانيّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلتُ به؛ إلا كان من أصحاب النَّار**» (رواه مسلم).

ومن حقِّه ﷺ: تقديم حُبِّه على جميع المَحَابِّ قال ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والنَّاس أجمعين**» (متفق عليه).

ومن واجبات الأمَّة في جنابه: طاعتُه فيما أمر، واجتنابُ ما عنه نهى وزجر، قال ﷺ: «**كلُّ أمَّتي يدخلون الجنَّةَ إلا مَنْ أبى، قالوا: يا رسول الله! ومَنْ يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنَّة، ومن عصاني فقد أبى**» (رواه البخاري).

ومن أصول الشَّهادة له بالرِّسالة: ألا يعبدَ اللهُ إلا بما شرع، قال ﷺ: «**إيَّاكم ومحدَثات الأمور، فإن كلَّ مُحْدَثَةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**» (رواه أبو داود).

ومن محبَّته: قراءةُ سيرته، ومعرفةُ هديِهِ في كلِّ حين، ونشرُ دعوته في الآفاق، وأن يدعوَ المسلم لِمَا دعا إليه من التَّوحيد وأوامر الدِّين ومحاسنه وفضائله، ومن جعل النَّبيَّ ﷺ قدوتَه في عباداته ومعاملاته؛ نالَ الفلاحَ والرِّضا.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مَزِيداً.

أيُّها المسلمون:

سعادة الدَّارين بطاعة النَّبيِّ ﷺ، وعلى قدر متابعته تكون الهداية والعزَّة والنَّجاة، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النُّور: ٥٤]، ومن أطاعه صَلَحَ دينُه، وحسنت دنياه، وانشرح صدره، قال ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧]. ومن أحبَّ أن يكونَ رفيقَه في الآخرة؛ فليكُنْ مُقْتَفِياً أثرَه، مستنّاً بسنَّته، معرِضاً عمَّا يناقضُ الشَّهادةَ له بالرِّسالة أو يُنقِصُها، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النِّساء: ٦٩].

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

رجالٌ لا يكون أحدٌ مثلهم
(الصَّحابة)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

اصطفى اللهُ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ واختارهم لصُحبةِ أفضلِ رسلِه، حازوا من السَّوابق والفضائلِ والمناقبِ ما سبقوا به مَن قبلَهم ومَن بعدهم، أثنى الله عليهم في الكتب المنزَّلة السَّابقة، فقال في التَّوراة: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومدحهم في الإنجيل بقوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، ووصفهم في القرآن العظيم فقال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وكان السَّلف يُعَلِّمون أبناءَهم حُبَّ الصَّحابةِ وسيرتَهم، قال الإمام مالك رحمه الله:

«كانوا يُعَلِّمُونَنَا حُبَّ أبي بكرٍ وعمر، كما يُعَلِّمونَنَا السُّورةَ من القرآن»، هم صفوة النَّاس في الأمم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**خير النَّاس قرني...**» (متفق عليه)، وهم صفوة قرون هذه الأمَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**خير أمَّتي قرني...**» (متفق عليه)، فهم خيارٌ من خيار، مَنَّ الله عليهم بالصُّحبة فعلا قدرُهم، قال القاضي عياض رحمه الله: «فضيلة الصُّحبة ـ ولو لحظةً ـ لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجاتُها بشيء».

ولا يَلْحَقُهُمْ أحدٌ من هذه الأمَّة في السَّبق إلى الفضائل، قال ابن كثير رحمه الله: «لهم الفضل والسَّبقُ والكمالُ الذي لا يَلْحَقُهم فيه أحدٌ من هذه الأمَّة»، امتدحهم الله بالإخلاص في العمل، وأنَّهم لا يبتغون سوى رضوان الله عليهم، قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨]، لو أنفق أَحدٌ غيرُهم مثلَ جبلِ أُحُدٍ ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه؛ وذلك لصحبتهم.

ولصدقهم في توحيدهم، ألزمهم الله كلمة التَّقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلَها، وكان توحيدُهم لربِّهم ظاهراً في أعمالهم، لما مات النَّبيُّ ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: «من كان يعبد محمَّداً فإنَّ محمَّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت»، ولمَّا رأى عمر رضي الله عنه الحجرَ الأسودَ قال: «إنِّي لَأَعْلَمُ أنَّكَ حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله يُقَبِّلُكَ ما قبَّلتك»، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «الإيمان في قلوبهم، أعظم من الجبال».

في ليلهم تلاوةٌ وتهجُّدٌ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إني لَأَعرِفُ منازلَ الأشعريِّين من أصواتهم بالقرآن باللَّيل**» (رواه مسلم)، يقومون لله ليلاً طويلاً، قال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وَصْفُهم ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾

[الفتح: ٢٩]، نيَّاتهم ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولكثرة عبادتهم؛ ظهرت أمارات ذلك على وجوههم، قال ﷻ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

قلوبهم لله ليِّنة؛ وَعَظَهُمُ النَّبيُّ ﷺ فغضَّوا رؤوسَهم ولهم خنين من البكاء، وأبو بكر رضي الله عنه لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وعمر رضي الله عنه صلَّى بالنَّاس فَسُمِع أَنينُه من وراءِ ثلاثةِ صفوف، وعائشة رضي الله عنها تقرأ قول الله: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ فَيَبتلُّ خمارُها من الدَّمع.

سبَّاقون لعمل الصَّالحات؛ أبو بكر رضي الله عنه قَبْل صلاةِ الفجر تَبِعَ جَنازةً، وَأَطْعَمَ مسكيناً، وعَادَ مريضاً، وأصبح صائماً، وأبو هريرة رضي الله عنه يقتسم اللَّيلَ صلاةً هو وامرأتُه وخادمُه أثلاثاً. ممتثلون لأوامر الله؛ نزلت آية الحجاب فشقَّ النِّساءُ أُزُرَهنَّ فاختمرن بها (أخرجه البخاري)، ولما حُرِّمَ الخَمْرُ أراقوها حتى جرت في طرقات المدينة، وقال عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: «هاجرتُ هجرتين، ونِلْتُ صِهْرَ رسولِ الله ﷺ، وبايعتُه، فوالله ما عصيته، ولا غَشَشْتُه حتى توفَّاه الله».

لاقوا من الشَّدائد أشدَّها من أجل الدِّين، في غزوة الأحزابِ: زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ وزُلْزلوا زِلزالاً شديداً، وفي حُنينٍ: ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبت، والزُّبير بن العوام رضي الله عنه ما من موضع في جسده إلا وقد جرح في سبيل الله، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكلُّ مؤمنٍ آمن بالله؛ فللصَّحابة عليه الفضلُ إلى يوم القيامة، وكلُّ خيرٍ فيه المسلمون إلى يوم القيامة؛ فإنَّما هو ببركة ما فعله الصَّحابة».

كانوا يحبُّون النَّبيَّ ﷺ حبّاً جمّاً، فَدَوْهُ بأنفسهم وأرواحِهم، شُلَّتْ يدُ طلحةَ بْنِ عبيد الله رضي الله عنه وهو يَقِي النَّبيَّ ﷺ من الرَّمي، وخُبَيْبٌ رضي الله عنه يقول وهو في الأسر: «ما يسرُّني أنِّي في أهلي ورسول الله ﷺ يُشَاكُ بشوكة».

جعلوا أموالَهم بين يدي النَّبيِّ ﷺ، قال سعد بنُ معاذٍ رضي الله عنه

للنَّبيِّ ﷺ: «خُذْ من أموالنا ما شئت، ودع ما شئت، وما أخذتَ أَحَبُّ إلينا ممَّا تركت»، وأبو بكر رضي الله عنه أنفق جميعَ مالِه لله، قال القاضي عياض رحمه الله: «إنفاقهم كان في نصرته وحمايته، وذلك معدومٌ بعدَه، وكذا جهادُهم وسائرُ طاعاتِهم».

إذا أمرهم النَّبيُّ ﷺ بأمرٍ ابتدروا أمره، وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتَهم عنده، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «لو سُئلتُ أن أصفَه ما أطقت؛ لأنِّي لم أكن أملأُ عينيَّ منه إجلالاً له» (رواه مسلم). من رآهم هاله توقيرهم لنبيِّهم ﷺ، قال عروة بن مسعود الثَّقفيّ: «وفدتُّ على الملوك، ووفدتُّ على قيصر وكسرى والنَّجاشي، والله ما رأيت مَلِكاً قطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابٌ، ما يُعَظِّمُ أصحابُ محمَّدٍ محمَّداً» (أخرجه البخاري).

وبينهم تواضع وإيثار ومحبَّة وشفقة؛ وصفهم الله بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال الحسن البصري رحمه الله: «رأيت عثمانَ نائماً في المسجد في مِلْحَفَةٍ ليس حوله أحدٌ وهو أمير المؤمنين»، وقال مجاهد رحمه الله: «صحبت ابن عمر رضي الله عنهما في السَّفر؛ فكان يخدمني». قال ابن كثير رحمه الله: «كلٌّ من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وحديثهم».

وكان النَّبيُّ ﷺ يحبُّهم وأَمَر بحبِّهم وجعل علامةَ الإيمان حبَّهم، وقال: «**آيةُ الإيمانِ: حبُّ الأنصار، وآية النِّفاق: بُغضُ الأنصار**» (رواه البخاري)، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو لهم ولذراريهم ويقول: «**اللَّهُمَّ اغفر للأنصار، ولأبناءِ الأنصار، وأبناءِ أبناءِ الأنصار**» (رواه مسلم)، ونهى ﷺ عن سبِّهم وقال: «**لا تسبُّوا أصحابي...**» (متفق عليه)، والله سبحانه رضي عنهم وبشَّرهم بالجنَّة وهم أحياء، قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠] قال ابن حزم رحمه الله: «الصَّحابة: كلُّهم من أهل الجنَّة قطعاً».

وبعد: أيُّها المسلمون:

أولئك ركبٌ عظيمٌ، وجيل فريدٌ، قال عنهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا كان، ولا يكونُ مثلُهم»، ذِكْرُ فضائلِهم واجب، وحبُّهم عبادة، وتوقيرهم إيمان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضَهم أبغضه الله**» (رواه البخاري).

فيهم الصِّدِّيق الذي ثبَّتَ المسلمين وقوَّاهم بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، وفيهم ثاني الخلفاءِ الرَّاشدين، ما لَقِيَهُ الشَّيطانُ سالكاً فجّاً؛ إلا سلك فجّاً غيرَ فجِّه (رواه مسلم)، وثالثهم تستحي منه الملائكة (رواه مسلم)، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عنه النَّبيُّ ﷺ: «**يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» (متفق عليه)، وصَعَدَ بعضُ الصَّحابة مع النَّبيِّ ﷺ على جبل أُحُدٍ فتحرَّك الجبل، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**ٱسْكُنْ أُحدُ، فما عليك إلا نبيٌّ، وصدِّيقٌ، وشهيدان**» (رواه البخاري)، واهتزَّ عرش الرَّحمن لموت سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (رواه مسلم)، واستُشْهِد عبدُ الله بنُ حرامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أُحُد؛ فأظلَّتْه الملائكةُ بأجنحتها حتى رفعه الصَّحابة (متفق عليه).

مَنْ دنا منهم؛ رفعه الله حتَّى مَنْ كان يَخْدِمُهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهمَّ اغفر لِذرارِي الأنصار، ولموالي الأنصار**» (رواه مسلم).

أَعْلَامٌ اختارهم الله لنصرة دينه ورسوله؛ فكانوا نعم النَّصير، وحملوا نشر الإسلام؛ فأحسنوا التَّبليغ، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله أعظمَ ما يجازِي به كريمٌ مَنْ يحبّ، ورفع درجاتِهم في علِّيِّين، وزادهم مع رضاه عنهم رضاً.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

لما رحل الصَّحابة ظهرت الفتن في الدِّين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا ذهب أصحابي، أَتى أُمَّتي ما يوعدون**» (رواه مسلم) قال النَّوويُّ رحمه الله: «معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدِّين والفتن فيه».

ولقد رضي الله عن السَّابقين من غير اشتراطِ إحسان، ورضي عن التَّابعين بشرط أن يكون اتِّبَاعُهم بإحسان، وحَسْبُ مَنْ بعدهم من الفضل، أن يبحثوا عن سيرتهم ويهتدوا بهديهم، ومن فاتته فضائلهم؛ فحبُّهم وإجلالهم وتوقيرهم شافع للحشر معهم، سأل رجلٌ النَّبيَّ ﷺ عن السَّاعة؟ فقال: «**وماذا أعددتَّ لها**؟ قال: لا شيء، إلا أنِّي أُحبُّ الله ورسوله، فقال: **أنت مع من أحببت**، قال أنس رضي الله عنه: فأنا أُحبُّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إيَّاهم، وإن لم أعملْ بمثل أعمالهم» (رواه البخاري) قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أَوْثَقُ عملي في نفسي: حُبُّ أصحابِ محمَّدٍ ﷺ».

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيها المسلمون:

اصطفى الله لهذه الأمَّة خيرَ الرُّسل، واختار سبحانه لصحبة نبيِّه خيرَ رجالٍ في أمَّته، لا كان ولا يكون مثلُهم، غفر الله ذنبَهم، ورفع مكانتَهم، ورضي عنهم بإيمانهم وإخلاصهم وصحبتهم وسَبْقِ نُصرتهم للنَّبيِّ ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وممَّا يزيد في الإيمان: معرفةُ سير من اتَّصف بالصُّحبة وبادر إلى التَّصديق وآزر النَّبيَّ ﷺ ونصرَه، قال الإمام أحمد رحمه الله: «من السُّنَّة: ذكرُ محاسنِ أصحابِ رسول الله ﷺ كلِّهم أجمعين»، والدُّعاءُ لهم قربة، والاقتداءُ بهم وسيلة.

ومحبَّتهم من أصول الدِّين، قال الطَّحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأُ من أحدٍ منهم»، وأفضل أولئك الجيلِ الفذِّ: أبو بكر الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو أرسخُهم إيماناً، وأغزرُهم علماً، وأكثرُهم ملازمةً للنَّبيِّ ﷺ، ثمَّ عمرُ الفاروقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يليه في الفضل والخلافة، كان حصناً حصيناً للإسلام في قوَّة سيرته وكمالِ عدله، وما لقيه الشَّيطان قطُّ سالكاً فجّاً إلا وسلك فجّاً غيرَ فجِّه.

وثالثُهم ـ كريمُ اليدِ عظيمُ النَّفس ـ: أبو عبد الله عثمانُ بنُ عفَّانَ بنِ أبي العاص، ذو النُّورين، أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الرَّاشدين، وصاحب الهجرتين، وأحد العشرةِ المبشَّرين بالجنَّة، ورفيق النَّبيِّ ﷺ فيها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّه ليس مِن نبيٍّ إلا ومعه من أصحابه رفيقٌ من أمَّته معه في الجنَّة، وإنَّ عثمان بنَ عفَّانَ هذا، رفيقي معي في الجنَّة**» (رواه أحمد).

يجتمع مع النَّبيِّ ﷺ في جدِّه الثَّالث، وهو حفيدُ عمَّةِ النَّبيِّ ﷺ البيضاءَ بنتِ عبدِ المطَّلب، لم يتزوَّج رجلٌ من الأوَّلين والآخرين ابنتي نبيٍّ غيرَه، أسلم قديماً على يدَيْ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكان رابعَ أربعةٍ في الإسلام، وبايع عنه ﷺ بيده في بيعة الرِّضوان، وقال: «**هذه يدي، وهذه يد عثمان**» (رواه أحمد)، أطول الخلفاء الرَّاشدين خلافة، مكث أميراً للمؤمنين اثني عشر عاماً.

كثيرُ العبادة خاشعٌ لله؛ لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩] قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هو عثمان». مطيعٌ للنَّبيِّ ﷺ مُقْتَفٍ أثرَه، وفيٌّ له ولصاحبيه أبي بكر وعمر، قال: «صحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غَشَشْتُه حتَّى توفَّاه الله عَزَّ وَجَلَّ، ثمَّ أبو بكر مثلُه، ثمَّ عمرُ مثلُه» (رواه البخاري)، قال عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ».

وَجِلٌ من ربِّه، يتذكَّر آخِرتَه، كثيرُ الزِّيارة للمقابر، إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتلَّ لحيته، ثابتٌ بيقينه، قدوةٌ لغيره، أمر النَّبيُّ ﷺ بالاقتداء به، ووصفه بالأمين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّكم تَلْقَوْنَ بعدي فتنةً واختلافاً**، فقال له قائل من النَّاس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: **عليكم بالأمين وأصحابِه**، وهو يشير إلى عثمانَ بذلك» (رواه أحمد)، ومن تعرَّف على الله في الرَّخاء؛ عرفه في الشِّدَّة، وعصمه من الفتن، ذكر النَّبيُّ ﷺ الفتن ذات يوم فقال: «**هذا على الهدى**، وأشار إلى عثمان» (رواه الترمذي).

سليمُ الصَّدر؛ لا يحمل حسداً أو حقداً على أحد، قال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنِّي لأرجو أن أكون أنا وعثمانُ ممَّن قال الله فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ [الأعراف: ٤٣]». عفيفٌ، حافظٌ لدينه، يقول: «واللهِ ما زنيت في جاهلية ولا إسلام»، دمثُ الأخلاق. وهبه الله علماً؛ فكان الصَّحابة يرجعون إليه، قال ابن سيرين: «كانوا يرون أعلمَهم بالمناسك عثمان».

منحه الله إيماناً راسخاً، وعقلاً راجحاً، بعثه النَّبيُّ ﷺ يفاوض قريشاً في الحديبية، قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لو كان أحد أعزُّ ببطن مكَّة من عثمان لبعثه مكانه» (رواه البخاري) قال الشَّعبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «كان عثمان في قريش محبباً يوصون إليه ويعظِّمونه»، وجعله عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحدَ أصحابِ الشُّورى السِّتَّةِ من بعده، فكان خيرَهم؛ فاختاروه خليفةً للمؤمنين ولم يَعْدِلوا به أحداً، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين بايعوه بالخلافة: «بايعنا خيرَنا، ولم نأل»، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان».

والإنفاق في مرضاة الله من علامات صدقِ الإيمان ومحبَّةِ المؤمنين والتَّوكُّلِ على الله، ولعثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اليدُ الطُّولى في البذل والعطاء، نظر

النَّبيُّ ﷺ في وجوه القوم يومَ جيش العسرة، والمسلمون يومئذٍ في شدَّةٍ وفاقة، فقال: «**من يُجَهِّزْ هؤلاء غَفَرَ اللهُ له؟** قال عثمان: فجهَّزْتُهُم حتى ما يَفْقِدون خِطاماً ولا عِقالاً» (رواه النسائي)، واشترى بيتاً لتوسعة مسجد النَّبيِّ ﷺ في عصر النُّبوَّة؛ لمَّا سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**من يوسِّعْ لنا بهذا البيت في المسجد ببيتٍ في الجنَّة؟**» (رواه أحمد)، وأعتق من المماليك ما لا يحصى، كان يقول: «ما أتت عليَّ جمعةٌ إلا وأنا أُعتِقُ فيها رقبة منذ أسلمت»، وقال لمواليه يوم حصاره: «من أغمد سيفه؛ فهو حرّ».

والحياء خلقٌ رفيعٌ يجمع المروءات، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان حَيِيّاً حتى مع نفسه، يكون في بيته وَحْدَه والبابُ مُغلقٌ عليه فما يَخْلَع عنه ثوبَه ليفيض الماء عليه، ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه وهو يغتسل، وليس في هذه الأمَّة من يدانيه في حيائه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أصدقُهم حياءً: عثمان**» (رواه الترمذي)، وكان النَّبيُّ ﷺ يستحي منه، قعد النَّبيُّ ﷺ ذات يوم في مكانٍ فيه ماء قد انكشف ثوبُه عن ركبتيه، فلمَّا دخل عثمان غطَّاها (متفق عليه)، والملائكة تستحي منه، كان النَّبيُّ ﷺ مضطجعاً على فراشه، فلمَّا دخل عثمان جلس وقال: «**أَلَا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة!**» (رواه مسلم).

والقرآن كلام ربِّ العالمين، وصفه الله بالبركة والكرم والهدى، من قَرُب منه نالته البركة، وعلت عند الله درجته، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محِبّاً لكتاب الله، قال الحسن: «ما مات عثمان حتى خَرِق ـ أي: خَلِق ـ مصحفُه من كثرة ما يُديمُ النَّظر فيه»، وقرأ القرآنَ كاملاً مراراً في ركعة واحدة من العشاءِ إلى الفجر، وكان يقول: «لو أنَّ قلوبَنا طَهُرت ما شَبِعْنا من كلام ربّنا».

ومن حسناته العظيمةِ: جمعُ النَّاس على قراءة واحدة، وأَمْرُه بكتابة المصحفِ على العرضة الأخيرة التي دارس فيها جبريلُ النَّبيَّ ﷺ في آخر

حياته، فأمر زيدَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه أن يكتب المصحف كاملاً بخطِّ يده، ويفرِّقَه في الأمصار، وسُمِّي نوعُ خط المصحف باسمه، فقيل: «الرَّسم العثماني»؛ نسبةً إلى أَمْرِه وزمانه وإمارته. نفعه القرآن ونفع النَّاس به، ولا فلاح لهذه الأمة إلا بالقرآن والعمل به، قال ابن كثير رحمه الله: «وفي عصر عثمانَ بنِ عفَّانَ امتدَّت الممالك الإسلاميَّة إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها؛ وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمَّة على حفظ القرآن»، ولتعلُّقه بكتاب الله؛ كانت خاتمته عليه، فقُتِل والمصحف في حِجْره، وسال الدَّم على مصحفه.

ومع عبادته وخشيته لله؛ كان خليفة راشداً محنَّكاً، فتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار، واتَّسعت رقعة المسلمين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أمَّتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها**» (رواه مسلم) قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا كلُّه تحقَّق وقوعه، وتأكَّد وتوطَّن في زمان عثمان رضي الله عنه».

وكان النَّاس في خلافته في عيش رغيد، وأَمْنٍ وطيد، وفي أُلفة واتِّفاق، وَصَف الحسن حالَهم بقوله: «الأُعطيات في خلافته جارية، والأرزاقُ دارَّة، والعدوُّ مُتَّقى، وذاتُ البين حسن، والخيرُ كثير، وما مؤمنٌ يخاف مؤمناً من لقيه فهو أخوه من كان».

ونَهْجُ الصَّحابةِ: سلامةُ قلوبهم لبعضهم، ومحبَّتُهم لبعضهم، وتوقيرُ أحدهم الآخر، وكان الصَّحابة يجلُّون عثمانَ في حياة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وبعد مماته، وكان مفضَّلاً عندهم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنَّا نَعُدُّ ـ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ وأصحابه مُتَوافِرُون ـ: أبو بكر، وعمر، وعثمان» (رواه أحمد)، وقال عليٌّ رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر وعمر: «كان عثمان خيرَنا وأحسنَنا طُهوراً»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «إنَّه لأوصلهم للرَّحم، وأتقاهم للرَّبّ»، وكان يحبُّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكنَّى نفسه باسم أبي بكر عبد الله، ومِنْ أبنائه

مَنْ اسمه عمر، ومِنْ بناته مَنْ سمَّاها عائشة.

ولـمَّا عَمَّ الرَّخاء ورسخ الأمن، وانتشر الإسلام في الأرض في خلافته: استعجل مرضى القلوبِ موتَه، واستطالوا حياته؛ فقتلوه وعمُرُه اثنان وثمانون عاماً وهو صائم، والمصحف في حِجْرِه وهو يتلو كتاب الله، وكان مقتلُه أوَّلَ الفتن في هذه الأمَّة، قال حذيفة رضي الله عنه: «أوَّلُ الفتن: قتل عثمان، وآخر الفتن: الدَّجَّال»، وحَزِن الصَّحابة لمقتله، قال عليٌّ رضي الله عنه يومَ مقتلِ عثمان: «أَنْكَرْتُ نفسي»، ولـمَّا بلغ سعدُ بنُ أبي وقَّاص رضي الله عنه خبرَ مقتلِه استغفَرَ له، وترحَّم له، ودعا على من قتله بقوله: «اللَّهُمَّ أندمهم ثمَّ خذهم»، وكان سعدٌ مجابَ الدَّعوة، وأقسم بعضُ السَّلف أنَّه ما مات أحد من قَتَلةِ عثمان إلا مقتولاً.

وبعد: أيُّها المسلمون:

فواجبٌ محبَّةُ صحابةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذَّبُّ عنهم، ولزومُ طريقتهم؛ فقد حفظوا دين الله وشريعته، وكانوا أكملَ النَّاسِ حبّاً للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له وتأسِّياً به.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

المؤمن نفعه متعدٍّ لغيره، وما قدَّمه عثمان رضي الله عنه لنفسه وللإسلام والمسلمين؛ من الأعمال والفتوحاتِ، ودخولِ النَّاس في الدِّين، وجمعِهِ القرآنَ الكريمَ، كلُّ ذلك حسنةٌ من حسنات أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، فهو الذي دعاه للإسلام فأسلم؛ فكان أحدَ السَّابقين ومن الخلفاء الرَّاشدين المأمور بالاقتداء بهم، فعلى كلِّ مسلم أن يدعوَ غيرَه إلى هذا الدِّينِ والتَّمسُّكِ به، فَلَأَن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعم، والله ذو الفضل العظيم.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

سبعةٌ يظلِّهم اللَّهُ في ظلِّه

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

الخَلْقُ راحلون عن هذه الدَّار إلى الدَّار الآخرة، وواقفون موقفاً عصيباً يشيب منه شعرُ المولود، قال سبحانه: ﴿يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥]، وهم حفاة عراة لا تسمع منهم إلا همساً، والملائكة صفّاً صفّاً على أرض المحشر، وَجَلٌ شديد، أرضٌ غيرُ أرضهم، وسماءٌ غيرُ السَّماء التي يعرفونها، وشمسٌ دنت من رؤوسهم قدر ميل، والعَرَقُ في الأرض إلى سبعين ذراعاً، ويرتفع إلى أفواههم.

في ذلك الكرب العظيم: يتكرَّم الله بحفظ عبادٍ له، لا ينالهم ضررُ الشَّمس، ولا يؤذيهم عرق، ويظلُّهم تحت ظلِّ أعظم مخلوقٍ خلقه، قال

النَّبيُّ ﷺ: «**سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ؛ فقال: إنِّي أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ؛ فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً؛ ففاضت عيناه**» (متفق عليه) قال ابن عبد البرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا أحسنُ حديثٍ يُروى في فضائل الأعمال، وأعمُّها، وأصحُّها، وحسبك به فضلاً: أنَّ كلَّ من كان في ظلِّ الله يوم القيامة لم يَنَلْهُ هول الموقف»، وكلٌّ من هؤلاء خافَ ربَّه وأخلص لله في عمله.

فالإمام العادل؛ تصلح به أمور الدُّنيا والدِّين، والقيامُ بالعدل من أعمال النُّبوَّة، قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾ [الشورى: ١٥]، والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بايعوا النَّبيَّ ﷺ على إقامة العدل، قال عبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بايعنا رسول الله ﷺ أن نقول بالعدل أينما كنَّا، لا نخاف في الله لَوْمَةَ لائم» (رواه النسائي)، والعادل يؤدِّي عبادة عظيمة، فلا يَرُدُّ الله له دعوة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثلاثٌ لا تُردُّ دعوتُهم: الإمام العادل، والصَّائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم**» (رواه الترمذي)، وفي الآخرة يُدْنِيهِ منه سبحانه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ المقسطين عند الله يوم القيامة، على منابرَ من نورٍ عن يمين الرَّحمن، الذين يَعْدِلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**» (رواه مسلم)؛ بل ويزيده الله من فضله، ويظلّه تحت ظلّ عرشه. ويَدْخُل في الإمام العادل: مَنْ وَلِيَ أمراً فعدل فيه؛ من قاضٍ، ومعلِّمٍ، ووالدٍ، وأمٍّ، ونحوهم.

والعبادة في الشَّباب أشدّ؛ لقوَّة الباعث على اتِّباع الهوى، ومن نشأ من شبابه في عبادة ربِّه؛ تولَّاه الله ورعاه، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا إلى التَّوحيد في شبابه وأنذر من الشِّرك؛ فكان خليلَ الرَّحمن ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، والإمام البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صنَّف كتابه: «التَّاريخ الكبير» في رجال أهل الحديث، وعمره ثمانيةَ عشر عاماً. وفي الآخرة وُعِد كلُّ شابٍّ صالحٍ بظلٍّ تحت ظلِّ العرش.

وبيوتُ الله أحبُّ البقاع إليه، وواجبٌ إقامةُ ركنِ الإسلام الثَّاني فيها، إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنى البيت ودعا أن يكون هو وذريَّتُه من مقيمي الصَّلاة، والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بايعوا النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقامتها، قال جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بايعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقامةِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، والنُّصحِ لكلِّ مسلم» (متفق عليه)، ومن خطا خَطوة إلى بيت الله؛ كُتبتْ له حسنة، ومُحِيَتْ عنه خطيئة، ومن انتظر صلاةً؛ نال أرفعَ الدَّرجاتِ ودعاءَ الملائكة، ومن كان شديدَ الحبِّ للمساجد ملازماً للجماعة فيها، لا يَخْرُجُ من صلاةٍ إلا وهو منتظرٌ بقلبه الصَّلاةَ الأخرى؛ أثابه الله بظلٍّ تحت ظلِّ العرش.

والإنسان يأنس بغيره، والمرءُ مع من أحبّ، ومن كانت محبَّته في الدُّنيا على غير طاعة الله؛ انقلبت عداوةً يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، والمحبَّة في الله من أعظم القُرُبات، قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقتها: ألا تزيدَ بالبرِّ، ولا تَنْقُصَ بالجفاء»، وهي من أسباب محبَّة الله للعبد، وكان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُظهرُ وُدَّه لصحابته، أخذ بيد معاذ وقال له: «**يا معاذ! واللهِ إنِّي لأحبّك**» (رواه أبو داود)، ومن كانت محبَّته لأخيه على طاعة الله، وحبُّه لله ورسولِه أحبَّ إليه من نفسه ـ وهو فَرِحٌ بالإسلام ـ؛ نال حلاوة الإيمان، وإذا اجتمع مسلمان على حبِّ الله واستمرَّا عليه حتى تفرَّقا من مجلسهما وهما صادقان في حبِّ كلِّ واحدٍ منهما صاحبَه ـ حال اجتماعِهما وافتراقِهما ـ؛ أظلَّهما الله تحت ظلِّ عرشه، بل ويكرمهم مع الظِّلِّ بجلوسهم على منابرَ من نورٍ تحت العرش، قال

النَّبيُّ ﷺ: «**المتحابُّون في الله، على منابرَ من نورٍ في ظلِّ العرش، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه**» (رواه الترمذي).

والعفَّةُ أصلٌ في المروءات، ومفتاحُ العفاف: غضّ البصر عن المحرَّمات، وحفظ الفرج. وغضّ البصر ممَّا أمر به النَّبيُّ ﷺ في مَطْلَعِ دعوته، قال هرقُل لأبي سفيان: «بمِ يأمركم به؟ قال: يأمرنا بالصَّلاة والصَّدقة والعفاف». ومن طلب العفَّة بصدق نالها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ومن يستعفف يعفَّه الله**» (رواه البخاري). والصَّبر عن دعوة امرأةٍ إلى نفسها للمحرَّم من أكمل المراتب وأعظم الطَّاعات، يوسفُ عليه السلام ـ وهو شابٌّ في دارِ غربةٍ لا يعرفه فيها أحد ـ راودته امرأةُ العزيز، قال ابن كثير رحمه الله: «وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشَّباب»، راودته في دارها والأبوابُ مغلقةً فخاف ربَّه وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾؛ فبقي ذكره خالداً في كتاب الله من الصَّالحين.

وعلى هذه العبادة العظيمة من العفاف: سار رجال الأمَّة، قال عثمان رضي الله عنه: «ما زنيت في جاهليَّةٍ ولا إسلام، تركتُه في الجاهليَّة تكرُّهاً، وفي الإسلام تعفّفاً»، وقال الثَّوري رحمه الله: «أوَّلُ ما نبدأ به في يومنا: عفَّةُ أبصارنا».

والصَّدقة تُطفئ غضبَ الرَّحمن، وبها تتضاعف الأجور، وتكفِّر الخطايا والأوزار، والمتصدِّق آمنٌ في الدّنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، والإنفاق يفرّج الكروب، لمَّا نزل الوحي على النَّبيِّ ﷺ أوَّلَ ما نزل، قال لخديجة رضي الله عنها: «**لقد خشيت على نفسي**، فقالت له: كلَّا! واللهِ لا يُخْزيكَ الله أبداً، إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكَلّ، وتعين على نوائب الحق» (رواه البخاري)، ويمتدُّ نفعها إلى تفريج كروب المحشر، فيكون المتصدِّق في ظلِّ صدقته

يوم القيامة، وَمَنْ أخفى صدقته ـ ولو قلَّتْ ـ؛ أكرمه الله بظلٍّ آخرَ غيرِ ظلِّ صدقته، وهو ظلٌّ تحت العرش.

وكمال الإخلاص في إخفاء الطَّاعة، وذكرُ الله يعظِّم الخالق ويُنوِّرُ القلب، والله أمر بالإكثار من ذكره باللَّيل والنَّهار، قال ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، وكان النَّبيُّ ﷺ يمكث في مصلَّاه يذكر الله بعد الفجر حتى تطلعَ الشَّمس (رواه مسلم)، وكان يتعوَّذ بالله من عينٍ لا تدمع.

وإذا تواطأ خشوع قلبٍ صادقٍ مع ذرفِ دمعٍ خفيٍّ؛ حرَّم اللهُ صاحبَه من دخول النَّار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يَلِجُ النَّارَ رجلٌ بكى من خشية الله، حتى يعودَ اللَّبنُ في الضَّرع**» (رواه الترمذي)، وإذا توارت تلك العبادة عن الأنظار وبعدت عن الرِّياء؛ أظلَّ الله الخاشع تحت ظلِّ عرشه.

والسُّنَّة إخفاءُ صوتِ البكاءِ وعدمُ إظهاره، قال عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يصلِّي وفي صدره أَزِيزٌ كأزيز المِرْجَلِ من البكاء» (رواه أبو داود)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «قرأت على رسول الله ﷺ سورة النِّساء حتى إذا بَلَغْتُ ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] رفعت رأسي فرأيت دموعَه تسيل» (متفق عليه) قال ابن القيِّم رحمه الله: «وأمَّا بكاؤه ﷺ: فلم يكن بشهيقٍ ورفعِ صوت، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهمُلا، ويُسمع لصدره أَزِيز».

فالسَّعيد من أدَّى العباداتِ على الكمال مع الإخلاص والمتابعة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أثنى الله على مَنْ سارع إلى الخيرات، وأدَّى العباداتِ بتمامٍ وإخلاص، فالإمام العادل: كمَّل إمارته بالعدل، والشَّابُّ النَّاشئُ في عبادة الله: كمَّل عبادته لربِّه بمراقبته، ومن كان قلبه معلَّقاً بالمساجد: كمَّل عمارة المساجد بالصَّلوات الخمس، والمسلم العفيف: كمَّل الخوف من الله، والمتصدِّق سرّاً: كمَّل الصَّدقة لله، والباكي في خلوته: كمَّل الإخلاص. ومن أنظر معسراً أو وضع عنه؛ أظلَّه في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، ومن تعرَّف على الله في الرَّخاء؛ عرفه في يوم الشِّدَّة، ومن نسي ربَّه؛ نسيه في شدَّة حاجته إليه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

وجوبُ صلاة الجماعة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أمر الله ﷻ خلقه بإفراده بالعبادة، فلا يُقبلُ عملٌ بلا توحيد، وثنَّى بعبادةٍ بعد توحيده سبحانه وأكثر من ذكرها وأمر الرُّسلَ بها، فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣١]، ودعا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يكون هو وذريَّته من المؤدِّين لها ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وأثنى على إسماعيلَ عليه السلام لأمره أهلَه بها ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥]، وهي من الميثاق الذي أُخِذَ على الأمم السَّابقة ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣]، وهي من وصايا لقمان ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: ١٧]، وأُمرتْ هذه

الأمَّةُ بالمحافظة عليها ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وأُمر بها النِّساء ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وهي من أُسُسِ الإيمان، قال النَّبيُّ ﷺ لوفد عبد القيس: «**هل تدرون ما الإيمانُ بالله؟ شهادةُ ألا إله إلا الله وأن محمَّداً رسول الله، وإقامُ الصَّلاة، وإيتاءُ الزَّكاة**» (متفق عليه)، ومنزلتها في الدِّين بعد الشَّهادتين، وكان النَّبيُّ ﷺ يأمر بها في أوائلِ دعوته، قال هِرَقِلُ لأبي سفيان: بم يأمركم ـ يعني: النَّبيّ ﷺ ـ؟ قال: «بالصَّلاة والزَّكاة، والعفافِ والصِّلة» (متفق عليه).

وهي أحبُّ الأعمال إلى الله، سُئِل النَّبيُّ ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الصَّلاةُ على وقتها، ثمَّ برُّ الوالدين**» (متفق عليه)، وخُصَّت من بين سائر العبادات بفرضيَّتها في السَّماء فلم ينزل بها مَلَكٌ إلى الأرض؛ بل كلَّم الله نبيَّنا محمداً ﷺ بفرضيَّتها من غير واسطة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ثمَّ ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، فَفَرض عليَّ خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلة**» (متفق عليه)، عَظُمتْ منزلتُها فَفُرِضت خمسين صلاة، ثمَّ خُفِّفت إلى خمسٍ في العدد، وبقيت خمسين في الثَّواب.

أَحبّها الصَّحابةُ فكانوا يؤدُّونها في أشدِّ المواطن، قال جابر رضي الله عنه: «غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً فقاتلونا قتالاً شديداً، فقال المشركون: إنَّه ستأتيهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من أولادهم» (رواه مسلم)، وبايعوا النَّبيَّ ﷺ عليها، قال جرير رضي الله عنه: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، والنُّصحِ لكلِّ مسلم» (متفق عليه).

الصَّلاة خيرُ عونٍ على أمور الدُّنيا والدِّين، تُجمِّل المرءَ بمكارم الأخلاق، وتنهاه عن الفحشاء والمنكرات، ماحيةٌ للخطايا، مكفِّرةٌ

للسَّيِّئات، شبَّهها النَّبيُّ ﷺ بالنَّهر الجاري المزيلِ للأدران، تحفظُ العبدَ من الشُّرور ومهالكِ الرَّدى، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من صلَّى الصُّبح؛ فهو في ذمَّة الله**» (رواه مسلم)، ترفع عن العبد المصائبَ والفتن والآفاتِ والمعايب، قال سبحانه: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ٤٥] قال ابن كثير رحمه الله: «الصَّلاة من أكبر العون على الثَّبات في الأمر».

تفتح أبواب الرِّزق وتيسره، قال سبحانه عن زكريَّا عليه السلام: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال عن مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، تقوِّي البدن وتشرح الصَّدر، إذا ٱستيقظ العبد فذكر الله، ثمَّ توضَّأ وصلَّى ركعتين، أصبح يومَه نشيطاً طيِّب النَّفس (رواه البخاري)، وصفها النَّبيُّ ﷺ بأنَّها نور فقال: «**والصَّلاة نور**» (رواه مسلم).

وهي من موجبات دخول الجنَّة والرِّفعةِ فيها، سأل ثوبانُ النَّبيَّ ﷺ فقال: أخبرني بعمل أعمله يُدخِلُني اللهُ به الجنَّةَ ـ أو قال: بأحبِّ الأعمال إلى الله ـ؟ قال: «**عليك بكثرة السُّجود لله، فإنَّك لا تسجد لله سجدةً، إلا رفعك الله بها درجة، وحَطَّ عنك بها خطيئة**» (رواه مسلم)، والصَّلاةُ من أسباب مرافقة النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة، قال ربيعة بن كعب رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**سَلْ؟** فقلت: أسألُك مرافقتَك في الجنَّة، قال: **أَوَ غير ذلك؟** قلت: هو ذاك، قال: **فأعنِّي على نفسك بكثرة السُّجود**» (رواه مسلم)، كانت قرَّةَ عين النَّبيِّ ﷺ، وجعلها آخرَ وصيَّتِه في حياته، قال أنس رضي الله عنه: «كان عامَّةُ وصيَّةِ النَّبيِّ ﷺ حين حضره الموت: **الصَّلاةَ وما ملكت أيمانكم**» (رواه أحمد)، فضائلُها جمَّة، ومنافعُها متعدِّية، قال عنها النَّبيُّ ﷺ: «**لو يعلمون ما فيهما، لَأَتَوْهُمَا ولو حَبْواً** ـ أي: زحفاً على الأيدي والرُّكب ـ» (متفق عليه).

فَرْضٌ على كلِّ مسلم أداؤها في كلِّ مكان وعلى أيِّ حال، قال عليه

الصَّلاة والسَّلام: «**وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ أدركته الصَّلاةُ؛ صلَّى حيث كان**» (متفق عليه)، والإسلام جعلها ميزاناً بين الإسلام والكفر، قال النَّبيُّ ﷺ: «**بين الرَّجل وبين الشِّرك والكفر: تركُ الصَّلاة**» (رواه مسلم) قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: «لا إسلام لمن لم يصلِّ»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من ترك الصَّلاة؛ فلا دين له».

وفعلها واجب في وقتها، قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «لم تكن إضاعتُهم تركَها، ولكن أضاعوا وقتها». قال إسحاق بن رَاهَوَيه رحمه الله: «رأيُ أهل العلم ـ من لدن النَّبيِّ ﷺ إلى يومنا هذا ـ: أنَّ تركَ الصَّلاة عمداً من غير عذر حتى يذهبَ وقتُها؛ أنَّه كافر».

والله أوجب أدائها جماعةً في بيوت الله؛ بل لم يَعْذُرِ النَّبيُّ ﷺ فاقدَ البصر من الإتيان إليها، جاء رجلٌ أعمى إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! إنِّي رجلٌ أعمى ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فقال رسول الله ﷺ له: «**هل تسمع النِّداء بالصَّلاة؟** قال: نعم، قال: **فأجب**» (رواه مسلم)، وقد هَمَّ النَّبيُّ ﷺ أن يحرق بيوت أُناس لا يشهدون الصَّلاة في المساجد لولا ما فيها من النِّساء والذُّرِّيَّة (متفق عليه) قال ابن حجر رحمه الله: «هذا الحديث ظاهر في كون صلاة الجماعة فرضَ عين؛ لأنَّها لو كانت سُنَّةً لم يُهدِّد تاركَها بالتَّحريق، ولو كانت فرضَ كفاية؛ لكانت قائمةً بالرَّسول ومن معه».

والتَّفريط في صلاة الجماعة؛ من أسباب استحواذ الشَّيطان على العبد، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصَّلاة، إلا استحوذ عليهم الشَّيطان**» (رواه أبو داود) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها إلا منافقٌ معلومُ النِّفاق».

وشهودها أَمارة على الإيمان، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [التوبة: ١٨]، وكان الصَّحابة يؤدُّونها جماعة ولو مع المشقَّة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لقد رأيتُ الرَّجلَ يُؤتَى به يُهَادَى بين الرَّجلين حتى يقامَ في الصَّف»، قال الرَّبيعُ بنُ خيثمٍ رحمه الله: «إن استطعتم أن تأتوها فأتوها ولو حَبْواً»، وآخر ما رآه النَّبيُّ ﷺ من صحابته قبل وفاته، رآهم وهم يصلُّون جماعة، قال أنس رضي الله عنه: «كشف النَّبيُّ ﷺ سِتْر حُجرته في مرضه الذي مات فيه، فنظر إلى النَّاس صفوفاً يصلون، فتبسَّم ضاحكاً، قال أنس: فكانت آخرَ نَظْرةٍ نظرها إلى صحابته» (متفق عليه).

واللهُ قِبَلَ وَجْهِ المصلِّي، والخشوعُ: هو روح الصَّلاة، وكان النَّبيُّ ﷺ يصلِّي ولصدره أَزِيزٌ كأزيز المِرْجَلِ من البكاء، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلتَ منها». قال الكَرْميُّ رحمه الله: «كان شيخ الإسلام إذا دخل في الصَّلاة ترتعد أعضاؤه ـ أي: من شدَّة خوفه من الله ـ».

فَأقْبلُوا عليها بخشوع وفرح بأدائها جماعة؛ تَطْهُرْ أرواحُكم، وتُمحى زَلَّاتُ ألسنتِكم وما اقترفته جوارحكم، وتُرفعْ درجاتُكم.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الصَّلاةُ سببُ الفوز والفلاح، مَنْ مشى إليها لم يَخْطُ خَطوةً إلا رفعه الله بها درجة، وحَطَّ عنه خطيئة، وتُصلِّي عليه الملائكةُ ما دام في مجلسه الذي يُصلِّي فيه تقول: «**اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه**» (متفق عليه)، و«**من صلَّى العشاءَ في جماعة؛ فكأنَّما قام نصفَ اللَّيل، ومن صلَّى الصُّبح في جماعة؛ فكأنَّما قام اللَّيل كلَّه**» (رواه مسلم)، ومن تعلَّق قلبه بالصَّلاة يتحيَّن النِّداءَ للصَّلاة التي تليها؛ أظلَّه الله تحت ظلِّ عرشه، فأدُّوا الصَّلواتِ المفروضةَ جماعةً في بيوت الله، طيِّبةً بها نفوسُكم، منشرحةً بها صدورُكم؛ تنالوا ثواب ربِّكم.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

الاستعداد لرمضان

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعُروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

تذهب اللَّيالي والأيَّام سِراعاً، والعامُ يَطْوِي شهورَه تباعاً، وسنةُ الله في كونه قُدُومٌ وفَوَات، واللهُ أكرمَ عبادَه فشرع لهم مواسمَ في الدَّهر تُغْفَرُ فيها الذُّنوبُ والخطيئات، ويُتزوَّدُ فيها من الأعمالِ الصَّالحات، وفي العامِ شهرٌ هو خيرُ الشُّهور، بعثَ اللهُ فيه رسولَه وأنزل فيه كتابَه، يرتقبُهُ المسلمون في كلِّ حولٍ وفي نفوسِهِم له بَهْجَة، يؤدُّون فيه ركناً من أركانِ الإسلام. يُفعَلُ خالصاً، ويتلذَّذ فيه المسلم جائعاً، يحقِّق العبد فيه معنى الإخلاص؛ لينطلق به إلى سائر العبادات بعيداً عن الرِّياء، ثواب صومه لا حدَّ له من المضاعفة؛ بل ذلك إلى الكريم، قال النَّبيُّ ﷺ:

«قال الله ﷻ: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له؛ إلا الصَّوم فإنَّه لي وأنا أجزي به» (متفق عليه).

الصِّيام يُصلحُ النُّفوسَ، ويدفعُ إلى اكتسابِ المحامد والبُعدِ عن المفاسد، به تُغْفَرُ الذُّنوب وتكفَّرُ السَّيِّئات، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**» (متفق عليه). شهرُ الطَّاعةِ والإحسان، والمغفرةِ والرِّضوان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا دخل رمضان: فُتِّحتْ أبوابُ السَّماء، وغُلِّقتْ أبوابُ جهنَّم، وسُلْسِلَتِ الشَّياطين**» (متفق عليه).

فيه صبرٌ على حمأةِ الظَّمأ ومرارةِ الجوع، ومجاهدةُ النَّفس على زَجْرِ الهوى، جزاؤهم بابٌ من أبواب الجنَّة لا يدخله غيرهم، فيه تذكيرٌ بحال الجوعى من المساكين والمُقْتِرين، يستوي في الصَّوم المُعدِم والمُوسِر، كلُّهم صائمٌ لربِّه، مستغفرٌ لذنبه، يمسكون عن الطَّعام في زمنٍ واحد، ويُفْطِرُونَ في وقتٍ واحد، يَتَسَاوَوْنَ طيلةَ نهارهم بالجوع والظَّمأ؛ ليتحقَّقَ قولُ اللهِ في الجميع: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

والقرآنُ العظيمُ؛ أصلُ الدِّين وآيةُ الرِّسالة، نزلَ في أفضل الشُّهور ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ونزولُه فيه إيماءٌ لهذه الأمَّة بالإكثار من تلاوته وتدبُّره، وكان جبريل ﵇ ينزل من السَّماء، ويدارسُ فيه نبيَّنا محمَّداً ﷺ، وفي العام الذي توفِّيَ فيه عَرَضَ عليه القرآنَ مرَّتين، وكان الإمام مالك ﵀ إذا دخل رمضان أقبلَ على تلاوة القرآن وتَرَكَ الحديثَ وأهلَه.

وللصَّدقة نفعٌ كبيرٌ في الدُّنيا والآخرة؛ فهي تدفعُ البلاء، وتُيسِّرُ الأمور، وتَجْلِبُ الرِّزق، وتطْفِئُ الذُّنوب كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وهي ظلٌّ لصاحبِها يومَ القيامة، والمالُ لا يَنْقصُ بالصَّدقة؛ بل هو قرضٌ

مضمونٌ عندَ الغنيِّ الكريم ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]، يضاعفه في الدُّنيا بركةً ونقاءً، ويجازيه في الآخرة نعيماً مقيماً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما من يوم يُصْبِحُ العبادُ فيه؛ إلا مَلَكَانِ ينزلان، فيقولُ أحدُهما: اللَّهُمَّ أَعْطِ منفِقاً خلفاً، ويقولُ الآخَر: اللَّهُمَّ أَعْطِ ممسِكاً تلفاً**» (متفق عليه). فتحسَّسْ دُورَ الفقراءِ والمساكين، ومساكنَ الأراملِ والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كربةٍ لك، ودفعُ بلاءٍ عنك، وإشباعُ جائعٍ، وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرة، وإغناءٌ عن السُّؤال، والنَّبيُّ ﷺ كان أكرمَ النَّاس وأجودَهم، إنْ أنفقَ أَجْزَل، وإنْ مَنَحَ أَغْدَق، وإنْ أعطى أعطى عطاءَ من لا يخشى الفاقة، وكان يستقبلُ رمضانَ بفيضٍ من الجود، ويكون أجودَ بالخير من الرِّيح المرسَلة، والمال لا يُبْقِيهِ حِرصٌ وشحّ، ولا يذهبه بذلٌ وإنفاق.

وليالي رمضان تاجُ ليالي العام، من قامها إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدَّم من ذنبه، ودُجَاهَا ثمينة بالعبادة فيها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أفضلُ الصَّلاة بعد الفريضة: صلاةُ اللَّيل**» (رواه مسلم)، و«**من صلَّى مع الإمام حتى ينصرف؛ كُتِبَ له قيامُ ليلة**» (رواه الترمذي)، وفيها ليلة مضاعفة هي أمُّ اللَّيالي ـ ليلة القدر والشَّرف ـ خيرٌ من ألف شهر، وفي كلِّ ليلةٍ يُفتَحُ بابُ إجابةٍ من السَّماء، وخزائن الوهَّاب مَلْآى، فَسَلْ من جودِ الكريم، واطلُبْ رحمةَ الرَّحيم، فرمضان شهرُ العطايا والنَّفحات، والمننِ والهِبات، وأعجزُ النَّاس مَنْ عجَز عن الدُّعاء.

والأيَّامُ صحائف الأعمار، والسَّعيد من خلَّدها بأحسن الأعمال، ومن نقلَه الله من ذلِّ المعاصي إلى عزِّ الطَّاعة؛ أغناه بلا مال، وآنَسَه بلا أنيس، وراحةُ النَّفس في قلَّة الآثام، ومن عرف ربَّه اشتغل به عن هوى نفسه، وبعض النَّاس أَرْخَصَ لياليَه الثَّمينةَ باللَّهو وما لا نفع فيه، فإذا انقضى شهر الصِّيام رَبِح النَّاسُ وهو الخاسر، ومن النَّاس من يصوم

وهو لا يصلِّي، والصَّوم لا يُقْبَلُ إلا بتوحيدٍ وصلاة.

والمرأةُ مأمورةٌ بالإكثار من تلاوة القرآنِ، والذِّكرِ والاستغفار، والإكثارِ من نوافلِ العبادات، وصلاةُ التَّراويح في بيتها أفضلُ من أدائِها في المساجد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وبيوتُهُنَّ خيرٌ لهنَّ**» (رواه أبو داود)، وعليها بالسِّتر والحياء، ومراقبةِ ربِّها في غيبة وليِّها وشهودِه، والصَّالحةُ منهنَّ موعودةٌ برضا ربِّ العالمين عنها، وتمسُّكُها بدينها، وسترُها واعتزازُها بحجابها، يُعلي شأنَها ويعزِّزُ مكانَها، وهي فخر المجتمع وتاجُ العفاف وجوهرةُ الحياة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

باركَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من خيرِ ما يُسْتَقبَلُ به رمضانُ مداومةُ الاستغفارِ، والإكثارُ من حمدِ اللهِ على بلوغه، والسَّابقون للخيرات هم السَّابقون إلى رفيع الدَّرجات في الجنَّة، فتعرَّضوا لأسبابِ رحمةِ الله في شهره الكريم، وتنافسوا في عمل البرِّ والخيرات، واستكثروا فيه من أنواع الإحسان، وترفَّعُوا عن الغيبة والنَّميمة وسائر الخطيئات، ولا يفوتك خيرٌ بسببِ سهرٍ على غير طاعة، ولا يصدُّك نومٌ عن عبادة، وإن استطعتَ ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

نفحاتُ رمضان

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

امتنَّ الله على عباده بأنْ شرع لهم أنواعاً من العبادات؛ لتتنوَّعَ اللَّذَّاتُ في جنَّات النَّعيم، وقد جعل سبحانه لكلِّ عمل من الأعمال المحبوبةِ له والمسخوطةِ أثراً وجزاءاً، ولذَّة وألماً يخصّه، لا يُشْبه أَثَرَ الآخَرِ وجزاءَه؛ ولهذا تنوَّعت لذَّاتُ أهلِ الجنَّةِ وآلامُ أهلِ النَّار، وتنوَّع ما فيهما من الطيِّبات والعقوبات؛ فلبرِّ الوالدين جزاء، ولصلة الرَّحم ثواب، ومن حافظ على الصَّلاة دخل من باب الصَّلاة، ومن كان من أهل الصَّدقات دخل من باب الصَّدقة، ومن كان من أهل الصِّيام دخل من باب الرَّيَّان، وكلّ باب لأهله من الجزاء ما ليس لغيرهم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تنوَّعت أعمالُه المَرْضيَّةُ المحبوبةُ له في هذه الدَّار؛ تنوَّعت الأقسام التي يتلذَّذ بها في تلك الدَّار، وتكثَّرت له بحسب تكثُّرِ

أعمالِه هنا، وكان مزيدُه بتنوُّعها والابتهاجِ بها والالتذاذِ هناك، على حسب مزيده من الأعمال وتنوُّعِه فيها في هذه الدَّار».

فرمضان تُضاعف فيه الأعمال، وتكفَّر فيه الخطايا والأوزار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الصَّلوات الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان؛ مكفِّراتٌ لِمَا بينهما، إذا اجتنبت الكبائر**» (رواه مسلم)، وهو شفيعٌ لأصحابه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما استعان أحدٌ على تقوى الله، وحفظِ حدوده، واجتنابِ محارمه، بمثل الصَّوم».

وفي تلاوة القرآن؛ أجرٌ عظيمٌ، كلُّ حرفٍ بحسنة، والحسنةُ بعشر أمثالها، والعبد منزلته في الآخرة عند آخِرِ آيةٍ كان يرتِّلها في الدُّنيا، وفي القبر والحشر يشفع القرآن لصاحبه عند الله، وهو نورٌ وهدًى وشفاء، قال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو طَهُرت قلوبُكم، ما شبعت من كلام ربِّكم».

وأفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاةُ اللَّيل، وهي من أعمال أهل الجنَّة، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨]، وصلاة اللَّيل من أسباب دخول الجنَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يا أيُّها النَّاس! أفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا باللَّيل والنَّاسُ نيام؛ تدخلوا الجنَّة بسلام**» (رواه الترمذي)، وكان النَّبيُّ ﷺ يقوم من اللَّيل حتى تتفطَّر ـ أي: تتشقَّق ـ قدماه من القيام، وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يُحْيُون زمناً من اللَّيل بالصَّلاة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه في وصفهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ١٩]، ومن صلَّى مع الإمام حتى ينصرف؛ كُتب له قيامُ ليلة.

والمرء في ظلِّ صدقته يومَ القيامة، وموعودٌ بالمغفرة والغنى، قال

سبحانه: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، والمنفِقُ المؤمن آمِنٌ في الدُّنيا والآخرة، قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗىۙ لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، والمتصدِّق تُيسَّر له أعمالُه، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [اللَّيل: ٥ ـ ١٠]، وكان النَّبيُّ ﷺ أعظمَ النَّاسِ صدقة، ولا يستكثرُ شيئاً أعطاه، ولا يَردُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أحبَّ شيء إليه، وكان سروره بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخِذِ بما يأخذه.

والزَّكاةُ من أركان هذا الدِّين، لا يقوم الإسلام إلا بها، تُطهِّرُ المال وتنمِّيه وتزكِّيه، فطبْ بها نفساً، وابذُل بها كفاً، ووَاسِ بها محروماً أو يتيماً أو من فقد عائلاً، وأخْلِصْ بها قلباً، واحذر التَّسويف في إخراجها فلا تعلمُ ما يَعْرِضُ لك.

والمرأة مأمورة بما يُؤمَر به الرِّجالُ ـ من التِّلاوةِ، والتَّعبُّدِ، والصَّدقةِ، وقيامِ اللَّيل ـ، وصلاتُها في دارها خيرٌ لها من صلاتها في مسجدها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وبيوتُهنَّ خيرٌ لهنَّ**» (رواه أبو داود).

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

القلوب أوعيةٌ، وخيرُها أوعاها، وتصفية العمل من الآفات أشدُّ من العمل، ورمضانُ موسمُ الاغتنامِ واستباقِ الخيرات، وقد أفلح من أخلص فيه لربِّه، وكلُّ ما لا يُبتغى به وجهُ الله يضمحلّ، وكتمانُ الحسنات من الإخلاص، والرِّياءُ من مفسدات الأعمال.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عباداتٌ في رمضان

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله الخلق لطاعته، وهيَّأ لهم زمناً تتضاعف فيه أجورُ عباداتِهم، أيَّامه معدودة، تُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلق فيه أبواب النِّيران، وتُصفّدُ فيه الشَّياطين، ويُستجاب فيه الدُّعاء، وترتقي فيه النُّفوس، وتُهذَّب فيه الأرواح، ويُغفَر لمن وفَّقه الله في نهاره ولياليه، قال النَّبيُّ ﷺ عن نهاره: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدَّم من ذنبه**» (متفق عليه)، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام عن ليله: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غفر له ما تقدَّم من ذنبه**» (متفق عليه).

أوجب الله صيامه على الأمم السَّالفة؛ لتنال تقوى ربِّها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، رمضان هو شهر القرآن، والقرآن يهدي إلى الجنَّة، قال سبحانه: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ [الجاثية: ١١]، عِبرَهُ أعظمُ العِبَر، ومواعظه أبلغُ المواعظ، وقصَصُه أحسنُ القصَص ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، سهل الألفاظ، واضح المعاني ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، غزير المنافع، كثير الفوائد، شافٍ للقلوب والأبدان.

وقد شكا الرَّسولُ ﷺ إلى ربِّه من يهجر القرآن ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عدلوا عنه إلى غيره، من شِعْرٍ أو قولٍ أو غناءٍ، أو لهوٍ أو كلامٍ، أو طريقةٍ مأخوذةٍ من غيره».

رمضانُ شهرُ المداومةِ على العبادة والإقبالِ على الله، كان النَّبيُّ ﷺ يعتكف ثلثَ الشَّهر يتعبَّدُ ويدعو، ويدارسه جبريلُ القرآنَ الشَّهرَ كلَّه مرتين. هو شهرُ التَّوبةِ والاستغفارِ والإنابةِ إلى الله، ومَنْ أقبل على الله أحبَّه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والله سبحانه يقبل توبة العبد في أيِّ وقت من ليلٍ أو نهار، وفي رمضانَ قبولُ التَّوبةِ أرجى، وهي تهدم ما قبلها من الأوزار، وتبدِّل السَّيِّئاتِ حسنات، ولا صلاح إلا بها؛ لذا أُمر جميعُ الخلق بها ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

رمضانُ شهرُ الدُّعاءِ وإنزالِ الحوائج بالله ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، أَمرَ بالدُّعاء ووعد بالإجابة بين آيات الصِّيام؛ لنكثر من الدُّعاء في رمضان ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهو سبحانه كريمٌ يقضي حاجاتِ

العباد، خزائنُه مَلْآى لا تغيضُها نفقة، قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١].

جودُه لا ينقطعُ من كثرة العطاء ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، يحبُّ السَّائلين و«**ينزل كلَّ ليلة حين يبقى ثلثُ اللَّيل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيَه؟ من يستغفرُني فأغفرَ له؟**» (متفق عليه).

والله لا يُخيِّب من رجاه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ويستحي جلَّ وعلا أن يردَّ دعوةَ عبدِه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ ربَّكم حييٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفْراً**» (رواه أبو داود).

ومهما سأل العبدُ، فالله يُعطي ولو كثرت المسألةُ وتنوَّعت، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما من مسلمٍ يدعو الله بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن تُعجَّل له دعوتُه، وإمَّا أن يدَّخرَها له في الآخرة، وإمَّا أن يَصرفَ عنه من السُّوء مثلَها**، قالوا: إذاً نُكثر يا رسول الله! ـ أي: من الدُّعاء ـ قال: **الله أكثر** ـ أي: فضل الله وعطاؤه أكثر ـ» (رواه أحمد).

رمضانُ شهرُ الجودِ والعطاء؛ جاد الله على عباده بنزول القرآن فيه، وإرسالِ خاتَمِ الرُّسلِ فيه، ويجود على عباده بالرَّحمة والمغفرة والعتق من النِّيران، وأمر سبحانه عباده أن يجودوا؛ لينالوا جودَ ربِّهم، قال سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، وكان النَّبيُّ ﷺ أجودَ النَّاس، وأجودُ ما يكون في رمضان، قال ابن رجب رحمه الله: «كان جودُه كلُّه لله، وفي ابتغاء مرضاته، فإنَّه كان يبذل المال؛ إمَّا لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألَّفُ به

على الإسلام مَن يَقْوى الإسلامُ بإسلامه، فيُعطي عطاءً يَعْجَز عنه الملوكُ ـ مثلُ كسرى وقيصر ـ».

ومن صفات أهل الجنَّة: قيامُ اللَّيل، قال جلَّ وعلا: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وصلاةُ اللَّيل شكرٌ لله على ما أنعم، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النَّبيُّ ﷺ يقوم من اللَّيل حتى تتفطَّر ـ أي: تتشقَّق ـ قدماه، فقالت له عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله! وقد غُفِر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟! فقال: **أفلا أكون عبداً شكوراً؟!**» (متفق عليه).

ومن صلَّى مع الإمام حتى ينصرف؛ كُتب له قيامُ ليلة، وأفضلُ صلاة المرء بعد المكتوبة صلاةُ اللَّيل، فحافظْ على صلاة اللَّيل مع الإمام حتى ينصرف؛ لتتعرَّض لنفحات الله بالمغفرة والرِّضوان.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

من السَّعادة: أن ينسى العبدُ حسناتِه، ويجعلَ سيِّئاتِه نَصب عينيه، فيبادرَ إلى النَّدم والتَّوبة منها، والصِّيامُ ركنٌ من أركان الدِّين، أُمر المسلمُ بالحفاظ عليه؛ لئلَّا يعتيريَه نقص، أو خلل ـ من عصيان، أو تفريط في واجب ـ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به والجهل، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَه وشرابَه**» (رواه البخاري).

والأعمار تُطوى والآجال تدنو، والدُّنيا مُدْبِرة والآخرةُ مُقْبلة، ونحن إلى ما صار إليه الأوَّلون صائرون، وكلُّ عملٍ أو قولٍ فهو محفوظ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ فاحفظوا الأزمان الفاضلة، واحذروا الغفلة والتَّفريط، وأخلصوا صيامكم وقيامكم لله، وأكثروا من تلاوة القرآن وتدبُّرِ معانيه، واعتبروا بما ضُرب لكم فيه من الأمثال والقصص؛ لتفوزوا وتسعدوا في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

رمضانُ مغنمٌ للخيرات

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقو الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

فَضَّل اللهُ اللَّياليَ والأيَّامَ بعضَها على بعض، واصطفى من الشُّهور شهراً جعله غرَّةَ شهورِ العام، أَنزل فيه القرآن، وفَتح فيه أبوابَ الجنان، وأَغلق فيه أبواب النِّيران، وصَفَّد فيه الشَّياطين، من صام نهاره إيماناً وٱحتساباً؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قام ليله إيماناً وٱحتساباً؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، شهرُ الفضل والرَّحمةِ يُستقبل بالفرح والاستبشار ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

شرعه الله؛ لتحقيق التَّقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، والإخلاص

ركنٌ في قبول العمل، فإن دخله رياءٌ فسد، وإن خالطه دعاءُ أمواتٍ أو استغاثةٌ بهم حبِط، والله سبحانه عزيزٌ لا يقبل من أحد عملاً كانت النِّيَّة فيه لغيره، قال ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك، مَنْ أشرك معي فيه غيري؛ تركتُه وشركَه**» (رواه مسلم)، والعمل الصَّالحُ المصحوبُ بالتَّقوى يزيد ويبقى، والعمل ـ وإن كان صالحاً ـ لكن فسدت فيه النِّيَّة يضمحلّ، قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣].

والصَّلاة عمودُ الإسلامِ وركنه الثَّاني، من تركها لم تقبل منه بقيَّةُ الأعمال ـ من صيامٍ أو حجٍّ أو إحسانٍ ـ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بين الرَّجل وبين الشِّرك والكفر: تركُ الصَّلاة**» (رواه مسلم)، ومن أصلح نيَّته مع الله، وأدَّى الصَّلواتِ كما أَمر، ووافق شهرَ الصِّيام وقامَ به حقَّ القيام؛ فقد ظَفَر.

والزَّكاة قرينة الصَّلاة في كثيرٍ من آيِ القرآن، وأصلٌ من أصول الدِّين، تُطَهِّر النَّفس من البخل والشُّحّ، وتنمِّي المال وتحفظُه، وتَنْقُل المرءَ إلى مصافِّ الأخيار الكرماء، قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التَّوبة: ١٠٣]، تَقِي المرءَ من عقوبات الذُّنوب، وتَصرِفُ عنه عظيمَ المصائب والكروب، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [اللَّيل: ٥ ـ ١٠].

أداء الزَّكاة؛ أمارةُ الفلاح، وبرهانٌ على اليقين، وهي حقٌّ من حقوق الفقراء يُعطيها الغنيُّ لهم بلا مَنٍّ ولا إذلال، يكمِّلُ بها المرءُ دينَه، ويحفظ بها مالَه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شجاعاً أقرع** ـ أي: ثعبانَ لا شعر له ـ **له زبيبتان يُطوَّقُه يومَ القيامة، فيأخذُ بلِهْزِمَتَيْه** ـ أي: بشدقيه ـ **فيقول**:

أنا مالُك، أنا كنزُك، ثمَّ تلا النَّبيُّ ﷺ قولَه تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]» (رواه البخاري).

مِنَ الزَّكاة: تُقضى الدُّيون، وتدفع بها حاجةُ الفقير والمسكين، ويُعان بها المسافرُ المنقطع، وتتألَّف القلوب، وهي مدَّخرةٌ عند الله قرضٌ مضاعف للغني، قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَإ: ٣٩] .

ورمضانُ موسم البذل والعطاء، والبرِّ والإحسان، وكان النَّبيُّ ﷺ أجودَ النَّاس، وأجودَ ما يكون في رمضان، وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل قضاءَ حوائجِ العباد على يديه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً؛ فرَّج الله عنه كربة من كُرَبِ يومِ القيامة، ومن ستر مسلماً؛ ستره الله في الدُّنيا والآخرة**» (متفق عليه) قال ابنُ حجرٍ الهيتميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وممَّا يُعْلمُك بعظيم الفضل في هذا: أنَّ الخلقَ عيالُ الله، وأحبُّهم إلى الله أرفقهم بعياله».

وما سعى ابنُ آدمَ في إصلاح شيء أعظمَ من سعيه لإصلاح قلبه، ولن يُصلح القلبَ شيءٌ مثلُ القرآن، فهو النُّور والهداية والشِّفاء، تلاوته من أَجَلِّ الطَّاعات وأفضلِ القربات، من قرأ حرفاً منه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، والماهر به مع السَّفَرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقّ له أجران، ورمضانُ شهر القرآن، وكان جبريل يدارس النَّبيَّ ﷺ القرآن في هذا الشَّهر، والقرآنُ أُنزل ليلاً، وتلاوته ليلاً أشدُّ لمواطأة القلب مع اللِّسان؛ فاجعلوا لبيوتكم حظاً من قراءته في ليلكم ونهاركم.

وأفضل الصَّلاة بعد المفروضة صلاةُ اللَّيل، ومن قامها مع الإمام حتَّى ينصرف؛ كُتِب له قيام ليلة، ومن قامها في ليالي رمضانَ؛ غُفِر له

ما تقدَّم من ذنبه، وكان النَّبيُّ ﷺ يقوم من اللَّيل حتى تتفطَّر قدماه، والصَّحابةُ ﷺ سيماهم في وجوههم من أثر السُّجود، وما سجد عبد لله سجدةً إلا رفعه الله بها درجة، ومن كان من أهل الصَّلاة دُعِي يومَ القيامة من باب الصَّلاة، وأقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد؛ فأقبلوا على صلاتكم فرحين بها، مستبشرين بما وعدكم الله بأدائها.

والعبد لا غنى له عن ربِّه طرفةَ عين، والسَّعيد من قَرُب من الله بإنزال حوائجه إليه، بطلبِ مرغوب أو زوالِ مرهوب، مع تحرِّي أزمانِ وهيئاتِ الإجابة ـ كالسُّجود، ووقتِ السَّحر، ونهارِ رمضان ـ، وهو سبحانه قريب من سائليه ووعد بإعطاء السَّائلِ حاجتَه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والإكثار من دعاء الله من كمال العبوديَّة له، ورفعةُ العبدِ على قدر انكساره بين يدي الله.

والاعتكافُ في رمضانَ؛ من سنن النَّبيِّ ﷺ؛ لتطهير القلب من الأدران والخطايا، ولمحاسبةِ النَّفس من التَّقصير والتَّفريط، ولتُقبِلَ النَّفسُ على الله لترتقيَ عنده درجات، فاجعل لشهرك من الاعتكاف نصيباً.

ورمضانُ مَغْنمٌ للتَّوبة والإنابة، يُقيل اللهُ فيه العثرات، ويمحو فيه الخطايا والسَّيِّئات؛ فأقبل على الله فيه بالنَّدم على التَّفريط، والعزم على مجانبة الآثام، وهو سبحانه يُحِبُّ الآيبَ إليه، ويفرح بتوبة التَّائب؛ فتعرَّضوا لنفحات ربِّكم، واستنزلوا الرِّزقَ بالاستغفار، فأيَّامُ رمضانَ معدودة، اليوم نسقبله وغداً نودِّعه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣، ١٨٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا سريعة الزَّوال، وشيكة الارتحال، وزوالُ بعضِها مُؤْذِنٌ بزوالها جميعِها، ورمضانُ موسمٌ للرُّجوع إلى الله، والنَّدمِ على التَّفريط وما مضى من سيِّءِ الأعمال، والعزمِ على استدراك ما فات، وتعرَّضوا لنفحات ربِّكم، فكم فيه من عتيقٍ لله من النَّار؟ وكم فيه من فائزٍ بالرَّحمة والرِّضوان؟ واحفظوا صومكم من الكذبِ والغيبة، والرَّفثِ والفسوق، وطهِّروا قلوبَكم من الحسد والحقد والضَّغائن، واجتهدوا في طاعة ربِّكم، واحذروا ضياعَ أزمانكم في اللَّهو والمحرَّمات، وليكن شهرُكم موسماً لفعل الخيرات، والبعدِ عن السَّيِّئات.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

ليالٍ مباركة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

جعل الله شهرَ رمضانَ غرَّةَ العام، وفضَّل أوقاتَه على سائر الأوقات، وخصَّه بمزيد الفضل والإكرام، نهارُه صيام، وليلُه قيام، آياتُ الكتاب فيه تتلى، وأبواب النِّيران فيه تُغْلَق، وأبواب الجنان فيه تُفْتَح، والأعمال فيه تُضَاعَف، والخطايا والأوزار فيه تُكَفَّر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان؛ مكفِّراتٌ لِمَا بينهما، إذا اجتنبت الكبائر**» (رواه مسلم) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المغفرة والعتق كلٌّ منهما مرتّب على صيامِ رمضانَ وقيامِه».

هو شهرُ الخيراتِ، ومضاعفةِ الحسنات، وإقالةِ العثرات، صيامُه

وقيامه وسيلةٌ لمغفرة الذُّنوب، أجور تلاوته مضاعفة، من أجل ذلك اغتنم السَّلف زمانَه بالتِّلاوة والقيام، فكان الأسودُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختم القرآن في كلِّ ليلتين، قال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «لو طَهُرت قلوبكم، ما شبعتم من كلام ربِّكم».

التِّجارة فيه رابحةٌ مضاعَفة، المُنْفِقُ موعودٌ بالمغفرة والغنى، قال سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]؛ بل إنَّ النَّفقة مُخلَفَة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وكان النَّبيُّ ﷺ لا يستكثر شيئاً أعطاه، ولا يردّ سائلاً، وكان العطاءُ والصَّدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سروره بما يعطيه أعظمَ من سرورِ الآخذ بما يأخذه.

والزَّكاة من أركان هذا الدِّين لا يقوم الإسلام إلا بها، تُطهِّر المال وتُنمِّيه وتزكِّيه، فطبْ بها نفساً، وابذل بها كفّاً، ووَاسِ بها محروماً، وأخلص بها قلباً، واحذر منها تسويفاً، فالوعيد شديد على من يبخلُ بها.

والمسلم تتكالبُ عليه فتنُ الأهواء والشُّبهات، والتَّوجُّه إلى الله بالتَّعبُّد في خير ليال الدَّهر من أسباب درئها عن الفؤاد، فالعبد كلَّما قرُب من الله خَنَسَ الشَّيطانُ منه، قال سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما استعان أحد على تقوى الله، وحفظِ حدوده، واجتنابِ محارمه، بمثل الصَّوم»؛ فحقيقٌ بالمسلم أن يكثر من تلاوة كتاب الله الكريم، وألا ينصرفَ في ليلته إلا مع إمامه؛ طمعاً في حطِّ أوزاره وخطاياه، كما قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**» (متفق عليه).

وفي اعتكاف القلب والبدن في لياليه العشر في بيوت الله ثوابٌ عظيم، والإقبال على الله جلَّ وعلا بالتَّبتُّل والتَّضرُّع عصمةٌ من الهوى،

وسلامةٌ من الوقوع في الزَّلل والعصيان، والبعدُ عن الملهياتِ والمحرَّماتِ تزكيةٌ للقلوب.

والمرأة مأمورةٌ بما يُؤْمَرُ به الرِّجال ـ من التِّلاوة، والتَّعبُّد، وقيامِ اللَّيل، إلا أنَّ صلاتَها في دارها خيرٌ لها من صلاتها في مسجدها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وبيوتُهنَّ خيرٌ لهنَّ**» (رواه أبو داود)، وعليها أن تحافظ على تعبُّدها بالسِّتر والعفافِ وكمالِ الحجاب، ولتحذر نزغاتِ الشَّيطانِ لها وخطواتِه باستدراجها إلى مواطن الفتن، ونبذِ السِّتر والوقوعِ في العصيان، ولتحافظ على اغتنام لحظاتِ الشَّهرِ بما يقربها إلى الله.

أيُّها المسلمون:

دين الله متين، وشرعه قويٌّ قويم، تكفَّل الله بنصرته ونشره في الآفاق، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، وفي هذا الشَّهر الكريم قاتلت الملائكةُ مع نبيِّ اللهِ وصَحابته في أعظم وأوَّلِ غزوة كانت ـ هي الفرقان بين الحقِّ والباطلِ ـ ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وإنَّ السُّخريةَ بالدِّين في زمنِ نصرة الله له وفي ليالي تنزيل القرآن العظيم؛ من الخذلان المبين، ومن المحادّة لربِّ العالمين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، ومن سخر بالدِّين؛ سَخِرَ اللهُ منه وأذلَّه وتوعَّده، قال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥٠، ٥١].

وفرضٌ على كلِّ عبد الانقيادُ لهذا الدِّين، والتَّذلّلُ له، وتعظيمُ شعائره وشرعِه، والابتعادُ عن الطَّعن فيه، أو السُّخريةُ به، أو الاستهزاءُ بأحكامه، وحرامٌ على المسلم النَّظرُ إلى ما فيه طعنٌ بشعائر الإسلام، قال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ [النساء: ١٤٠]، ومن بُلِي بمثل تلك العظائم؛ فعليه بالتَّوبة الصَّادقة، والحذرِ من استدراج الله له؛ فكيدُ اللهِ متين، وبطشُه شديد، وأبوابُ رمضانَ مفتَّحةٌ للآيبين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

القلوبُ أوعية، وخيرُها أوعاها، وتصفيةُ العمل من الآفات أشدُّ من العمل، ورمضانُ موسمٌ يُغْتَنَم، وقد أفلح من أخلص فيه لربِّه، وكُلُّ ما لا يُبتغى به وجهُ الله يضمحلّ، وكتمانُ الحسناتِ من الإخلاص، والرِّياءُ من مفسدات الأعمال.

فتزوَّد لآخرتك، وتجاف عن دنياك، واستعد للموت، وأكثر من الطَّاعات، واحذر الذُّنوب والأوزار، فالدُّنيا أوَّلها عناء، وآخرها فناء ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عبادةٌ لا تَصِحُّ إلَّا في مكَّة
(الحــجّ)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

يوالي ربُّ العالمين آياتِه على عباده؛ ليعظِّموه في النُّفوس ويفردوا أعمالهم له بالعبادة، آياتٌ في الزَّمان في شهر الله الحرام، وعِبَرٌ في المكان في بلد الله الحرام، قال سبحانه: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

في بلد الله الأمين: يؤدِّي المسلمون ركناً من أركان الدِّين لا يقام إلا في تلك البقاع، أكرمَ اللهُ مَنْ وَفَدَ إليها بالأمن والأمان، وامتدَّ أمنُه إلى النَّبات في الأرض؛ فلا يُعْضَدُ شجرُه ولا يُخْتَلَى خلاه، وإلى الطَّير في السَّماء؛ فلا يُنفَّر، وإلى الصَّيد؛ فلا يُقْتَل، وإلى المال الضَّالِّ؛ فلا

تُلْتَقَطُ لقطتُه إلا لمنشد، وأكرمهم سبحانه بطيب المآكل والمشارب فيه ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، أمنٌ ورخاءٌ؛ لتؤدَّى العباداتُ فيه بذلّ لله وخضوع وخشوع، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلد أمين، وحرم معظَّم، آمِنٌ منذ وُضِع».

دعا إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربَّه أن يَحُجَّ النَّاسُ إلى هذا الوادي الجدب الذي لا زرع فيه؛ فاستجاب الله دعاءه، ولبَّى الخلائقُ نداءَه فوجاً بعد فوج، وقرناً بعد قرن ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، بيتٌ أسِّس على التَّقوى والإيمان، مَنْ أراده بكيدٍ؛ أَهْلَكه الله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، ومَنْ هَمَّ بتبديل ما بُني عليه من التَّوحيد إلى الشِّرك، أو الظُّلم، أو الأهواء؛ عاجلته العقوبة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من خصوصيَّة الحرم: أنَّه يُعاقَب البادي فيه الشَّرَّ، إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه».

والعمل يُقْبَلُ ويَعْظُمُ بالإخلاص، أظهر الله لعباده أعمالَ أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ من بناء البيت الحرام ـ إيماءً بأنَّه لا يبقى من الأعمال إلا ما أريد بها وجهُ الله، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنَّما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب».

وليس الشَّأنُ في العمل فحسب، إنَّما الشَّأن في حفظ الأعمال بعد العمل ممَّا يُفسِدها ويُحْبطها ـ من الرياء، أو حبِّ الثَّناء، أو إرادةِ الدُّنيا بها، أو فعلِ سيِّئاتٍ بعدها ـ، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٢].

في الحجِّ: تَتَلَاشَى فواصلُ الأجناسِ واللُّغاتِ والأقطارِ والألوان، ويَظْهَرُ ميزانُ التَّقوى والإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، يقف الحجيج بعرفات، يومٌ مشهودٌ من حجِّهم، يلبسون الإحرام فيه لله تذلُّلاً، ويُلَبُّون فيه له توحيداً، ويضعون بين يدي الكريم حاجاتهم، ويرجون تفريج كرباتهم، وتحقيقَ مناهم، والله سبحانه وهَّابٌ رزَّاقٌ قديرٌ، لا يخيب من رجاه، ولا يردُّ سؤالَ من دعاه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ثمَّ يُشْرِق عليهم وعلى المسلمين أعظمَ أيَّامِ العام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أعظم الأيَّام عند الله: يومُ النَّحر، ثمَّ يومُ القَرّ** ـ أي: اليوم الثَّاني من أيَّام العيد ـ» (رواه أبو داود) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عيد النَّحر: هو أكبر العيدين وأفضلهما».

والله أمر رسوله أن يشكرَ ربَّه على إعطائه الكوثرَ بالصَّلاة والنَّحر، وشرع الله للجميع في يومِ عيد الأضحى وثلاثةِ أيَّامٍ بعده في اللَّيل أو النَّهار: التَّقرُّبَ إليه بذبح الأضاحي، ولا بأس في الاقتراض لشراء الأضحية.

والمعصية تُكَدِّر صفوَ اللَّحظات؛ فليحذر المسلمُ من فعل المحرَّم في أيَّام العيد وغيرها ـ من المعازف، أو التبرُّج، أو الاختلاطِ، أو الإسراف ـ، وكلُّ يومٍ لا يَعْصِي المسلمُ فيه ربَّهُ؛ فهو عيدٌ له.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ عفا عمَّن ظلمه علا، ومن حَلُم على مَنْ أخطأ عليه عَظُم، والعفو والتَّسامح من مروءات النُّبلاء، وتمامُ فرحةِ العيد بترك الهجران بين الأخوة، ونبذِ الخلاف بين الأصحاب، ونسيانِ الزَّلَّات بين الأرحام، وتصافي النُّفوسِ على المحبَّة والرِّضا؛ ليكون العيدُ على الجميع عيداً ظاهراً وباطناً، يلتقون فيه على البِشْر والابتسامة والصَّفاء، والتَّهنئةِ والوئامِ والدُّعاء، قال جبيرُ بنُ نفيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا التقوا يومَ العيد يقول بعضُهم لبعض: تقبَّل الله منَّا ومنك».

فأظهروا محاسنَ الأخلاقِ ومكارمَ الفضائل، وكلوا من هَدْيِكُم وتصدَّقوا، وافرحوا بفضل الله عليكم بنعمة الإسلام ومواسمِ الخيرات، واحْرِصُوا على اغتنامها بأنواع الطَّاعات والقُرُبات.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

ماذا بعد الحجّ ؟

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

تفضَّل الله على خلقه بتنوِّع العبادات؛ منها ما هو باطن في القلب، ومنها ما هو ظاهر على الجوارح، وأركان الإسلام والإيمانِ مدارها على ذلك، وقد عاد الحجيج من بيت الله الحرام والمشاعرِ بعد أداء أطول عبادة بدنيَّة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «واستعمل النَّبيُّ ﷺ أبا بكر على أوَّل حَجَّة حُجَّت من مدينة النَّبيِّ ﷺ، وعِلْمُ المناسك أدقُّ ما في العبادات، ولولا سَعةُ عِلْم أبي بكر لم يستعملْه النَّبيُّ ﷺ أميراً على الحجِّ في السَّنة التَّاسعة؛ ليعلِّم النَّاسَ أحكامَ الحجّ»؛ لأنَّه أفقه الصَّحابة.

في الحجِّ تَظْهر عظمةُ الإسلام في توحيد الشُّعوب على الحقِّ، وجَمْعِهم على كلمة الإسلام، يَقْصِدون مكاناً واحداً، ويدعون ربّاً

واحداً، ويتَّبعون نبيّاً واحداً، ويتلون كتاباً واحداً. فيه تزول فوارقُ زخرفِ الدُّنيا، ويظهر الخَلقُ سواسيةً لا تَمَايز بينهم في المظهر، فالجميع في لباسٍ كلباس الأكفان.

والله سبحانه يظهر آياتٍ لخلقه على صدق رسله، فإبراهيمُ عليه السلام يدعو ربَّه ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فاستجاب الله دعاءه ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧] قال ابن كثير رحمه الله: «فليس أحدٌ من أهل الإسلام إلا وهو يَحِنُّ إلى رؤية الكعبةِ والطَّواف، والنَّاس يَقْصِدونها من سائر الجهات والأقطار».

والمُخْلِص يستجيب الله دعوته ولو بعد مماته، وفي كلِّ عام يظهر أثر دعوة الخليل عليه السلام؛ فيستجيب المسلمون لدعوته ويَقْصِدون ـ مع مشقَّة السَّفر ـ وادياً لا زرع فيه؛ ليُظهروا افتقارَهم إلى الله بوقوفهم في عرفاتٍ والمشاعر، وذُلَّهم للرَّبِّ سبحانه بتجرُّدهم من المخيط، وحلقِ رؤوسهم خضوعاً له.

والله سبحانه وعد بحفظ هذا الدِّين، ومع تطاولِ الزَّمان وتقلُّبِ الأحوال ووجودِ الكثير من الحروب والفتن، والفقرِ والرَّخاء، إلا أنَّ هذا الدِّين بقي ناصعاً تامّاً مبيَّناً كأنَّ الوحي نزل اليوم، فيلبسون ما لَبِس النَّبيُّ ﷺ من إزارٍ ورداء، ويُلبُّون بتلبيته، ويرمون كما رمى، ويطوفون بالبيت كما طاف.

والوفاء من شيم الرِّجال، ونبيُّنا محمَّد ﷺ صبر على الأذى والكروب؛ لتنعم أمَّتُه بالهداية، قال لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة! لقد لقيتُ من قومك ما لقيت**» (رواه البخاري)، والصَّحابة رضي الله عنهم هجروا الأوطانَ وتغرَّبوا في البلدان؛ لحملِ رسالة النَّبيِّ ﷺ وتبليغِها بعزمٍ وأمانة، ونشرِ الإسلام في الآفاق بالدَّعوة والقدوة، وواجبٌ على المسلم أداءُ حقوقِ النَّبيِّ ﷺ لِمَا قدَّمه لهذا الدِّين بمحبَّته والتَّأسِّي به، والوفاءُ

لصحابته ﷺ بمحبَّتهم، والتَّرضِّي عنهم، والذَّبِّ عنهم.

والإخلاصُ لله في كلِّ عملٍ شرط في قبوله، والله غنيٌّ عزيزٌ لا يَقبلُ عملاً لم يُرَدْ به وجهُه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الله لا يقبلُ من العمل إلا ماكان له خالصاً، وابتُغي به وجهُه**» (رواه أبو داود)، ومن أدخل في عبادته رياءً، أو سمعة، أو ابتَغى مدحَ النَّاس له؛ لم تقبل منه عبادته، ولن يكون له منها سوى التَّعب والنَّصب، قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركتُه وشركَه**» (رواه مسلم).

ومن أخلص لله تقبَّل الله عملَه وضاعف أجرَه، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال ابن كثير رحمه الله: «أي: بحسب إخلاصه في عمله»، ومن اقتفى أثر النَّبيِّ ﷺ في حجِّه؛ حريٌّ به التَّأسِّي بنبيِّه في شأنه كلِّه، وذلك سبيل الظَّفر والفلاح، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتابَ الله وسنَّتي**» (رواه الحاكم).

والنِّعمُ تدوم وتزيد بالشُّكر، ومن أدَّى عبادةً وحمد الله عليها؛ يسَّر الله له عبادةً بعدها لينال ثوابها، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمَّد: ١٧]، ولذا شُرع قول: «الحمد لله» ثلاثاً وثلاثين مرةً دُبرَ كلِّ صلاةٍ مفروضة؛ لشكر الله على أداء تلك الفريضة.

وأمارة قبول العمل الصالح: الحسنةُ بعده، قال سعيد بن جبير رحمه الله: «من ثوابِ الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومن عقوبةِ السَّيِّئةِ السَّيِّئةُ بعدها»، والمسلم إذا فرغ من عبادة أعقبها بعبادة أخرى، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧] قال ابن الجوزي رحمه الله: «أي: فادْأَبْ في العمل»، ولا تنقطعُ العبادة إلا بالموت ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وإذا عمل المسلم عملاً صالحاً؛ وجب عليه حفظُه بالحذر من الوقوع في الشِّرك، إذْ أنَّه يُحبط الحسنات، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أراد الله بعبد خيراً؛ سلب رؤية أعمالِهِ الحسنةِ من قلبه، والإخبارَ بها من لسانه، وشَغَلَه برؤية ذنبه»، وسؤالُ الله قبولَ العمل الصَّالح؛ مِنْ صدق الإيمان، بنى إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكعبة ودعا ربَّه ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

والثَّبات على الدِّين من عزائم الأمور، ومن دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**ثَبِّت قلوبنا على دينك**» (رواه ابن ماجه)، ومن لبَّى في حجِّه بالتَّوحيد، وكبَّره في العيد؛ وجب عليه الوفاءُ بوعده مع الله، وذلك بألا يدعوَ سواه، ولا يلجأَ إلى غيره، ولا يطوفَ بغير الكعبة، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [الرعد: ١٣]، ومن توجَّه إلى الله أعانه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وليس من شرط صحَّة الحجِّ زيارةُ المدينة؛ بل قَصْدُ مسجدِها سُنَّةٌ رغَّب فيها النَّبيُّ ﷺ للحاجِّ وغيرِهِ بالصَّلاة فيه، فهو أحد المساجد الثَّلاثة التي لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إليها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا تُشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجدِ الحرام، والمسجد الأقصى**» (متفق عليه)، وصلاة فيه عن ألف صلاة فيما سواه إلا المسجدَ الحرام، ومن وصل إلى المدينة وسلَّم على النَّبيِّ ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فمن المشروع له زيارةُ مسجدِ قُباء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من تطهَّر في بيته، ثم صلَّى في مسجد قباء؛ كان له أجرُ عمرة**» (رواه ابن ماجه)، وتشرع زيارةُ مقبرةِ البقيع، وشهداءِ أُحد؛ للدُّعاء لهم، وللعظةِ والعبرةِ بتذكر الآخرة، والميِّتُ لا يملك لأحدٍ نفعاً ولا ضرّاً، ولا يُتعلَّق به، وإنَّما يُدعى له بالمغفرة والرِّضوان، ومن يُدعى

له لا يُدعى مع الله، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، والموفَّق من اجتهد في طاعة ربِّه، وسار على هدي نبيِّه ﷺ، وحاسب نفسه في حياته، وسارع إلى الخيرات، وفاز بالباقيات الصَّالحات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من أدَّى فريضة الحجِّ؛ حريٌّ به بعد أداء هذا الرُّكن أن يحفظ صحيفته بيضاءَ نقيَّة، فإنَّه من حجَّ فلم يَرْفُث ولم يَفْسُق؛ رجع كيومَ ولدته أمُّه، وأن يكون قدوةً لغيره في الصَّلاح والاستقامة، والتَّفقُّهِ في الدِّين، والمحافظةِ على الصَّلوات جماعة في بيوت الله، ويجب أن يكون داعياً بالحكمة والموعظة الحسنة، مبتدئاً دعوته بذوي القربى، وصادقاً مع ربِّه في دعوته وفي سائر أعماله كلِّها.

فالزموا سنَّة نبيِّكم، وأخلصوا لربِّكم، واحرِصُوا على نفع إخوانكم المسلمين، وتعليمِهم ما ينفعُهم وما يُصلحهم من أمور الدِّين، فلَأَنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من حمر النَّعَم.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر من أصول الدِّين

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

كان النَّاس أمَّةً واحدة على الفطرة القويمة، فاجتالت الشَّياطين من حَادَ منهم عن الطَّريق السَّويّ، فبعث الله النَّبيِّين مبشِّرين ومنذرين، والشَّيطانُ ملازم للإنسان يوسوس له ويُغْويه، ومن رأفة الله بعباده: أَنْ جَعَل للبشر أعواناً من جنسهم يدعونهم إلى الخير، ويحذرونهم من الفتن واتِّباع الهوى ـ وهم الرُّسُل وأتباعُهم ـ، قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [نوح: ١]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [هود: ٨٥]، وقال الله لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١، ٢]، ومن صفات نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ في كتاب الله: أنَّه

آمِرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر، قال ﷻ عنه مُثْنِياً عليه: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر؛ ركنٌ من أركان الدِّين، وهو المهمَّة التي بعث الله بها النَّبيِّين، وقدَّمه الله في آياتٍ على الإيمان بالله مع أنَّه جزءٌ منه، قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وذكره سبحانه قبل الصَّلاة والزَّكاة، قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١] قال ابن العربيِّ رحمه الله: «الأمر بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر؛ أصلٌ في الدِّين، وعُمْدَةٌ من عُمَدِ المسلمين، وهو فرضٌ على جميع النَّاس مَثْنَى وفُرادى».

ولا فلاح لهذه الأمَّة إلا بإقامته، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وأقسم الله أنَّ الإنسان خاسرٌ إلا إنْ أَمَرَ بالخير ونهى عن ضدِّه، قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ - أي: بالأمرِ والنَّهي - وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ أصلٌ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، يعتقدون شرعيَّتَه بقلوبهم، ويُقِرُّون به بألسنتهم، ويؤدُّونه بجوارحهم بحسب استطاعتهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ثمَّ هم - أي: أهل السُّنَّة - مع هذه الأصول: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويَدينُونَ بالنَّصيحة للأمَّة، ويَعتقدون معنى قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان**». قال الشيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله: «متى تَخلَّف العملُ بموجب ما اعتقدوه؛ دلَّ على تخلُّف الاعتقاد، ومتى ضَعُف؛ دلَّ على

ضعف الاعتقاد»، وكان الصَّحابة ﷺ يبايعون النَّبيَّ ﷺ عليه، قال جرير بن عبد الله ﷺ: «بايعت النَّبيَّ ﷺ على إقامة الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، والنُّصحِ لكلِّ مسلم» (متفق عليه).

وإقامته من شكر نعم الله على العبيد، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١]، وهو من مكفِّرات الذُّنوب والخطايا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**فتنة الرَّجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفِّرها الصَّلاةُ والصَّومُ والصَّدقةُ والأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر**» (متفق عليه)، وهو صدقةٌ من الصَّدقات، قال النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وأَمْرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة**» (رواه مسلم)، وأَمَرَ النَّبيُّ ﷺ من جلس في طريقٍ أن يؤدِّيَ تلك العبادةَ وهو على حاله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا أتيتم إلى المجالس؛ فأعطوا الطَّريقَ حقَّها**، قالوا: وما حقُّ الطَّريق؟ قال: **غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السَّلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر**» (متفق عليه).

وواجبُ الحسبةِ ليس خاصاً بفئةٍ دون أخرى، بل كلُّ فَرْدٍ مأمورٌ بأداء تلك الطَّاعة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ رأى منكم منكراً؛ فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» (رواه مسلم) قال ابن عطيَّة رحمه الله: «والإجماع منعقدٌ على أنَّ النَّهيَ عن المنكر فرضٌ على من أطاقه»، وهو دليلُ كمالِ الإيمان وحسنِ الإسلام، ومعنىً من معاني الخير والحبِّ للأمَّة، ومن أسباب نيل رحمة الله على العباد، وأمارةٌ على ائتلاف المجتمع وتعاضدِه وسعادته، فالخير في النَّاس ماضٍ، والفِطَرُ مجبولة عليه وعلى حبِّ من دعاها إليه.

فلا تتوانى عن أداءِ تلك العبادة ودعوةِ الآخرين والصَّبرِ عليهم، فقلوبهم للخير مُقبِلة، والأجر على قدر الإخلاص والنَّصَب، واحذر

السَّآمةَ، وعاودِ النَّصيحةَ تِلْوَ الأخرى بحكمة، نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث في قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً، يدعوهم سرّاً وجهاراً، ليلاً ونهاراً، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يسقط عن المكلَّف الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، لكونه لا يفيد في ظنِّه».

بتركه يُرَدُّ دعاءُ المسلمين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليُوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثمَّ تدعونه فلا يستجابُ لكم**» (رواه الترمذي)، والإعراض عنه من أسباب هلاك الأمم، قال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ ما دخل النَّقصُ على بني إسرائيل، كان الرَّجل يَلقى الرَّجلَ فيقولُ: يا هذا! اتَّقِ الله وَدَعْ ما تصنعُ فإنَّه لا يحلُّ لك، ثمَّ يلقاه من الغد، فلا يمنعُه ذلك أن يكون أكيلَه وشريبَه وقعيدَه، فلمَّا فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**» (رواه أحمد)، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُرُوا بالمعروف، وانْهوا عن المنكر، وإلا كنتم أنتم المُوعِظات».

والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ عبادةٌ شرعت لكلِّ الأمم، والله أثنى على مَنْ قام بها من أهل الكتاب قبل نسخ دينهم، قال سبحانه: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۞ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤]، وقال لقمان ـ وهو من الأمم السَّابقة ـ ناصحاً ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: ١٧]، فلا عجب في هذه الأمَّة إذاً، إن أُمر رجلٌ بأداء الصَّلاة، أو ذُكّرت امرأةٌ بالحجاب، أو أُرشِد تائهٌ إلى طريق الرَّشاد، أو كُفَّ شرُّ ساحرٍ عن العباد.

أيُّها المسلمون:

الدِّينُ عند الله الإسلام، ويأبى الله إلا أن يتمَّه، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصف: ٨] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَثَلُهم في ذلك، كمثل من يريد أن يطفئَ شعاعَ الشَّمس بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل اللهُ به رسولَه، لا بدَّ أن يُتَمَّ ويظهر»، والله سبحانه تكفَّل بنشر هذا الدِّين وفتح القلوب له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ليَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ اللَّيلُ والنَّهار** ـ أي: ما طلع عليه اللَّيلُ والنَّهار ـ، **ولا يتركُ الله بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، إلا دخله هذا الدِّين**» (رواه أحمد)، ولن يشادَّ أحدٌ هذا الدِّينَ، أو يردَّ أحكامَه وشرعَه؛ إلا غَلَبه، قومُ هودٍ لما قالوا لنبيِّهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]؛ أرسل الله عليهم الرِّيح العقيم، وقومُ لوطٍ لمَّا ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]؛ أخذتهم الصَّيحة مشرقين.

ومن زعم أنَّه سيطفئُ الدِّينَ، أو يبطلُ شعيرةً من شعائره؛ فقد طلب محالاً، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، وما عادى أحدٌ هذا الدِّينَ أو أهلَه إلا أذلَّه الله، قال فرعون لأتباع موسى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]؛ فأغرقه الله بالماء، وقومُ شعيبٍ سخروا بنبيِّهم وقالوا له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هود: ٨٧]؛ فقال الله عنهم: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤]. ومن لَمز شعيرةً من شعائرِ الله، أو سَخِرَ منها، أو أبغضها؛ فقد عرَّض نفسه لوعيد الله في قوله: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومن طلب الرِّفعةَ والعزَّةَ والعلو؛ فلن يجدَها في غير التَّمسُّك

بالدِّين، قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، بالدِّين بقيت سيرُ الأنبياء والصَّحابةِ والسَّلفِ خالدة، وبمعاداة الدِّين طويت أيَّامُ أبي جهلٍ وأبي لَهَبٍ وأُبيٍّ وأصبحت كاسدة؛ فأَقْبِلْ على هذا الدِّين بقلبك ولسانك وجوارحك، وافْرَحْ به وبأحكامه، وتَمَسَّكْ به، وَعَظِّمْهُ وَشِدْ به في المجالس والمحافل وغيرها، وَأَظْهِرْ فضائله ومحاسنه، وَادْعُ غيرك إليه، وأعْلِنْ سرورَك بهدايتك إليه، قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، فما قَرُب أحدٌ من الدِّين إلا عَزَّ وَعَظُم، وسدَّدَ الله أقوالَه وأفعالَه.

ومن قام بالدِّين والدَّعوة إليه والذَّبِّ عنه؛ فحقُّه الشُّكر والثَّناء، والتَّبجيلُ والدُّعاء، الأنصارُ نصروا دين الله فقال عنهم النَّبيُّ ﷺ: «**الأنصارُ لا يحبُّهم إلا مؤمن، ولا يُبغضُهم إلا منافق، من أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضَه الله**» (رواه مسلم)، وورقةُ بنُ نوفلٍ عاش في الجاهليَّة بفطرته، وأدرك نزول الوحي على النَّبيِّ ﷺ وهو شيخ مُسِنٌّ، وتمنَّى إدراكَ الرِّسالةِ لنصرة الدِّين، وقال للنَّبيِّ ﷺ: «يا ليتني فيها جَذَعاً ـ أي: شاباً ـ حين يُخرجك قومُك، وإنْ يدركْني يومُك أنصرْك نصراً مؤزَّراً» (رواه البخاري)، فمن عاش في الإسلام أولى بنصره ونشره ومحبَّته، ممَّن عاش في الجاهليَّة وتمنَّى أن يُدركَ النَّبيَّ ﷺ وينصرَ دينه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

المجتمع المسلم متآلفٌ متآزر، والمرء بمفرده يَضْعُفُ مع الهوى والشَّيطان، ومن حَقِّ الأخوَّة في الدِّين: بذل النَّصيحةِ والخيرِ للآخرين، قال أبو بكر المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما فاق أبو بكر الصِّديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ بصومٍ ولا صلاةٍ، ولكن بشيءٍ كان في قلبه، كان في قلبه حبُّ الله والنُّصحُ لخلقه».

والدُّعاء في ظهر الغيب بهداية الآخرين؛ من صدق النُّصح لهم، ومن محبتهم، وعلى المدعو أن يقبلَ النَّصيحةَ ويفرحَ بها ويَسُدَّ بها خللَه، فمن سعى لإكمال صفاتك وتدارُكِ معايبك؛ فهو المحبُّ لك حقّاً، فاقبل نصحَه وكافئه ولو بالدُّعاء له.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

الدِّين النَّصيحة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

بَصَّر الله عباده بالحقِّ ويسَّر لهم سلوكه، وأَمَرَ من يعينهم عليه بصحبة صالح وناصح، والصُّدودُ عنهما من أسباب البعد عن الله، قال ابن القيِّم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ومن تأمَّل فسادَ العالمِ عموماً وخصوصاً؛ وجده ناشئاً من الغفلة واتِّباع الهوى».

والمسلم إِنْ رأى في أخيه قصوراً أو خللاً؛ وجب إصلاحُه، يفعل ذلك عقيدةً في قلبه، ويُظْهِر ذلك على جوارحه، إذ النَّصيحةُ أصلُ الدِّين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الدِّين النَّصيحة**» (رواه مسلم) قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «مدار الدِّين على حديث: **الدِّين النَّصيحة**».

والنَّصيحة من معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:

«ويَدِينُونَ ـ أي: أهل السُّنَّة والجماعة ـ بالنَّصيحة للأمَّة»، وهي دأب الأنبياء والمرسلين، قال نوحٌ عليه السلام لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وقال هودٌ عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، وقال صالحٌ عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣]، وبعث الله موسى عليه السلام؛ لتذكير النَّاس، قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، ومن أخصِّ صفات نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: أنَّه مذكِّر، قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] قال عليٌّ رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ يَخْطُبنا، فيذكِّرُنا بأيَّام الله» (رواه أحمد).

وهي من أعمال الصَّالحين، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وامتثلها الصَّحابة رضي الله عنهم في حياتهم، كان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى: «ذَكِّرْنا ربَّنا، فيقرأ عنده القرآن»، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «أَتَخَوَّلُكم بالموعظةِ كما كان النَّبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بها» (متفق عليه).

واشترط النَّبيُّ ﷺ على مَنْ أسلم من الصَّحابة فعلَ هذهِ العبادة، قال جرير رضي الله عنه: «بايعت النَّبيَّ ﷺ على الإسلام، فاشترط عليَّ النُّصحَ لكلِّ مسلم» (متفق عليه)، وهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**حقُّ المسلم على المسلم ستّ: إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه، وإذا دعاك فأجبْه، وإذا استنصحَك فانصحْ له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّتْه، وإذا مَرِض فَعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه**» (رواه مسلم) قال ابن رجب رحمه الله: «قد تُرفع الأعمالُ كلُّها عن العبد في بعض الحالات، ولا يُرْفَعُ عنه النُّصحُ لله».

ومن خصال الإيمان الواجبة: حبُّ الخير للمسلمين، والخوفُ عليهم من السَّيِّئات والعقوبات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**» (متفق عليه) قال الذَّهبيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «من لم ينصح لله وللأمَّة وللعامَّة؛ كان ناقصَ الدِّين».

النَّصيحة تُصْلِح المجتمع، وتَجْلِب له الألفة، وتُبعد عنه الغيبة، وهي من الأعمال الدَّالة على صفاء السَّريرة، قال الفضيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصَّلاة والصِّيام، وإنَّما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامةِ الصُّدور، والنُّصحِ للأمَّة».

وأنصح النَّاس لك: من خاف الله فيك، وكان السَّلف يُحبُّون من يبصِّرُهم بعيوبهم، قال مِسْعَرُ بنُ كِدَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي في سرٍّ بيني وبينه».

ولا غنى لأحد عن التَّذكير، فإن كان المنصوح ذا خيرٍ عمَّ خيرُه، أشار عمر على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بجمع القرآن، فجمعه؛ فانتفعت الأمَّة برأيه، وقال رجلٌ في مجلسٍ فيه الإمام البخاري: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النَّبيِّ ﷺ، قال البخاري: «فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الصَّحيح»؛ فكان غُرَّةً في جبين الزَّمان. وجمع الإمامُ مسلمٌ صحيحَه بطلبٍ من غيره؛ فسار نفعه في الآفاق.

والغافل أيضاً يحتاج إلى نصح النَّاصح، دُعِي عمر بن الخطاب إلى الإسلام؛ فكان فاروقَ هذه الأمَّة، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا عثمانَ بنَ عفَّانَ وعبدَ الرَّحمنِ بنَ عوف وطلحةَ وأبا عبيدة والزَّبيرَ إلى الدِّين؛ فكانوا من العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

والنَّصيحة واجبة على كلِّ عبدٍ، فينصح لنفسه: بطاعته لربِّه والبعدِ عن معاصيه، ولكتابِ ربِّه: بتعلُّمِه وتعليمه وفهمِهِ والعملِ به، ولرسولِهِ: بامتثال أوامره وعدمِ الابتداع في الشَّريعة، ولأئمَّةِ المسلمين: بإعانتهم

على الحقِّ وتذكيرِهم به والدُّعاءِ لهم، والنُّصح لعامَّة المسلمين: بجلب الخير لهم ودرْءِ الشَّرِّ عنهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟! قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم**» (رواه مسلم).

والله أمر بنصح كلِّ أحد وإنْ علا وطغى، قال الله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٣]، وأمر الله رسولَه أن يَعِظَ المنافقين فقال: ﴿**فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا**﴾ [النساء: ٦٣]، ونصح النَّبيُّ ﷺ الصِّبيان، فقال لابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ـ وهو صغير ـ: «**يا غلامُ! احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» (رواه الترمذي)، وقال للجارية الصَّغيرة: «**أين الله؟** قالت: في السَّماء» (رواه مسلم).

ومَنْ نَصَحَ وجب أن يبذل غاية النُّصح للمنصوح، وأن يعدلَ في قوله ولفظه، والحياءُ لا يمنع من النَّصيحة، وتكون بأحسن الألفاظ وأحكمِها، قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، وتكون بالقول اللَّيِّن، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وفي حال سرٍّ بينك وبين من تنصحه، قال ابن رجب رحمه الله: «كان السَّلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرّاً». وإن رُدَّ قولُه فلا يحزن؛ فقد أدَّى عبادةً، فليَرْجُ قبولَها، وليس أحدٌ من النَّاس لا تُرجى هدايتُه، قال سبحانه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ٣، ٤].

ومن قام بالنَّصيحة وتجرَّد لله وبَذَل المجهودَ فيها بالصِّدق مع الله؛ فحقُّه الإكرامُ والدُّعاء، قال الحسن رحمه الله: «ما زال لله نصحاءُ ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حقِّ الله، ويعملون لله في الأرض بالنَّصيحة، أولئك خلفاءُ الرُّسل في الأرض».

ومن أعرض عن نصيحةٍ قُدِّمَتْ له نَدِم، قومُ صالحٍ عليه السلام نصحهم نبيّهم فردُّوا نصحه؛ فعاقبهم الله، وقال لهم نبيُّهم: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وسعادة المجتمع بحبِّ النَّصيحَةِ والعملِ بها ومحبَّةِ النَّاصحين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

من فضل الله على عباده: أن وضع مع نصح النَّاصحين دلائلَ وأسباباً تَعِظ النَّفس وتحيي القلب؛ فالقرآن والسُّنَّة موعظة، قال سبحانه: ﴿**وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ**﴾ [البقرة: ٢٣١]، والتَّفكُّر في خلق الله يُعظِّم الخالق، قال ﷻ: ﴿**وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢١].

ونعمُ الله واستشعارُها تجلب الحياء من الله، وتُباعد عن المعاصي، قال الله لموسى عليه السلام: ﴿**أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ**﴾ [إبراهيم: ٥]، وزيارة الرِّجال للمقابر من المُوعِظات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**زوروا القبور؛ فإنَّها تذكِّر الموت**» (رواه مسلم)، والابتلاءاتُ نذيرُ عودةٍ إلى الله، قال جلَّ شأنه: ﴿**أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٦].

فواجبٌ على المسلم أن يصغيَ لنصيحةِ النَّاصح وتذكير المذَكِّر، وأن يقابلَ ذلك بالقبول والعمل، إمَّا قياماً بواجب، أو كفّاً عن محرَّم.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

حُـسن الخُـلـق

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

شرع الله لعباده أنواعاً من الطَّاعات والقُرُبات، وأَمرنا وأَمر الأممَ قبلنا بعبادة تُقرِّب العبد من ربِّه، وتُثْقِل ميزانَه يومَ القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما من شيء أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة، مِنْ خُلُق حسن**» (رواه الترمذي)، وترفع درجاتِه، وتزيد في حسناته، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ المؤمن ليُدرك بحسن الخلق، درجةَ الصَّائم القائم**» (رواه أبو داود)، وثوابها يتضاعف ولو كان بأمرٍ يسيرٍ منها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ**» (رواه مسلم).

وخير الخَلْق من كان مؤمناً واتَّصف بها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ خيارَكم أحسنُكم أخلاقاً**» (رواه البخاري)، وهي أكثر ما يُدخل النَّاسَ الجنَّة، سُئل

النَّبيُّ ﷺ عن أكثر ما يُدْخِل النَّاسَ الجنَّةَ؟ فقال: «**تقوى اللهِ، وحسنُ الخلق**» (رواه الترمذي)، وبها يَكْمُلُ إيمانُ العبد، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً؛ أحسنهم خُلُقاً**» (رواه أحمد)، وأعلا الدَّرجات في الآخرة لمن أدَّاها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أنا زعيمٌ ببيتٍ في أعلا الجنَّة، لمن حَسَّن خُلُقَه**» (رواه أبو داود)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «الدِّين: الخُلُق، فمن زاد عليك في الخُلق؛ زاد عليك في الدِّين»، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يدعو ربَّه في صلاته أن ينالها، فكان يقول: «**اللَّهُمَّ اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنِّي سيِّئها لا يصرفُ عنِّي سيِّئها إلا أَنت**» (رواه مسلم)، ويقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقي، فأحسن خُلُقي**» (رواه أحمد) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «لا تتمُّ التَّقوى؛ إلا بحُسْن الخُلُق».

وأقرب النَّاس منزلةً إلى الرُّسل يوم القيامة أحسنُهم خُلقاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منِّي مجلساً يوم القيامة، أحاسنكُم أخلاقاً**» (رواه الترمذي)، وكان النَّبيُّ ﷺ يوصي صحابته بها، فقال لمعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اتَّق الله حيثما كنت، وأتبع السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحها، وخالق النَّاس بخُلُقٍ حسنٍ**» (رواه الترمذي)، وهي منجية برحمة الله من النَّار، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقوا النَّار ولو بشقِّ تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيِّبة**» (متفق عليه).

وبعث الله نبيَّه محمَّداً ﷺ للدَّعوة إلى الأخلاق الصَّالحة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّما بُعثت لأتمِّم صالحَ الأخلاق**» (رواه أحمد)، واتَّصف الرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأعالي الأخلاق وجميلِها، فنوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومَه تِسْعَ مئةٍ وخمسين عاماً صابراً عليهم، وإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان كريماً، نزل به ضَيْفانِ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ، وإسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، ويوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لمن كان سبباً في غربته وسجنه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان حيياً لا يُرى

شيءٌ من جلده (رواه البخاري)، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بارّاً بوالدته.

ونبيُّنا محمَّد ﷺ أكملُ النَّاس أخلاقاً، وَصَفَه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، نشأ وعاش متحلِّياً بكلِّ خُلُقٍ كريمٍ، مبتعداً عن كلِّ وصفٍ ذميمٍ، قال له رجل: يا خيرَ البريَّة! فقال متواضعاً: «**ذاك إبراهيم**» (رواه مسلم)، وكان أكرمَ الخلقِ نَفْساً فما رَدَّ سائلاً، وأطلقَهم وجهاً، قال جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما رآني رسول الله ﷺ؛ إلا تبسَّم»، وأشدَّهم وفاء؛ إنْ مرض أحدٌ من صحابته عاده، وإن افتقده سأل عنه، وأرحمَهم قلباً؛ كان يتجوَّزُ في صلاته إذا سَمِع بكاءَ الصَّبي؛ كراهةَ أن يُشِقَّ على أُمِّهِ، وألينَهم طبعاً؛ إذا دخل بيته اشتغل في مهنة أهله.

وكان أعظمَهم صبراً؛ خرج من بيته والحَجَرُ على بطنه من الجوع فما اشتكى، وأوسعَهم عفواً: قَاتَلَه أعداؤه وأَدْمَوْه، ولما فتح مكَّة قال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**»؛ وأوفرَهم حِلْماً؛ آذاه قومُه فسأله مَلَكُ الجبال أَنْ يُطْبِق عليهم جبلين فأبى، وقال لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**عليكِ بالرِّفق، وإيَّاكِ والعنفَ والفحش**» (متفق عليه)، و«لم يضرب شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً» (رواه مسلم).

وعلى هذا النَّهج القويم ـ من الإيمان بالله وعلوِّ الخلق ـ: سار الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فكانوا ذا خُلُقٍ جَمّ مع النَّبيِّ ﷺ، قال عروة بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ واصفاً حالَهم: «إذا أمرهم النَّبيُّ ﷺ ابتدروا أمره، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتَهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النَّظر تعظيماً له» (رواه البخاري)، وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما كان أحدٌ أَحَبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أَجلَّ في عينيَّ منه، وما كنتُ أُطِيقُ أن أملأَ عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصِفَه ما أَطَقْتُ؛ لأنِّي لم أكن أملأُ عينيَّ منه» (رواه مسلم).

وكان الصَّحابة مثالاً في تبجيل بعضهم بعضاً، قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«أبو بكر أحلم منِّي وأوقر»، وقال علي ﷺ: «كان أبو بكر مقدَّماً في كلِّ خير»، وعثمان ﷺ تستحي منه الملائكة لحيائه.

وبعد: أيُّها المسلمون:

فما أكرمَ العبدُ نفسَه بمثل الإيمان بالله ودماثةِ الخلق، وأصلُ الأخلاق التَّوحيد، فمن فقده لم ينتفع بغيره، قالت عائشة ﷺ للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ ابنَ جُدْعانَ ـ وكان من رؤساء قريشٍ في الجاهليَّة ـ يَصِل الرَّحمَ ويُطْعم المسكين، فهل ينفعه؟ فقال: «**إنَّ ذلك لا ينفعه، إنَّه لم يقل يوماً: ربِّ اغفر لي خطيئتي يومَ الدِّين**» (رواه مسلم)، وإذا تحلّى المسلمون بأخلاق القرآن؛ صلح المجتمع وكانوا دُعَاةَ خيرٍ إلى الدِّين بالقدوة الحسنة والأفعالِ الحميدة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أخلاق المؤمن؛ استقامةٌ في دين، وبشاشةٌ في لين، وعفوٌ مع إحسان، وكرمٌ في العطاء، وقناعةٌ في الفاقة، وتفريجُ كربة، وكلمةٌ طيِّبة، وإفشاءُ سلام، وبرٌّ بالوالدين، وإحسانٌ للجار، قال ابن المباركِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأخلاق: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكفّ الأذى»، والله قسَّم الأخلاق كما قسَّم الأرزاق، والقرآن جامع لمكارم الأخلاق ومحاسنِ الأعمال، سُئِلَت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن خُلُق النَّبيِّ ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» (رواه مسلم).

فاقتدوا بنبيِّكم بالتَّخلُّق بأخلاق القرآن، وسِيرُوا على نهج صحابته الكرام، وكونوا بأخلاقهم أُسوةً لغيركم؛ تنالوا السَّعادة في الدَّارين.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

الحِلم والأناة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

يعلو المرءُ بالإيمان وحسنِ الخلق، وترتقي منزلته عند الله بالجمع بينهما، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أنا زعيم** ـ أي: ضامن ـ **ببيتٍ في أعلا الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَه**» (رواه أبو داود).

والحِلْمُ: أساسُ الأخلاق، ودليلُ كمالِ العقل وامتلاكِ النَّفس، والمتَّصفُ به؛ عظيم الشَّأن، رفيعُ المكانة، محمودُ العاقبة، مرضيُّ الفعل، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «الحِلْمُ والصَّبر على الأذى، والعفو عن الظُّلم؛ أفضلُ أخلاق أهل الدُّنيا والآخرة، يبلغ بها الرَّجلُ ما لا يبلغه بالصِّيام والقيام».

وهو من الخصال التي يحبُّها الله في عباده، ووعد من آمن واتَّصف

به بالمغفرة والجنَّة، قال سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يُعملون غضبهم في النَّاس؛ بل يكفُّون عنهم شرّهم، ويحتسبون ذلك عند الله».

وأحقُّ المتَّصفين به: هم الرُّسل، قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أخلاق الأنبياء: الحلم، والأناة، وقيام اللَّيل»، والله أثنى على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالحِلْم فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، وبُشِّر بغلامٍ متَّصفٍ بالحِلْم ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

ونوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا قومه إلى عبادة الله؛ فجعلوا أصابعهم في آذانهم استكباراً عليه، وقالو عنه: ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]؛ فحَلُم عليهم ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رماه قومه بالجنون، وتحدّوه بالسِّحر، وَأْتَمَرُوا عليه ليقتلوه؛ فحلُم عليهم ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وحكى النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نبيٍّ من الأنبياء ضَرَبَهُ قومُهُ فَأَدْمَوْهُ؛ فكان يمسح الدَّم عن وجهه، ويقول: «**ربِّ اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون**» (متفق عليه).

ونبيُّنا محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاقى الأذى والسُّخريةَ من قومه، وكان يقول لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**لقد لقيتُ من قومكِ ما لقيت**» (متفق عليه)، وَمَلَكُ الجبال يأتيه ويقول له: «**إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخْشَبَيْنِ فعلت، فقال: بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا يشركُ به شيئاً**» (متفق عليه)، ورآه أعرابيٌّ فجذبه بردائه جذبةً شديدةً حتى أَثَّرَ في عنقه، وقال: يا محمَّد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك، وأمر له بعطاء (متفق عليه)، وامتدَّ حلمه إلى الخدم، قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خدمت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين؛ فما قال لي أفٍّ قطُّ».

وأثنى النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من اتَّصف بالحِلْمِ من الصَّحابة، فقال لِأَشَجِّ

عبد القيس: «**إنَّ فيك لخَصْلَتين يحبُّهما الله: الحِلْمُ والأَنَاة**» (رواه مسلم)، وأبو بكر ﵁ سبق غيره بالإيمان وكمال الصُّحبة للنَّبيِّ ﷺ، وبما تحلَّى به من صفات كريمة؛ فشهد له الصَّحابة بذلك، قال عمر ﵁: «أبو بكر أحلم منِّي وأوقر».

والشَّجاعة في قوة القلب وثباته فلا يزعزعه قولُ جاهلٍ ولا فعلُ سفيه، والقويُّ الشَّديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب فيفعل ما يُصْلحُه، أما المغلوب حين غضبِه فهو ضعيف، والنَّبيُّ ﷺ مدح من مَلَكَ نفسه عند الغضب، فقال: «**ليس الشديد بالصُّرَعَة، ولكنَّ الشَّديدَ من يملك نفسه عند الغضب**» (متفق عليه).

واحتمال السَّفيه خير من التَّحلِّي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته، ومن سكت عن جاهلٍ؛ فقد أوسعه جواباً وأوجعه عقاباً، قال رجل لضرار بن القعقاع ﵁: «واللهِ لو قلتَ لي مسبَّةً واحدةً لسمعتَ منِّي عشراً، فقال له ضرار: لو قلت عشراً لم تسمع منِّي واحدة»، وشتم رجلٌ الشَّعبيَّ ﵀ فأجابه: «إن كنتُ ما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك».

ومن صفح عن الخَلْق؛ عفا الله عنه، قال ابن القيِّم ﵀: «يُعامَل العبدُ في ذنوبه بمثل ما يعامِل به العبدُ النَّاسَ في ذنوبهم... والجزاء من جنس العمل؛ فمن عفا عفى الله عنه، ومن سامح أخاه في إساءته إليه سامحه الله في إساءته، ومن أغضى وتجاوز تجاوز الله عنه، ومن استقصى استقصى الله عليه».

والغضب: مفسدٌ للأخلاق والأعمال، وللعقلِ والمروءات، قيل لابن المبارك ﵀: اجمع لنا حسنَ الخلق في كلمة؟ قال: «ترك الغضب»، وترك الغضب وصيَّة النَّبيِّ ﷺ، جاء رجل إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: أوصني؟ قال: «**لا تغضب**، فردَّد مراراً قال: **لا تغضب**»

(رواه البخاري) قال الرَّجل: ففكرت حين قال النَّبيُّ ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشَّرَّ كله.

والعقل ينقص عند الغضب؛ فيؤدِّي إلى قول الباطل وكتم الحقِّ، ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**أسألك كلمةَ الحقِّ في الغضب والرِّضا**» (رواه النسائي)، ويمنع من العدل بين النَّاس قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يقضيَنَّ حَكَمٌ بين اثنين وهو غضبان**» (متفق عليه)، وقد يخسر المرء شيئاً من ماله بسبب الغضب، قال جابر رضي الله عنه: «سِرْنا مع النَّبيِّ ﷺ في غزوة ورجلٌ من الأنصار على ناضح ـ أي: بعير ـ فتلدَّن عليه بعضَ التَّلدُّن ـ أي: تَلَكَّأ ـ فقال لبعيره: لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: **من هذا اللَّاعنُ بعيرَه؟** قال: أنا يا رسول الله! قال: **انزل عنه، فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاء فيستجيبَ لكم**» (رواه مسلم) قال ابن رجب رحمه الله: «فهذا كله يدل على أنَّ دعاءَ الغضبانِ قد يجاب إذا صادف ساعةَ إجابة، وأنه يُنهى عن الدُّعاء على نفسه وأهله وماله في الغضب».

وإذا غَضِبَ الإنسان قال ما لا يعلم، وندم على ما قد يعمل ـ من عقوق والديه، أو قطع رحمه، أو مفارقة زوجه، أو قطع رزقه، أو هجران الأصحاب له، أو الاعتداء على الآخرين، أو صدور أقوال محرَّمة منه؛ من قذفٍ وسبابٍ وفُحْشٍ، وأنواعٍ من الظُّلم والعدوان ـ، ويتولَّد من ذلك الهمُّ والوحشة، والحُزنُ والوحدة، وقد يعاقب على ما بدر منه في غضبه بحدٍّ أو تعزير، أو عقوبة في الآخرة.

وكان النَّبيُّ ﷺ يأمر مَنْ غضب بتعاطي أسبابٍ تدفع عنه الغضب؛ فأمر بالتَّعوُّذ من الشَّيطان؛ لأنَّه سبب الغضب والعدوان، رأى النَّبيُّ ﷺ رجلاً مغضَباً قد احمرَّ وجهه، فقال: «**إنِّي لأعلم كلمةً لو قالها لذهب**

عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم» (متفق عليه)، ونهى الغضبانَ عن الكلام سوى الاستعاذة فقال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم؛ فليسكت**» (رواه أحمد)، فإن كان بقربه ماءٌ توضَّأ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الغضب من الشَّيطان، وإنَّ الشَّيطان خُلِق من النَّار، وإنَّما تُطفَأُ النَّارُ بالماء، فإذا غَضِبَ أحدُكم؛ فليتوضَّأ**» (رواه أحمد). وأمره بالتَّحوُّل عن الهيئة التي هو عليها، قال ﷺ: «**إذا غَضِبَ أحدكم وهو قائمٌ؛ فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب؛ وإلا فليضطجع**» (رواه أبو داود). ومن شرف النَّفس وعلوِّ الهمَّة: التَّرفُّعُ عن السِّباب. وفي الإعراض عن الجاهل؛ صونٌ للعرض والدِّين، ومن صفات المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومن غضب فعليه: أن يتذكَّر حِلْم الله عليه، وأن يخشى عقابه، فقدرة الله عليك أعظم من قدرتك على الخلق، وليتذكَّر ما يؤدِّي إليه الغضب من النَّدم والحسرة، وليحذر عاقبةَ العدواةِ والانتقام وشماتةَ الأعداء بمصابه. والمؤمن يستشعر ثواب العفو وحسنَ الصَّفح، وأنَّ الدُّنيا أهون من أن يُغضَبَ لها.

ومن لم يكن حليماً؛ فعليه أن يدفع نفسه للحِلْم، قال الأحنف: «لستُ بحليمٍ ولكنِّي أتحالم»، وإذا خالف المرء ما يأمره به غضبُهُ وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شرُّ الغضب.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ غَرَسَ الحِلْم؛ اجتنى ثمرة السِّلم، والحِلْم يُعْرف ساعةَ الغضب، وخيرُ النَّاس بطيءُ الغضب سريعُ الرُّجوع عنه، وشرُّهم سريعُ الغضب بطيءُ الرُّجوعِ إلى الرِّضا.

ومن كمال العقل: مَنْ إذا غضب لم يدخلْهُ غضبه في باطل، ومَنْ إذا رضي لم يخرجْهُ رضاه من حقّ. وإيَّاك والعجلةَ فإنَّك إذا عجلت أخطأت حظَّك، وكن سهلاً ليِّناً للقريب والبعيد.

والعاقل يَدْرَأُ عن نفسه غضبَ النَّاس عليه ـ من سخريةٍ بهم، أو استهزاءٍ، أو تنقُّصِ مكانتهم، أو تعدٍّ على أموالهم، أو وقوعٍ في عرضهم؛ بغيبة أو بهتان أو افتراء ـ.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

الكــرم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

الله سبحانه غنيٌّ بذاته عمَّن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاتِه وأفعالِه، أسماؤه حُسْنَى بلغت الغايةَ في الحسن والجمال، وصفاته عُلا بلغت المنتهى في العُلوِّ والجلال.

ومن أسمائه سبحانه: الكريم، أعطانا ما سألناه، وأنعم علينا بما لم نسأله، وإذا رفع العبد يديه إليه يستحي أن يردَّهما صِفْراً خائبتين. بابه مفتوح لمن دعاه، وأرزاقه وخزائنه دارَّة على عباده لا تنقص بالعطاء، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يدُ الله مَلْآى لا تَغيضُها** ـ أي: لا تُنْقِصُها ـ **نفقة، سحَّاءُ اللَّيل والنَّهار، أرأيتم ما أنفق ربُّكم منذ خلق السَّموات والأرض، فإنَّه لم يَغِضْ** ـ أي: يَنْقُص ـ **ما في يمينه**» (متفق عليه).

وهو كريمٌ قريبٌ من سائليه، ليس بينه وبين عبده في طلب حوائجه حجاب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويُعْطِي عبادَه فوق ما تمنَّوْه، وفي الحديث القدسي: «**أعددتُّ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سَمِعَت، ولا خطرَ على قلب بشر**» (متفق عليه)، وقد نهى عبده إذا دعاه أن يقلِّلَ المسألة؛ بل يكثرُ ما شاء من سؤال الله، فعطاؤه جزيل، فأنزل به جميع حوائجك، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا دعا أحدُكم فلا يقل: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، ولكِنْ ليعزم المسألة، وليُعَظِّم الرَّغبة** ـ يعني: يسأله ما يشاء ـ **فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**» (رواه مسلم). وكتابه سبحانه كريم ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٥٦]، من تلاه وعمل به؛ أكرمه الله.

وفي الأجور؛ يُثيب على العملِ الصَّالحِ القليل بالجزاء الكثير ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ويضاعِفُ أكثرَ من ذلك لمن يشاء، و«**من هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملْها؛ كُتِبت له حسنةٌ كاملة**»، ويُجازِي من أطاعه في سنيِّ الحياةِ القصيرة، بالنَّعيم المقيم في الآخرة، ويتفضَّلُ عليهم برؤيتهم لوجهه سبحانه.

والكرمُ صفةُ مدحٍ في الإنسان، وأمارةٌ على صفاءِ القلب ونقاءِ السَّريرة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّهات الفضائل: العلم والدِّين، والكرم والشَّجاعة»، وهو من خصال الخير، لا يكون في مؤمن إلا رفعه الله به، وقد حَثَّ عليه النَّبيُّ ﷺ في مَطْلِع قدومِه المدينة بقوله: «**أيُّها النَّاس! أَفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا باللَّيل والنَّاسُ نيام، تدخلوا الجنَّة بسلام**» (رواه الترمذي).

وهو عبادةٌ من العبادات، وأثقلُ شيءٍ في الميزان حسنُ الخلق، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُسْنُ الخلق: الكرمُ والبذل»، و«**في صبيحة كلِّ يوم ينزل مَلَكَان فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ أعط مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقول الآخر:**

اللَّهمَّ أعط مُمسِكاً تَلَفاً» (متفق عليه)، والمسلم يُغْبَطُ على أدائه تلك العبادة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكتِه في الحقّ، ورجلٌ آتاه الله حكمة فهو يَقضي بها ويعلِّمُها**» (متفق عليه).

والله عليمٌ يُحِبُّ العلماء، وكريمٌ يحبُّ الكرماء، ومُحْسنٌ يحبُّ المحسنين، والكرمُ من شِيَم الرِّجال ومن خصال الأبرار، وأكرم البشر هم أنبياء الله، إبراهيم عليه السلام جاءته رسلُ ربِّه ببشرى في صورة بشر ـ ولم يعلم أنَّهم من الملائكة ـ؛ فَأَحْسَنَ إكرامَهم، وذبح لهم عجلاً سميناً وشواه على حجارة مُحْماة، وأَسْرعَ في تقديمه لهم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، وموسى عليه السلام نعته الله بأنَّه كريم ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧]، وقال النَّبيُّ ﷺ عن يوسف عليه السلام: هو «**الكريمُ، ابنُ الكريم، ابنِ الكريم، ابنِ الكريم**» (رواه البخاري).

ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ كان أجودَ النَّاس وأحسنَهم عطاءً، نَفْسُه كريمةٌ ويدُه سخيَّة، ما سُئل عن شيءٍ قطُّ فقال: لا، سأله رجلٌ غنماً بين جبلين فأعطاه إيَّاها، فرجع إلى قومه وقال: أَسْلِموا فإنَّ محمَّداً يُعْطِي عطاءَ من لا يخشى الفقر، ولَبِس بُرْدَة فقال رجل: اكسُنيها ما أحسنها! فأعطاه إيَّاها (رواه البخاري)، وتأتيه العطايا فيوزِّعُها على النَّاس، وفي حنينٍ أعطى صفوانَ بنَ أُميَّة مئةً من النَّعم، ثمَّ مئة، ثمَّ مئة، قال صفوان: «والله لقد أعطاني رسولُ الله ما أعطاني وإنَّه لأبغض النَّاس إليّ، فما بَرِح يعطيني حتَّى إنَّه لأَحَبُّ النَّاسِ إليّ» (رواه مسلم)، وأتاه مالٌ عظيمٌ من البحرين ـ وكان أكثرَ مالٍ أُتي به لرسولِ الله ﷺ ـ فقال: «**انثروه في المسجد**، فجاءه العبَّاس فقال: يا رسول الله! أعطني إنِّي فاديت نفسي وفاديت عقيلاً قال: **خذ**، فحثا في ثوبه، ثمَّ ذهب يحمله فلم يستطع، فنثر منه، ثمَّ احتمله على كاهله» (رواه البخاري).

ولو عنده أكثرُ من هذا، لَبَذَلَه ابتغاءَ مرضاةِ الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لو أنَّ لي مثلَ جبلِ أُحدٍ ذهباً، ما يسرُّني أن يأتيَ عليَّ ثلاثُ ليالٍ وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أَرْصُدُه لدَيْن**» (متفق عليه)؛ بل كان من كرمه يَعِدُ النَّاس بالمال قبل أن يأتيَه، قال لجابر: «**لو قد جاءنا مالُ البحرين، قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**» (متفق عليه) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان النَّبيُّ ﷺ يعطي عطاءً يَعْجَز عنه الملوك ـ مثلُ كسرى وقيصر ـ».

وأكرمُ النَّاس بعد نبيِّنا محمَّد ﷺ: هم صحابته الأفذاذ، أَمر النَّبيُّ ﷺ بالصَّدقة؛ فجاء عمرُ بنصف ماله، وجاء أبو بكر بكلِّ ماله. وعثمانُ جهَّزَ جيشَ العُسْرة، وقال له النَّبيُّ ﷺ مُثْنِياً عليه: «**ما ضرَّ عثمانُ ما فعل بعدَ اليوم**» (رواه الترمذي)، وضيَّف أبو طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلاً فقالت له زوجته: ما عندي إلا قوتُ صبياني، فقال: أطفئي سراجَك، ونوِّمي صبيانَك إذا أرادوا العَشاء، فقامت إلى السِّراج ـ كأنَّها تُصلحه ـ فأطفأته، يُرِيانِه أنَّهما يأكلان، فأكل الضَّيفُ طعامَه، فلمَّا أصبح غدا أبو طلحة إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «**لقد ضحك الله اللَّيلةَ ـ** أو **عجب ـ من فعلكما**» (متفق عليه)، وكان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يأكل حتى يُؤتَى بمسكين يأكل معه (رواه البخاري).

وللكرم أبوابٌ متنوِّعة؛ فالإنفاق على النَّفس إحسان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا أعطى اللهُ أحدَكم خيراً؛ فليبدأ بنفسه وأهلِ بيته**» (رواه مسلم)، والإنفاق على الزَّوجة والولد بما يَسُدُّ حاجتهم من أعظم الأجور، قال النَّبيُّ ﷺ: «**دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ تصدَّقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً: الذي أنفقته على أهلك**» (رواه مسلم)، و«**إذا أنفق المسلم على أهله نفقة وهو يحتسبها؛ كانت له صدقة**» (متفق عليه).

ومن الكرم والوفاء: إكرامُ صديق الوالدين. وإكرامُ الجار من الإيمان «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم جاره**» (متفق عليه)، ومن حسن الجوار: إرسالُ الطَّعام إليهم، وإشراكُهم فيما يُطْعِمه أهلَه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا طبخت مَرَقَةً؛ فأكثر ماءَها، وتعاهد جيرانَك**» (رواه مسلم)، وضيافةُ الضَّيف من المروءاتِ والأخلاقِ الكريمة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفَه**» (متفق عليه).

ومن لا مال عنده؛ فليكن كلامُه طيِّباً، فالكلمة الطَّيِّبةُ من السَّخاءِ ونوعٌ من العطاء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اتَّقوا النَّار ولو بِشِقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيِّبة**» (متفق عليه)، والإحسان إلى الآخرين بتفريج الكروب والهموم من الجود، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلُّ معروفٍ صدقة**» (متفق عليه)، قال علي رضي الله عنه: «لا تستح من إعطاء القليل، فالحرمانُ أقلُّ منه، ولا تَجْبُنْ عن الكثير، فإنَّك أكثرُ منه».

وأكرم الأفعال ما قُصد بها وجهُ الله، وأعظمُ النَّاس كرماً أطوعهم لله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، قيل للنَّبيِّ ﷺ مَنْ أكرمُ النَّاس؟ قال: «**أكرمهم أتقاهم**» (متفق عليه)، فتَحَلَّ بكرم المال، وكُنْ كريماً بنفسك وجاهك ومالك، واحرص على طاعة ربِّك وعبادته؛ تَكُنْ من السُّعداء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الكرم غِطَاءُ المعايب، وهو من محاسن الدِّين، ودليلُ حسنِ ظنٍّ بالله، وهو خَصْلةٌ بين الإسراف والبخل، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧]، والمُكْرَمُ من أكرمه الله بالطَّاعة ولو كان فقيراً، والمُهانُ من أهانه الله بالمعصية ولو كان غنيّاً، فاحرصوا على الكرم وتحلَّوْا به تُفْلِحوا، وتنالوا الخيرَ من ربِّكم.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

الـوفــاء

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

تَكْمُل النَّفس البشريَّة بعبوديَّتها لله وحسنِ معاملتها مع الخلق، فشرع الله لعباده الأخذَ بمعالي الأمور ونهاهم عن سَافِلِهَا، والوفاء من أسس بناء المجتمع واستقامةِ الحياة، ومن الأخلاق الكريمة، وصفات النُّفوس الشَّريفة، وهو الاعتراف بالفضل وردُّ الجميل لمن أسدى إليك معروفاً، أو مدَّ إليك يداً.

وأعظم عهدٍ يجب الوفاءُ به: الوفاءُ مع الله، بأن تعبدَه وحده لا تُشْرِكُ به شيئاً؛ كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وأوفى الخلقِ بهذا العهد الرُّسل، قال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وفَّى جميعَ ما شُرِعَ له؛ فعمل به

ـ صلوات الله عليه ـ». ومن الوفاء العظيم: الوفاء بالنَّبيِّ ﷺ بطاعته، واتِّباع هديه، واقتفاء أثره، قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

والوفاء من شِيَمِ الرِّجال، ويدلُّ على سموِّ النَّفس وحسنِ الخلق، وأوفى النَّاسِ: رسلُ الله؛ موسى عرف حقَّ أخيه هارونَ عليه السلام؛ فسأل ربَّه أن يجعله شريكاً معه في الرِّسالة ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۞ هَٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۞ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢]. ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ كان وفيّاً مع مَنْ نصره لإبلاغ رسالة ربِّه، مَنع المُطْعمُ بنُ عَديٍّ المشركين أن يؤذوا رسولَ الله ﷺ قبل الهجرة؛ فحفظ له إحسانَه وقال في أسارى بدر: «**لو كان المطعمُ بنُ عديٍّ حيّاً، ثمَّ كلَّمني في هؤلاء النَّتْنى لتركتهم له**» (رواه البخاري).

وكان ﷺ وفيّاً مع صحابته؛ أبو بكر رضي الله عنه أفضلُ الصَّحابة، نصر النَّبيَّ ﷺ بماله ونفسِه، وكان أكثرَ الصَّحابة صحبةً له؛ فقال: «**لو كنتُ متَّخذاً من أمَّتي خليلاً، لاتَّخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ أخي وصاحبي**» (متفق عليه). وبعث النَّبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ عفَّان رضي الله عنه يوم الحديبية إلى قريشٍ في مكَّة، فتأخَّر رجوعه إليه؛ فأمر رسولُ الله ﷺ صحابتَه بالبيعة، فبايع النَّاسُ، ثمَّ قال ـ وفاءً لحقِّ عثمان بما قام به من خدمة الإسلام ـ: «**إنَّ عثمان في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله،** فضرب النَّبيُّ ﷺ بإحدى يديه على الأخرى وقال: **هذه عن عثمان،** قال أنس: فكانت يدُ رسول الله ﷺ لعثمانَ خيراً من أيديهم لأنفسهم» (رواه الترمذي). وصلَّى على شهداءِ أُحدٍ بعد ثمانِ سنينَ من استشهادهم، كالمودِّع لهم (متفق عليه)، وصلَّى على قبر جاريةٍ سوداءَ كانت تَقُمُّ المسجد. ولما ناصر الأنصارُ المهاجرين دعا لهم النَّبيُّ ﷺ ولذراريهم فقال: «**اللَّهُمَّ اغفر للأنصار، ولأبناءِ الأنصار، ولأبناءِ أبناءِ الأنصار**» (رواه مسلم).

ولم يُسْدِ أحدٌ من الصَّحابة للنَّبيِّ ﷺ معروفاً؛ إلَّا ويكافئه عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما لأحد عندنا يدٌ إلَّا وقد كافأناه عليها، ما خلا أبا بكر فإنَّ له عندنا يداً يكافئه الله به يوم القيامة**» (رواه الترمذي)، وأمر بحفظ الودِّ لصحابته كلِّهم بعد مماته فقال: «**لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أنفق أحدُكم مثلَ أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه**» (رواه مسلم)، ووفاؤه امتدَّ إلى أمَّته وذلك في الموقف العظيم، فقال: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يومَ القيامة، فهي نائلةٌ ـ إن شاء الله ـ من مات من أمَّتي لا يشركُ بالله شيئاً**» (رواه مسلم).

وعلى هذا الخُلُق العظيم مِنَ الوفاء: سار الصَّحابة رضي الله عنهم؛ فالنَّبيُّ ﷺ لما قُبض قال أبو بكر للصَّحابة: «من كان له عِدَةٌ عند رسول الله ﷺ أو دَينٌ فليأتنا، قال جابر: فأتيتُه فقلت: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي: **لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**، فلم يجئْ مالُ البحرين حتى قُبض رسول الله ﷺ، قال: فَحَثَا لي أبو بكر من مال البحرين لَمَّا جاءه حَثْيَةً، فعددتُّها فإذا هي خمسُ مئة، فقال لي: خُذْ مِثْلَيْهَا» (متفق عليه)، وأنفذ أبو بكر رضي الله عنه جيشَ أسامةَ بنِ زيدٍ على شدَّةِ حاجته للجيش بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ وكان يقول: «لا أَدَعُ أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلَّا صنعته».

والصَّحابة رضي الله عنهم حفظوا لأبي بكر مكانتَه وسَبْقَه للإسلام؛ فاتَّفقوا على بيعته خليفةً لرسول الله ﷺ، وأبو بكر أدرك منزلةَ عمرَ التي أنزله إيَّاها رسولُ الله ﷺ، حيث كان النَّبيُّ ﷺ كثيراً ما يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»؛ فَعَهِدَ أبو بكر بالخلافةِ من بعده لعمر.

والوفاء يَعْظُم مع الوالدين؛ فقد تعبا لراحتك، وسَهِرا لنومك،

وكَدَح الوالد لعيشك، وحملتك أمُّك كرهاً ووضعتك كرهاً، وأوَّلُ واجب فرضه الله من حقوق الخلق: البرُّ بالوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومن الوفاء لهما: الدُّعاءُ لهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وطاعتُهما في غير معصية، وفعلُ الجميل معهما، وإدخالُ السُّرور على نفوسهما، ومن البر بهما: أن يَرَيَا ثمرةَ جهدِهما على أولادهما بسلوكهم طريق الاستقامة والصَّلاح، ومن الوفاء لهما: إكرامُ صديقهما بعد موتهما، مَرَّ أعرابيٌّ على ابن عمر رضي الله عنهما، فقال له ابن عمر: ألستَ ابنَ فلانِ بنِ فلان؟ قال: بلى، فأعطاه ابنُ عمر دابّةً كان يركبها وقال: اركبْها، وأعطاه عِمامتَه وقال: اشدُد بها رأسَك، فقال له بعضُ أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابيَّ دابّةً كنت تَرَوَّحُ عليها ـ أي: تأخذ عليها راحتك ـ وعمامةً كنتَ تَشُدُّ بها رأسك!! فقال: إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ من أبرِّ البرِّ: صلةَ الرَّجلِ أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يولِّيَ** ـ أي: يموت ـ، وإنَّ أباه كان صديقاً لعمر» (رواه مسلم).

ومن الوفاء: الوفاءُ بين الزَّوجين، فقد جمعهما عقد عظيم، قال سبحانه: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، خديجةُ بنتُ خويلدٍ رضي الله عنها وَاسَتِ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بمالها، وحفظت عهدَه، ورُزِقَ منها الولد، وأوَّلُ من صَدَّقه وآمن به من النِّساء، وهي سببُ ثباتِ فؤادِه عند نزول الوحي وقوَّةِ عزيمته، وكانت خيرَ زوجةٍ لزوجها في حياتها، قال ابن حجر رحمه الله: «كانت حريصةً على رضاه بكلِّ ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قطّ».

فقابَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفائَها بوفاءٍ أعظمَ منه، فكان في إحسانها يشكرُها، وظلَّ بعد موتها يُكثرُ ذكرها، ويقول عنها: «**إنِّي رزقت حبَّها**» (رواه مسلم)، وربَّما ذبح الشَّاة ثم يقطِّعها أعضاء، ثمَّ يبعثها في صدائقِ

خديجة ويقول: «**إنَّها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**» (رواه البخاري)
قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا كلِّه؛ دليلٌ لحسنِ العهد، وحفظِ الودِّ، ورعايةِ حرمةِ الصَّاحبِ والعشيرِ في حياته وبعد وفاته، وإكرامِ أهل ذلك الصَّاحب».

ومن الوفاء: محبَّةُ العلماءِ وتوقيرُهم وإجلالُهُم، إذْ هم حَمَلَةُ الدِّين وورثةُ المرسلين، قال الطَّحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلماءُ السَّلف من السَّابقين ومَنْ بعدهم من التَّابعين ـ أهلُ الخبر والأثر، وأهلُ الفقه والنَّظر ـ لا يُذكرون إلا بالجميل»، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما بِتُّ مُنْذُ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشَّافعي وأستغفرُ له».

وللصَّاحب وفاء يتحقَّق بشكرِ أفعاله، وحفظِ سرِّه وودِّه، والثَّناءِ الحسن عليه، ومنعِ وصول الأذى إليه، وبذلِ النَّدى له ولأولاده، ومن صَنعَ إليك معروفاً؛ فكافِئْه عليه، فإن لم تجد ما تكافئُه؛ فادع له، فإنَّه من الوفاء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لاشريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الوفاء: صدقُ اللِّسانِ والفعلِ معاً، ويُحْدِثُ الوفاءُ في نفس صاحبه من الغِبطة والسُّرور ما لا حدَّ له، وفي نفس الموفَى له الرَّغبةَ في البرِّ والمجازاة، ومن جحد معروفاً فهذا ممَّن صَغُرت همَّته عن الوفاء، وليكن العملُ في العطاء وغيرِه خالصاً لوجه الله، فإن استنكف أحدٌ عن ردِّ معروف أَسْدَيْتَه، فلا يحزنك ذلك، فأنت تطلب الثَّواب على المعروف من الله لا من البشر، ممتثلاً قول الله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

فاحرصوا على الوفاء؛ ففيه سلامة القلب والنَّماء، واجتهدوا في التَّحلِّي بكلِّ خُلُقٍ كريمٍ وَوَصْفٍ حميد؛ فهو عنوانُ الظَّفَرِ والفلاح.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

حقُّ اليتيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

المجتمع المسلم متآلف متناصر، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحمَّى، يرحم قويُّه ضعيفَه، ويجْبُر موسرُه كسيرَه، وفي المسلمين فئةٌ فقدت أباً تأوي إليه يمسح دمعَها ويواسي حُزنَها، فتولَّى الله شأنَها وعظَّم أمرَها، وأَمَر الأممَ في سالف القرون بالإحسان إليها، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]، وأمر بِلِينِ الكلام معهم فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، وجعل البذل لهم من خصال البرِّ والتَّقوى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وجعل لهم نصيباً من خُمُسِ المَغْنم وهم لم يقاتلوا، قال سبحانه:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ومَنَحهم قَسْماً من خُمُس الفيء وهم لم يغزوا ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، وإذا حضروا قَسْمَ تَرِكَةٍ نَدَب إعطائَهم منها ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء: ٨].

وأمر سبحانه أن يكون التَّعاملُ معهم بالعدل ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [النساء: ١٢٧]، ونزل القرآن في شأن المرأة الصَّغيرة منهم تعظيماً لهم، فأمر مَنْ خشي ألا يعدل في صداقها أن يعدِل عنها إلى غيرها فقال: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، ولما سَأل الصَّحابةُ رسولَ الله ﷺ عن معاملتهم أنزل الله قوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، واستفتوا النَّبيَّ ﷺ عن صغار النِّساء من اليتامى فأفتاهم الله بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧]. حقُّهم أتى بعد حقِّ القريب في آيات عديدة، والله يُذكِّر بشأنهم مع حال الأولاد الضُّعفاء فقال: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [النساء: ١٢٧].

ووبَّخ سبحانه من لم يُكْرِمْ يتيماً ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، وقَرَن دعَّهُ ـ وهو قهرُه وظلمُه ـ بالتَّكذيب بيوم الدِّين ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١، ٢]، ونهى اللهُ صفوةَ خلقِه أن يَقْهر أحداً منهم ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا تذلَّه وتنهرْه وتُهِنْه، ولكن أحسن إليه وتلطَّف به».

حفظ الله أموالهم ونهى عن قُربِها إلا بالحسنى ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ

﴿ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ولا يتولَّى أموالَهم إلا القويُّ الأمين، ونهى النَّبيُّ ﷺ الضَّعيفَ أن يتولَّى شيئاً من أموالهم فقال: «**يا أبا ذر! إنِّي أراك ضعيفاً، وإنِّي أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ اليتيم**» (رواه مسلم).

وأَكْلُ مالِه من السَّبْع المهلكات، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اجتنبوا السَّبع الموبقات** ـ وذكر منهنَّ ـ: **وأكلُ مال اليتيم**» (متفق عليه)، ومن أَكلَ مالَه بغير حقٍّ؛ أكل في بطنه ناراً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وإذا رَشَدَ أُعطي مالُه وافياً من غير بخسٍ أو إخفاءٍ لشيء منه ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ [النساء: ٦].

أيُّها المسلمون:

اليتيم يأتي إلى الدَّار بالخيرات، وبه يلين القلب من القسوة، سأل رجلٌ الإمامَ أحمدَ كيف يَرِقُّ قلبي؟ قال: «ٱدخل المقبرة، وامسح رأس اليتيم»، وأطيبُ المال ما أُعطي منه اليتيم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حلوة، فَنِعْم صاحبُ المسلم ما أُعطي منه المسكينُ واليتيمُ وابنُ السَّبيل**» (متفق عليه)، والإحسان إليه يفرج كروبَ الآخرة ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]، وإطعامهم سببٌ لدخول الجنَّة ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

والنَّبيُّ ﷺ أسوةٌ في كفالة الأيتام؛ فقد ولي عليه الصَّلاة والسَّلام في داره أكثر من عشرةِ أيتامٍ يحوطهم برعايته وعنايته، وكان لهم أباً رحيماً، مشفقاً مُحبّاً، ومن كفل يتيماً؛ كان معه في الجنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة كهاتين** ـ وأشار بأصبعيه السَّبابةِ والوسطى ـ» (متفق عليه) قال ابن بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقٌّ على كلِّ من

سمع هذا الحديثَ أن يعمل به؛ ليكون رفيقَ النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة، ولا منزلةَ في الآخرة أفضلُ من ذلك».

واقتفى الصَّحابة أثر النَّبيِّ ﷺ؛ فكان الخلفاء الرَّاشدون يرعون أيتاماً في بيوتهم، وكفل نساءٌ ـ كأمِّ المؤمنين عائشةَ وميمونةَ وزوجةِ ابن مسعود رضي الله عنهم ـ أيتاماً من البناتِ في بيوتهنَّ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى يتيماً مسح رأسه وأعطاه شيئاً، وقال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «ارحم اليتيم، وادْنُهُ منك، وأَطْعِمْه من طعامك».

واليتيم محفوظٌ بحفظ الله وكَلَاءته ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، والله ﷻ لا يُغْلِق عن عبدٍ باباً إلا ويفتح له برحمته وفضله أبواباً غيره.

واليُتم قد يكون طريقاً للعلو والشُّموخ؛ فقد كان في الأمَّة عظماءُ ممَّن فقدوا آباءهم: نشأ أبو هريرة رضي الله عنه يتيماً، وكان يرعى لقومه الغنمَ، ثمَّ لازم النَّبيَّ ﷺ؛ فكان راويةَ الإسلام، والإمامُ البخاريُّ ـ صاحبُ الصَّحيح ـ يتيمٌ، وقرأ على ألف شيخ وصنَّف صحيحه؛ فكان هذا اليتيم نعمةً على هذه الأمَّة، والإمامُ الشَّافعيُّ فَقَدَ أباه وهو دون العامين، فنشأ في حِجْر أُمِّه في قِلَّة من العيش وضيقٍ من الحال، فحفظ القرآن وجالس في صباه العلماء؛ فَسَادَ أهلَ زمانِه، والإمام ابن الجوزي نشأ يتيماً، وَشَبَّ على العفاف والصَّلاح في حِضْنِ عمَّته، فحملته إلى العلماء؛ فصنف ووعظ، قال رحمه الله: «أسلم على يديَّ أكثرُ من مئة ألف»، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولا أعلم أحداً صنَّف في الإسلام أكثر من تصانيفه». وفي الأمة أعلام حفَّاظ كانوا أيتاماً؛ كالسُّيوطيّ وابن حجر، والأوزاعي والثَّوري.

وسيِّد الأيتامِ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، توفِّي والده وأمُّه حَمْلٌ به، ثمَّ تقلَّب

في أحضانٍ متواليةٍ ـ من أُمِّه إلى جدِّه إلى عمِّه ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

إنَّ وراءَ هؤلاء الأيتام، مخلصون من الأمَّهات وذي القربى والنَّاصحين، ممَّن تحملوا أَمانةَ حفظِ اليتيم، فتوكَّلوا على الله وأحسَنُوا الولاية وقاموا بالرِّعاية خيرَ قيام، وعلى اليتيم أن يتَّخذ هؤلاء قدوةً له في حياته، فيسارعَ إلى مجالسة الصَّالحين وطلبِ العلم.

وإذا فقد اليتيم أباه، تضاعف واجب الأُمِّ نحوَ أبنائِها، أُمُّ موسى رعت ابنَها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واصطفاه الله نبيّاً ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القصص: ١٢، ١٣]، ومريم أحسنت تربيتها لابنها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واختاره الله رسولاً، والإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ مات والده وهو حَمْلٌ في بطن أمه، وعاش حياةَ فقرٍ وفاقة، فحضنته أمُّه وأدَّبته وأحسنت تربيته، قال رَحِمَهُ اللهُ: «كانت أمِّي توقظني قبل الفجر بوقت طويل ـ وعمري عشرُ سنوات ـ وتُدْفئُ لي الماءَ في الشِّتاء، ثمَّ نصلي أنا وإيّاها ما شئنا من صلاة التَّهجُّد، ثمَّ تنطلق بي إلى المسجد في طريقٍ بعيدٍ مظلمٍ موحش؛ لتصلِّي معي صلاة الفجر في المسجد، وتبقى معي حتى منتصفِ النَّهار تنتظر فراغي من طلب العلم وحفظ القرآن»، بصبر هذه الأمِّ على اليتيم، أَخرجت عالماً من علماء المسلمين وأئمَّتِهم.

ويجب على الأمِّ والأوصياءِ والأولياءِ: الإحسانُ إلى اليتيم في التَّربية والرَّحمة، وألا يُقتَصرَ على الشَّفقة والعطف والإنفاق فَحَسْب؛ بل يكون بالتَّوجيه الحسنِ والتَّعليم النَّافع، قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وأوَّل ما يوجَّه إليه اليتيم: حفظُ كتاب الله العظيم؛ فهو العاصمُ والحافظُ والمُخْرِجُ من الفتن، ثمَّ طلبُ العلم الشَّرعي ـ من حفظِ متون

العقيدة والحديث والفقه وغيرِها ـ، ومجالسةُ العلماء، ولزومُ الصُّحبة الصَّالحة، مع صرفه عن الفتن وأسبابها.

وعلى من يرعى يتيماً أن يراقبَ ربَّه في ذلك الضَّعيف، وأن يخلص في عمله معه لله ـ فالإخلاص ييسِّر العمل ويكسوه حلاوة ـ، وعليه ألا يبخل بابتسامة، وأن يبذل له ويرحمَه، ويُقِيلَ عثرتَه، ويُحسِنَ ولايَته، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُنْ لليتيم؛ كالأب الرَّحيم».

واليتيم: طفل اليوم، وهو رجل المستقبل، يصلح ـ بإذن اللهِ ـ بصلاحك، ويحسن بإحسانك، والله يكافئك على كل ما عملته من تربية وإحسان، ويجزِيك على ذلك الجزاء الأوفى.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الله سبحانه جابرٌ كسرَ اليتيم، ورافعٌ قدرَه، ومن كُتِب عليه اليتمُ وهو ضعيف؛ فالجنَّة مأوى المستضعفين من المؤمنين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ألا أخبركم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لو أقسم على الله لأبرَّه**» (متفق عليه).

وإعالة اليتيم وكفالته؛ سعادةٌ ونعمة، فافرح بإحسانك إلى اليتامى والحنوِّ عليهم وقضاءِ حاجاتهم، واحذر احتقارهم، فبحسب امرئٍ من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم، ومن فقد رعاية والدِه بغير يُتْمٍ؛ وجب على المجتمع الإحسانُ إليه وإحاطتُه بالرِّعاية والتَّربية، والرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

الحســد

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

صلاح الجوارح بصلاح القلب، وأعمال القلوب في الثَّواب والعقاب كأعمال الجوارح، يُثاب على الموالاة والمعاداة في الله، ويُعاقب على الحسد والفخر والرِّياء، وإصلاح القلب أفضلُ من نوافل العبادات، ولا ينال المسلمُ الكمالَ إلا بزوال ما في قلبه من الحسد والأضغان.

وسلامة الصَّدر من صفات الأنبياء، قال الله ممتدحاً خليلَه عليه السلام: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]، وشُقَّ صدرُ النَّبيِّ ﷺ مرَّتين: مـرَّةً في صباه وأُخرِجَ منه العلقة، وشُقَّ مرَّةً أخرى قبل الإسراء وغُسِل قلبه في طَسْتٍ من ذهب بماءِ زمزم (رواه ابن حبان)، ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ

معلِّماً أمَّتَه: «**اللَّهُمَّ اهدني، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قلبي** ـ أي: حقده ـ» (رواه أبو داود).

وأثنى الله على الأنصار بسلامة صدورهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الحشر: ٩] ـ أي: ما أوتي إخوانُهم المهاجرون من فضل ـ، وأخبر عن الصَّالحين مِنْ بَعْدِهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

وهو من أسباب دخول الجنَّة، قال النَّبيُّ ﷺ للصَّحابة رضي الله عنهم: «**يطلع عليكم الآنَ من هذا الفجِّ رجلٌ من أهل الجنَّة**، فطلع رجلٌ من الأنصار، فسألوه عن عمله، فقال: لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غِشّاً، ولا أَحسِدُ أحداً على خيرٍ أعطاه الله إيَّاه» (رواه أحمد)، وكان السَّلف يَسْعَوْنَ لسلامة صدورهم؛ فنُعِتُوا بذلك، قال ابن كثير ـ واصفاً قرينَه ابنَ القيِّم رحمهما الله ـ: «كان حَسَنَ القراءةِ والخُلُق، وكثيرَ التَّودُّد، لا يَحْسُدُ أحداً، ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد».

ولا ينفع يومَ القيامة إلا سلامةُ الصَّدر مع الإيمان، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، والله سبحانه فضَّل عبادَه بعضَهم على بعضٍ في العطاء عدلاً منه وفضلاً؛ ليظهر صبرُهم وشكرُهم، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١].

والحسد خُلُقٌ ذميمٌ، ونعتٌ دنيءٌ، يَقْصِد به الحاسدُ ذوي الفضائلِ والنِّعم، اتَّصف به إبليس؛ فامتنع أن يسجد لآدم حسداً له: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]؛ فكان أوَّلَ ذنبٍ عُصي اللهُ به في السَّماء. وهو من صفات اليهود والنَّصارى، قال ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

﴿ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]، وهو من أقوال مرضى القلوب، قال جلَّ وعلا: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾، وقد يؤدِّي بصاحبه إلى الكفر بالله، قال ﷻ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ويتمنَّى به غيرُ المسلم إخراجَ أهلِ الإسلام عن دينهم، قال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقد يمنع من الدُّخول في الإسلام، قال المسور بن مخرمة لأبي جهل: هل كنتم تتَّهمون محمَّداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: «والله لقد كان محمَّد فينا ـ وهو شابٌّ ـ يُدْعى الأمين، فما جرَّبنا عليه كذباً قطُّ، قال: فما لكم لا تتَّبعونه؟! قال: تنازعنا نحن وبنو هاشم الشَّرفَ، فأطعموا وأطعمنا، وسقَوْا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الرّكب وكنَّا كَفَرَسَيْ رهانٍ قالوا: منَّا نبيٌّ، فمتى ندرك مثلَ هذه؟! والله لا نؤمن به ولا نصدّقه أبداً».

وقد يقتل الحاسدُ المحسود، قال سبحانه ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وهو فتنةٌ لقلوب النَّاس، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] قال ابن رجبٍ رحمه الله: «الحسد مركوز في طباع البشر»، والسَّعيد من دفعه عن نفسه.

وهو مُنَافٍ لكمال الإيمان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ: الإيمانُ والحسد**» (رواه النسائي)، وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ أمَّته من هذا الدَّاء فقال: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا**» (رواه مسلم). الحسد منبع الشُّرور، ويوجب الظُّلم، ويورث القطيعة، قال ابن عقيل رحمه الله: «اعتبرتُ الأخلاقَ ـ أي: تأمَّلتها ـ فإذا أشدُّها وبالاً الحسد».

والحاسد ضعيفُ النَّفسِ، كلُّ نعمةٍ على غيره يراها عظيمة، مُبغِضٌ لنعم الله على عباده، يتألَّم من فضيلةٍ تظهر، أو منقبةٍ تُشكر، إن رأى فضل الله على خلقه اغتمّ، وإن عاين زوالها سُرَّ، فلا راحة لحاسد، يفرح لحُزْن النَّاس، ويحزن لفرحهم، لا يرى قضاء الله عدلاً، ولا لنعمه على النَّاس أهلاً، ولسانه يُخرِجُ سوادَ قلبِه، قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ [محمَّد: ٢٩] قال معاوية رضي الله عنه: «إيَّاك والحسد، فإنَّه يتبيَّنُ فيك قبل أن يتبيَّن في عدوِّك».

يُردي صاحبَه، ويقودُه إلى الذُّلِّ والمهانة؛ كما حصل لإخوة يوسف حينما طلبوا من أخيهم الذي حسدوه الصَّدقة عليهم ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨].

ليس في خصال الشَّرِّ أعدلُ من الحسد، ينتقم الحاسد من نفسه بنفسه قبل أن يصل إلى المحسود، ومن رأى حالَ الحاسد في همّه وغمّه وكمَدِه؛ أشفق عليه، والحاسد اشتغل بما لا يعنيه، فأضاع ما يعنيه.

الحسد رفعة للمحسود، إذ النُّفوس لا تحْسُدُ إلا العظيم، وكم من نعمة خافية أظهرها حسود؟! وكم من عبدٍ أُثني عليه بعد أن حُسِد؟! حُسِد هابيلُ ـ ابنُ آدم ـ؛ فبقي ذكرُه يُثنَى عليه في كتاب الله، وبِحَسَب فضل الإنسان وظهور نعم الله عليه، يكثر حسد النَّاس له.

وأعظم نعمة يُحْسد المرءُ عليها هي نعمة الإسلام، قال سبحانه: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، والنَّبيُّ ﷺ حُسِد على القرآن ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

والمحسود مظلوم، مأمورٌ بالصَّبر والتَّقوى، والعفوِ والصَّفح، قال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ويوسفُ عليه السلام قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

ونار الحاسد تُطفأُ بالإحسان إليه، وكلّما ازداد شرُّ الحاسد؛ فزدْه إحساناً ونُصْحاً وشفقةً عليه، والحسد يمنع كمال الإيمان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**» (متفق عليه).

والحسد معصيةٌ يجب على المسلم أن يتوب منها، وأن يرضى بالقضاء، ويستسلمَ للمقدور، ولا يعارضَ اللهَ في أمره، ويفرحَ بكرم الله على عباده، ويدفعَ عن قلبه تلك المعصيةَ طاعةً لله، وخوفاً من عقابه، وبُعْداً من أن يَكره نعم الله على عباده، وأن ينظرَ إلى من هو دونه، ويتذكَّرَ نعم الله عليه، ويقنعَ بعطاء الله له، فكلٌّ حاسد محسود، وأن يتعوَّذَ بالله من الحسد ويبادرَ إلى الدُّعاء للمحسود، ويتمنَّى زيادة الخير لأخيه المسلم، ومن أعطى غيرَك نعمة، قادر أن يعطيَك مثلَها وأكثرَ منها، والله ذو الفضل العظيم، والغبطة حقّاً في عطاء درجات الآخرة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [النساء: ٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أحبُّ القلوب إلى الله أرقُّها وأصفاها، ولا أهنأ حياةً من مؤمنٍ سليمِ الصَّدر، إِنْ رأى نعمةً ساقها الله إلى أخيه فرِحَ، ورأى فضلَ الله فيها وفقرَ عبادِه إليها، وما عادى أحدٌ مسلماً فأفلح.

وفي الرِّضا بما قسمه الله؛ سلامةٌ للقلب، وكلَّما كان العبد أشدَّ رضاً؛ كان قلبُه أسلم، وعلى المرء أن يقهر نفسه عن مذمومِ خُلُقِها، ويحجزَها عن لئيم طبعها، وجماع الطُّرق التي يصان منها القلب: الحرص، والشَّهوة، والغضب، والحسد. ومن أحبَّ أن يُنعم الله عليه؛ فلا يلتفتْ إلى أحوال النَّاس، ولْيجعلْ صدره سليماً، ومن نظر إلى ذنوبه؛ استكثر ما هو فيه من النِّعم.

وما حفظ عبد نعمة الله عليه بمثل شكرها، ولا عرَّضها للزَّوال بمثل عصيان الله بها، فسارعوا إلى شكر نعمه عليكم؛ يزدْكم من فضله، ويَهبْ لكم من الخير ما تَسعدون به في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

الظُّلــم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله الإنسان وفطر فيه خصالاً حميدة، وأمره بالسَّير والثَّبات عليها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وفيه صفات مذمومة أَمَره بمجاهدة نفسه وهواه منها. فيه خصلة إن أرخى لنفسه العنان لها هلك ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والنَّفس السَّليمة تَحْذَر الظُّلم والطُّغيان، وتتَّصفُ بالعدل والتَّقوى، وقد تنزَّه الباري جلَّ وعلا عن الظُّلم، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [النساء: ٤٠]، وجعله بين العباد محرَّماً فقال: «**يا عبادي! إنِّي حرّمت الظُّلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً؛ فلا تَظَالَمُوا**» (رواه مسلم).

الظُّلم يسلب الحقوق، ويفسد المجتمع، ويقهر الضَّعيف، ويجلب الهموم، ويُهلكُ الدِّيار، وتنهار به الأمم والبلدان، دعا أول الرُّسل نوحٌ عليه السلام على الظَّالمين فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا خرج من المنزل استعاذ بالله منه بقوله: «**بسم الله، ربِّ أعوذ بك أن أَزِلَّ أو أَضِلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظلَمَ، أو أَجْهلَ أو يُجْهَلَ عليَّ**» (رواه الترمذي)، وأمر أفراد أمَّته أن يتعوَّذوا بالله منه، فقال: «**تعوَّذْ بالله من الفقر والقِلَّة والذلَّة، وأن تَظْلِمَ أو تُظْلَم**» (رواه النسائي)، ونهى المسلمين أن يتظالموا فقال: «**المسلم أخو المسلم، لا يَظلِمُه ولا يُسْلِمُه**» (رواه البخاري).

الظُّلم لُؤْمٌ إذ لا يُظلم إلا الضَّعيف، قال ابن الجوزي رحمه الله: «المعصية في الظُّلم أشد من غيره؛ لأنَّه لا يقع غالباً إلا بالضَّعيف الذي لا يقدر على الانتصار»، وهو خُلُقٌ ذميم يمنع الرِّزق عن العباد ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]، والظُّلم ولو في شيءٍ يسيرٍ تَعْظُمُ فيه العقوبة، قال ﷺ: «**من أخذ شِبْراً من الأرض ظلماً؛ طُوِّقَه إلى سبع أراضين**» (متفق عليه)، ولئن كان ظلم الهرَّة يُدْخل النَّارَ؛ فظلمُ المسلم أبشع، قال النَّبيُّ ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النَّارَ في هرَّةٍ حبَسَتْها، فلم تُطْعِمْها، ولم تَدَعْها تأكلُ من خشاش الأرض**» (متفق عليه)، والأمم في مأمن من العذاب إذا آمنت ولم تظلم؛ فإن ظلمت هلكت ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [الكهف: ٥٩]، وقد توعَّد الله الظَّالم وهدَّده بعذابٍ أليم ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥]، والله لا يهديه ولا ينصره ولا يحبُّه، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

الظَّالم مقطوع الدَّابر، لا يُخَلِّفُ ذِكْراً حسناً، وربُّك له بالمرصاد، وعاقبته إلى تباب، عقوبته معجَّلة، وعذابه كبير، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما من**

ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدُّنيا، مع ما يُدَّخَر له في الآخرة، من البغيِ وقطيعةِ الرَّحم» (رواه الترمذي)، وقد يمهلُه الله فلا يعاقبُه في الدُّنيا؛ استدراجاً له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله لَيُمْلِي للظَّالم، حتَّى إذا أخذه لم يُفلتْه**» (متفق عليه)، ويومَ القيامة يتضاعف عليه ظلمه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الظُّلم ظلماتٌ يوم القيامة**» (متفق عليه)، ولا أنصار له ولا شفعاء، ولا تقبل منه المعاذير، ويود الافتداءَ بما في الأرض بل ومثلُه معه للنَّجاة من العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾ [الزمر: ٤٧]، ولئن تولَّى ظالمٌ ظالماً في الدُّنيا؛ فمآلهما الافتراق والنِّزاع، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣] قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما اجتمع اثنان على معصية إلا تنازعا»، والظَّالم لا يهنأُ بظلمه؛ بل يُبتلى بمن هو أقوى منه ظلماً فيقهرُه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

والله بقوَّته وقدرته ينتصر للمظلوم، وجعل دعوته مستجابة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثلاثُ دعواتٍ مستجابةٍ لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**» (رواه أبو داود) قال الزَّبيديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المظلوم إذا شكا إلى الله، اقتضى عدلُ الله الإيقاعَ بظالمه»، ودعوته لا حجاب دونها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**واتَّقِ دعوة المظلوم، فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب**» (متفق عليه) قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُستجاب للمظلوم والمضطر بسرعة»، ادَّعت امرأة ظلماً على سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة ـ أنَّه أخذ أرضها فقال: «اللَّهُمَّ إن كانت كاذبة، فَأَعْمِ بصرَها، واقتلها في أرضها؛ فأعمى الله بصرها، ثمَّ بينما هي تمشي في أَرضها إذ وقعت في حفرة فماتت» (رواه مسلم).

ومن ظَلَم عجَّل الله عليه العقوبة ـ وإن لم يَدْعُ عليه المظلوم ـ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما من ذنبٍ أَجْدَرُ أن يعجِّل الله له العقوبة في الدُّنيا، مع ما**

يُدَّخَر له في الآخرة، من البغيِ وقطيعةِ الرَّحم» (رواه الترمذي)، وأصحاب البستان الذين قصَّ الله أمرهم في سورة القلم، لمَّا منعو الفقراءَ حقَّهم؛ أهلك الله زروعهم ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩، ٢٠].

ومن ظُلِم فصبر؛ زاده الله عزّاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثلاثةٌ أُقسم عليهنّ: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ بمظلمة فيصبُر عليها، إلا زاده الله بها عزّاً، ولا يَفْتحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فَتَح الله له باب فقر**» (رواه الترمذي)، والله يخاصم عن المظلوم يوم القيامة، ومن خَصَمه الله خُصم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قال الله ﷻ: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر، ورجلٌ باع حرّاً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**» (رواه البخاري)، ولا يدخلُ المظلومُ الجنَّةَ حتى يُقتصَّ له ممَّن ظلمه وتطيبَ نفسُه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا خَلَص المؤمنون من النَّار، حُبِسوا بِقَنْطَرَةٍ بين الجنَّة والنَّار، فيتقاصُّون مَظَالِمَ كانت بينهم في الدُّنيا**» (رواه البخاري).

ومن الظُّلم: حرمانُ العاملين حقوقَهم، أو إنقاصُها، أو المماطلةُ في دفعها، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَطْلُ الغنيِّ ظُلْمٌ**» (متفق عليه)، ومن الظُّلم: الاعتداء على أملاك الآخرين، أو سلبُها، أو أذيَّتُهم فيها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من أَخذ شِبْراً من الأرض ظلماً؛ طُوِّقَهُ إلى سبع أراضين**» (متفق عليه). وأكْلُ أموال اليتامى ظلماً من موجبات النَّار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ [النساء: ١٠].

وتقصير الزَّوجة في حقوق زوجها، وإنكارُها محاسنَه والتَّشكِّي ممَّا لم يفعله؛ ظلمٌ منها له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّكنَّ تكْفُرْنَ العشير**» (متفق عليه)، وظلمُ الزَّوجِ زوجتَه، أو تقصيرُه معها فيما أوجب الله لها من الحقوق؛ تعدٍّ عليها، وعدمُ العدل بين الزَّوجات، والميلُ إلى إحداهنَّ في القَسْم

والنَّفقةِ ونحوِهما؛ حيفٌ متوعَّدٌ عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من كانت له امرأتان، فَمَالَ إلى إحداهما، جاء يومَ القيامة وشِقُّهُ مائل**» (رواه أبو داود).

وتفضيلُ الأولادِ بعضِهم على بعضٍ في الهبات وغيرِها، أو التَّقصيرُ في رعايتهم وتوجيههم؛ ظلمٌ من الأب لهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» (متفق عليه)، ومن الظُّلم: منعُ الأب ابنتَه من الزَّواج، أو تزويجُها من غير كُفْءٍ لها؛ طمعاً في مالٍ أو غيره.

وتقديمُ المعلِّم بعضَ طلابه على بعضٍ بغير حقٍّ؛ ميلٌ عن العدل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وحديث: «**القضاةُ ثلاثةٌ...**» يدخل فيه مُعلِّمُ الصِّبيان». وأذيَّة المسلم والإضرارُ به؛ من أعظم العدوان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ من أكبر الكبائر: استطالةَ المرء في عِرْضِ رجلٍ مسلمٍ بغير حقٍّ**» (رواه أبو داود).

والتَّصويرُ بأنواعه من ظلم العبد لنفسه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قال الله ﷻ: ومن أَظْلمُ ممَّن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرَّة، أو ليخلقوا حبَّة، أو ليخلقوا شعيرة**» (متفق عليه).

وأعظم الظُّلم: الشِّركُ بالله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فمن دعا غير الله، أو نذر أو طاف أو ذبح لغير الله، أو حلف بغير الله؛ فهو ظالمٌ لنفسه، واجبٌ عليه أن يتوب.

ومن ظلم غيره؛ فليتذكَّر قدرة الله عليه ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، والله يقبل توبة الظَّالم إذا تاب وردَّ المظالمَ إلى أهلها، قال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩] قال ابن القيِّم رحمه الله: «ظلم العباد بعضِهم بعضاً لا يترك الله منه شيئاً، والله يستوفيه». ومِنْ عَدْلِ الله: أنَّ الخلائق يُقتصُّ لهم ممَّن ظلمهم، حتى البهائمُ فيما بينها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقادَ للشَّاة الجَلْحَاءِ** - أي:

التي لا قرن لها ـ **من الشَّاة القَرْنَاءِ** ـ أي: التي لها قرن ـ» (رواه مسلم).

وقد أمر النَّبيُّ ﷺ أن يتحلَّل الظَّالم من المظلوم في الدُّنيا قبل حساب الآخرة، فقال: «**من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عِرْضه أو شيء؛ فليتحلَّلْه منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إنْ كان له عملٌ صالحٌ أُخِذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ أُخذ من سيِّئات صاحبه فَحُمِل عليه**» (رواه البخاري).

وظلم الشِّرك لا يُغْفر إلا بالتَّوحيد، ويجب نصر الظَّالمِ ببذل النَّصيحة له ليكُفَّ عن مظلمته، قال الله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، ومنْعُ الظَّالم عن ظلمه نصرٌ له؛ لئلَّا يحيق به العذاب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**، قالوا: يا رسول الله! هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: **تأخذُ فَوْقَ يده**» (متفق عليه).

فاتَّقوا الله وكونوا قوَّامين بالقسط والعدل، واحذروا الظُّلم، وعظِّموا حرمات المسلمين، وردُّوا المظالم إلى أهلها قبل يوم الحساب.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

أَصْلُ كلِّ خيرٍ: العلمُ والعدل، وأصلُ كلِّ شرٍّ: الجهلُ والظُّلم، وأعقل النَّاس من أنصف عقلَه من هواه، وممَّا يعين على مجانبة الظُّلم: القناعةُ، ومراقبةُ اللهِ، وكثرةُ الدُّعاء، ومَنْ عَدَلَ وَرَاقَبَ ربَّه وأطاعه؛ عاش آمناً مطمئنّاً، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وإذا ابتعد العباد عن الظُّلم، ولجؤوا إلى الله بالتَّوبة والدُّعاء؛ نالهم الخَصْب والعطاء.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

اغتنم خمساً قبل خمس

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربَّه نجا، ومن أعرض عن ذكره فقد هوى.

أيُّها المسلمون:

تمضي السَّنواتُ والأعوام، واللَّيالي والأيَّام، وتجري الشَّمس لمستقرٍّ لها ثمَّ ينقضي الزَّمان، واللَّيل يَطْلُب النَّهارَ سريعاً لمضيِّ الكون ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، والحياة لا تدوم على حال، نِعَمٌ موهوبة، وآلاءٌ مسلوبة، والنَّبيُّ ﷺ حثَّ على اغتنام خمسِ نِعَم، أيَّامها هي أيَّامُ العملِ والتَّأهُّبِ والاستعدادِ والإكثارِ من الزَّاد، منها ما هو زائل لا محالة، ومنها ما يُخشى زواله، من فاته العمل فيها؛ لم يدركْه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعُه التَّمنِّي بعد التَّفريط فيها، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابَك قبل هرمك،**

وصحَّتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرك، وفراغَك قبل شُغلك، وحياتَك قبل موتِك» (رواه الحاكم).

فأيَّام الشَّباب قليلةٌ وقد يقطعها الأجل قبل تمامها، وما أكثرَ من يموت في شبيبته! قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «أكثرُ من يموت الشَّباب، لذا قلَّ أن ترى الأشياخ»، والشَّباب زمن التَّحصيل لأمور الدُّنيا والدِّين، وزمنُه من أنفس الأوقات، والمحاسبة عليه تجري على انفراد «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربعٍ** ـ ومنها ـ: **وعن شبابه فيمَ أبلاه**» (رواه الترمذي)، ومن حفظ شبابه بالطَّاعة ومغالبةِ الهوى؛ وعده الله بظلٍّ تحت العرش «**سبعةٌ يُظِلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه** ـ ومنهم ـ: **شابٌّ نشأ في عبادة الله**» (متفق عليه).

والعافية متعةُ الدُّنيا لا لذَّة للحياة إذا زالت، وأيَّام سرورها مجهولةٌ لا يُعلم متى انقضاؤها، ومِنْ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية**» (رواه أبو داود)، وقد أَمَر ﷺ أمَّته أن تدعوَ ربَّها أن تنالها فقال: «**واسألوا الله العافية**» (متفق عليه)، وهي ممَّا يُسأل عنه يومَ القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ أوَّل ما يُسأل عنه العبدُ يومَ القيامة** ـ يعني: من النَّعيم ـ **أن يقالَ له: أَلم نُصِحَّ لك جسمك، ونُرْوِيك من الماء البارد؟**» (رواه الترمذي).

وتدوم العافية بشكرها؛ باستعمالها في الطَّاعة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وبالمأكل والمشرب الحلال، وبكثرة الاستغفار وملازمة التَّوبة ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣]، ومَنْ حَفِظَ الله في صباه وقوته؛ حفظه الله في كِبَره وضعفِ قوتِه.

والأوزار مهلكة للصِّحَّة، قال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ

أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢، ٣]، ومن عمل في صحته ثمَّ مَرِض؛ أُجري له ثوابُ ما كان يعمله وهو صحيح، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا مرض العبد أو سافر؛ كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**» (رواه البخاري)، ومَنْ أَهمل العمل في صحَّته ثمَّ مَرِض؛ لم يجر عليه سوى الحسرةِ والنَّدم، فاعمل في عافيتك لله، وإن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل، قال علي رضي الله عنه: «لا تنس صحَّتك وشبابك وغناك، أن تطلب بها الآخرة».

والمال يتقلَّب بأيدي العباد لا يبقى على حال، ومن لم يتحوَّل عنه المال؛ تحوَّل هو عن المال بالرَّحيل، قال سبحانه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٥، ٢٦]، والمال فتنةُ هذه الأمَّة، قال ﷺ: «**لكلِّ أمَّةٍ فتنةٌ، وفتنةُ أمَّتي: المال**» (رواه الترمذي). والغنيُّ المنفِق يسبق غيرَه بالأجور، قال بعض الصَّحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ: «ذهب أهلُ الدُّثور بالأجور» (متفق عليه)، والموفَّق من الأغنياء من بَنى آخرتَه بالسَّخاء والعطاء مع التَّقوى، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أفضل الصَّدقة: أن تصَدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقرَ وتأمُلُ الغنى**» (متفق عليه)، والنَّادم من كَنَزَ مالاً وتوانى عن الإنفاق، قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

والفراغ هو زمن العمل، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، وإذا كَبُر المرءُ كبرت معه آمالُ الحياة، فيبذلُ نفيسَ ما يملك من الوقت لتحصيلها وقد تفوته، قال النَّبيُّ ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّةُ والفراغ**» (رواه البخاري) قال ابن كثير رحمه الله: «أي: أنَّهم مُقصِّرون في شكر هاتين النِّعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحقِّ ما وجَبَ عليه فهو مغبون»، وما سَبَقَ من سبق إلى المعالي إلا

باغتنام زمان الفراغ، وقرأ الخطيبُ البغداديُّ صحيحَ البخاري على الحِيرِي في ثلاث مجالس، وقرأ برهانُ الدِّين البِقاعيُّ على البدر الغزي صحيحَ البخاريِّ في ستَّة أيَّام، وقرأ الفيروز آبادي صحيحَ مسلم في ثلاثة أيَّام على ناصر الدِّين، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت النَّاس في خير؛ فنافسهم فيه»، ولا تحقرنَّ شيئاً من الشَّرِّ في فراغك أن تتَّقيَه، ولا شيئاً من الخير في وقتك أن تفعلَه، فالفراغ لا يدوم.

والحياة قصيرة ليس للمرء فيها بقاء، يتحين الرَّحيل عنها في كلِّ آنٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ، أو عابرُ سبيل**، وكان ابن عمر يقول: إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصَّباح، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (رواه البخاري) قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن في الدُّنيا كالغريب، لا يجزعُ من ذلِّها، ولا ينافسُ في عزِّها، له شأن وللنَّاس شأن»، وليس للمرء دار يعمل فيها سوى هذه الدَّار ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

ومنزلة العبد في الآخرة، هي بعمله في هذه الأيَّام، والدُّنيا قصيرة خدَّاعة، لا تُعطي أحداً نفسها إلا بعد أن تذلَّ طالبها، ومتاعُها قليل، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما الدُّنيا في الآخرة، إلا مثلُ ما يجعل أحدُكم أُصبعَه في اليَمِّ، فلينظر بِم يرجع؟!**» (رواه مسلم).

وقد أنذر الله من حسرةِ الموتِ قبل العمل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وإذا حضر الأجل انقطع العمل، ثمَّ تُحبسُ كلُّ نفسٍ بعملها، قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وكان أبو الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا رأى جنازة قال: «موعظة بليغة، وغفلة سريعة»، فاعمر أنفاسك بالطَّاعات، وتزوَّد من الصَّالحات، وسابق في الخيرات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

المؤمن بين مخافتين: بين ذنبٍ قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يصيبُ فيه من المهالك، ومن أصلح سريرتَه أصلح الله علانيته، وإذا أَحدثْتَ ذنباً فأعقِبْه بتوبة، واتَّق الله حيثما كنت، فالله مُطَّلعٌ عليك في سريرتك، ورقيبُك في علانيتك، والدُّنيا تُنادي بمواعظها، وتنصح بعبرها، وتُبدي عيوبها بما يرى أهلُها من فواجعها، فبادر بالأعمال قبل أن يحال بينك وبينها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع اللَّيل المظلم، يصبح الرَّجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً**» (رواه مسلم).

وممَّا يُسَابَق إليه: أداءُ الصَّلواتِ المفروضةِ جماعةً في بيوت الله، والاجتهادُ في أنواع الطَّاعات.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

أعمالٌ في الإجازة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

يقلِّب اللهُ الدَّهرَ ويدبِّر أمرَه؛ ليَظْهرَ شكرُ الشَّاكرين وتذكُّرُ المتذكِّرين، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وأمر النَّبيُّ ﷺ باغتنام الزَّمن، وأقسم الله بأجزائه تعظيماً لشأنه، فأقسم بالفجر والصُّبح والضُّحى والعصر، وأقسم بالزَّمن كلِّه ليله ونهاره، فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [اللَّيل: ١، ٢].

وطول العمر مع صلاح العمل؛ من منن الله الجسام، قال ﷺ: «**خير النَّاس: من طال عمُرُه، وحَسُن عملُه**» (رواه الترمذي)، وكانت حياة النَّبيِّ ﷺ كلُّها لله في اللَّيل والنَّهار، قال الله له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى

﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وأثنى الله على النَّبيِّ ﷺ وصحابتِه؛ لعمارة أوقاتهم بالعبادة فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكان السَّلف يغتنمون لحظاتِ زمانهم لرضوان الله، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أترك الذِّكر إلا بنيَّة إجمام نفسي وإراحتِها؛ لأستعدَّ بتلك الرَّاحة لذكرٍ آخر».

وما أعظَمَ من اغتنم زمن حياته بالإكثار من طاعة الله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما** ـ أي: يُفرِّط فيهما ـ **كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّةُ والفراغ**» (رواه البخاري).

ومن خير ما يُعمرُ به زمنُ الإجازة ويُنتفعُ به: حفظُ كتاب الله الكريم، فهو كنزٌ ثمينٌ، من نالَه شَرُف، ومن تلاه عَزّ، ومن قَرُبَ منه عَظُم، ومنزلةُ العبد في الجنَّة عند آخر آية يرتِّلها، وحفظ كتاب الله تجارةٌ رابحة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَأَنْ يغدوَ أحدُكم كلَّ يوم إلى المسجد، فيتعلَّمَ آيتين من كتاب الله ﷻ، خيرٌ له من ناقتين، وإنْ ثلاثٌ فثلاثٌ، مثلُ أعدادِهِنَّ من الإبل**» (رواه مسلم).

وفي زمن الفتن وانفتاحِ أبواب الشُّبهات والشَّهوات، يكون الاعتصام بكتاب الله ألزم، والقُرْبُ منه أوجب، قال النَّبيُّ ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتابَ اللهِ وسنَّتي**» (رواه الحاكم).

والتَّزوُّد من العلم الشَّرعي بحفظ أحاديثه، ومتونِ أهل العلم المصنَّفةِ في فنون الشَّريعة؛ رسوخٌ في العلم، ورفعةٌ للمسلم، قال الله ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١] قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفضل ما تُطُوِّع به: العلمُ وتعليمُه»؛ ولأجلِ هذا تغرَّبَ العلماء، وصبروا على المشاقِّ؛ فتعلَّموا وعمِلوا، وعلَّموا وصنَّفوا، فبقي تاريخهم نبيلاً، وسيرتُهم مناراً.

والشَّابُّ الفَطِنُ يسعد بالإجازة لمزيد البرِّ بوالديه؛ فبرّهما طاعة، وطاعتهما سعادة، والقرب منهما توفيق، قال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] قال ابن كثير رحمه الله: «من بَرَّ بوالديه؛ كان متواضعاً سعيداً». ومِنْ برِّهما: زيارةُ صديقِهما وإكرامُهما من بعدهما، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أبرَّ البرِّ: أن يَصِلَ الرَّجلُ وُدَّ أبيه**» (رواه مسلم).

وصلة الرَّحم؛ تُرضي الرَّحمن، وتُطيلُ العمر، وتزيدُ المال، وتُبارِكُ في الوقت، وتُقرِّبُ النُّفوس، وتُظهرُ مكارمَ الأخلاق وجميلَ المروءات، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقه، ويُنْسَأَ له في أَثَرِه؛ فليَصِلْ رَحِمَه**» (متفق عليه).

وزيارة أهل العلم والصَّالحين؛ تُهذِّب النُّفوس، وتسمو بالرُّوح، وتُذكِّر بالآخرة، وتُعْلِي الهمم، وتُصلح الحال، ويَنالُ بها الزَّائرُ معرفةً وعلماً، فهم ورثة الأنبياء ودعاة الهدى.

والصُّحبة الصَّالحة خيرُ معينٍ على العمل الصَّالح، تدفع إلى البرِّ، وتُغْلِقُ أبوابَ الشُّرور، وتَحثُّ على الطَّاعة، والله ﷻ أخبر أنَّ لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ صاحباً يعينه على طريق الدَّعوة وتبليغ الرِّسالة، فقال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، والمتحابُّون بجلال الله، على منابرَ من نور، يَغْبِطهم النَّبيُّون والشُّهداء.

ورفيق السُّوء؛ يُميتُ الهمَّة، ويدفع إلى السُّوء، ويصدُّ عن أبواب الخير، وقد أخبر الله أنَّ رفقته ندامة، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

والنَّظر إلى مواطنِ الفتن وأسبابِها في المرئيَّات من القنوات وغيرها،

يعيش المرءُ معها وَهْماً، وتورثه نُكْرانَ النِّعم، وترفعُ القناعة من النَّفس، وتُغشي على القلب الظُّلَم.

والإجازة مَغْنَمٌ لقرب الأب من أبنائه، يملأُ فراغَ قلوبهم، ويهذِّب سلوكَهم، ويُقوِّم عوجهم، والأبناء يَسْعَدون بمرافقتهم لأبيهم، وأُنسِهم به، وانتفاعِهم بأخلاقه، واكتسابِهم الصِّفاتِ الحميدة، وتَغافُلُ الأبِ عن أبنائه وبُعْدُه عنهم؛ إهمالٌ لتنشئتهم، وتيسيرٌ لأهل السُّوء للوصول إليهم، فيندمُ الأب على تفريطِه وإهماله لأبناءه.

والسَّفر المباح بهم؛ يُقرِّبُ ما بين الوالدين والأبناء، ويواري هُوَّةَ الفجوة بينهم، والعمرة سَفَرُ عبادةٍ يحطّ الأوزار، ويرفع الدَّرجات، وصلاةٌ في بيت الله العتيق أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه، وصلاةٌ في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه.

والسَّفر المحرَّم؛ إهدارٌ للمال، وعرضةٌ للفتن، وقد تقع بسببه في قلوب الأولاد شبهاتٌ أو شهواتٌ لا يملك الأب منعَها أو تحويلَها، وقد يعود المرء من السَّفر بحالٍ، أسوأَ من حالِه قبل السَّفر.

وفي الإجازة تبنى أُسَرٌ في المجتمع بالزَّواج، ومن شُكْرِ تلك النِّعمة: ألا يَصْحَبَ وليمتَها محرَّمٌ ـ من إسرافٍ، أو عُرِيٍّ، أو غِناءٍ، أو تصويرٍ ـ، وأن يكون زواجاً لا معصيةَ فيه.

ومن هديه ﷺ: النَّوْمُ أَوَّلَ اللَّيل، والصَّلاةُ آخِرَه، قال أبو بَرْزَة رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ ﷺ يكره النَّومَ قبل العشاء، والحديثَ بعدها» (متفق عليه)، وإذا كان السَّهر يُوهِنُ العزيمة، ويُثْقِلُ عن صلاة الفجر مع الجماعة؛ كان محرَّماً.

والمسلم يراقب ربَّه في أحواله وأزمانه، ويستشعر أنَّ الله يراه في أفعاله أيّاً كان زمانها أو مكانها، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، والثَّواب والعقاب يُجازَى عليه العبد في كلِّ موطنٍ حلَّ فيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتْبِعِ السَّيِّئة الحسنةَ تَمْحُهَا، وخالق النَّاسَ بخُلُقٍ حسن**» (رواه الترمذي). والله ﷻ يغار إذا انتُهكتْ حدودُه في سفرٍ أو حضرٍ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الله تعالى يغار، وغَيْرَةُ الله تعالى أن يأتي المرء ما حَرّم الله عليه**» (متفق عليه)؛ فَكُنْ مبتعداً عن الخطيئات، وتزوَّد من الأعمال الصَّالحة وإن قَلَّت، قال ﷺ: «**لا تَحْقِرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تَلْقى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ**» (رواه مسلم).

والمرء مُمتَحنٌ في رخائه وسرَّائه، وعافيتِه وبلائه، والموفَّق من جعل التَّقوى مطيَّتَه، وسَارَعَ إلى جنَّة ربِّه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الواجب على الأب عظيم نحو أبنائه في كلِّ وقتٍ، وفي الإجازة أشدّ، والأمُّ عليها واجبٌ مضاعفٌ في الحفاظ على بناتها، وملازمتِها لهنَّ في الرِّعاية والنُّصح والتَّوجيه، ولْتَأْمُرِ الأمُّ بناتَها باغتنام فراغهنَّ بحفظ كتاب الله، وسماعِ ما يفيد من ذكر الله، والقيامِ بأمور البيت ولو مع توافر من يخدمهن، مع أمرهنَّ بالحجاب والسِّتر والعفاف، ونَبْذِ ما يضرهنَّ ممَّا ينافي الدِّينَ والأخلاق.

والدُّنيا قصيرة ومتاعها زائل، ولا تتعلّقْ منها إلا بما يقضي به الغريبُ حاجته في غير موطنه، ولا تشتغلْ فيها إلا بما يشتغلُ به الغريب الذي أعدَّ العدَّة للرُّجوع إلى أهله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما الدُّنيا في الآخرة، إلا مِثْلُ ما يجعل أحدُكم أُصبعَه في اليمِّ، فلينظر بم يَرْجِع؟!**» (رواه مسلم).

وليس لك من مالك إلا ما أَكَلْتَ فأفنيت، أو لَبِسْتَ فأبليت، أو تصدَّقْتَ فأمضيت.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

خطـر الفـتــن

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشـهـد ألا إلـه إلا الله وحـده لا شـريـك لـه، وأشـهـد أنَّ مـحـمَّـداً عـبـده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيها المسلمون:

امتنَّ الله على عباده بنعم ظاهرة وباطنة، ولا تتم نعمة إلا بالدِّين، والثَّبات عليه من التَّحوُّل أو النُّقصان من أشقِّ الأمور، قال أنس رضي الله عنه: «كان رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول: **يا مقلِّب القلوب! ثبِّتْ قلبي على دينك**، فقلت: يا رسول الله! آمنَّا بك وبما جئتَ به فهل تخافُ علينا؟ قال: **نعم، إنَّ القلوبَ بين أُصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء**» (رواه الترمذي). ومن دعاء الصَّالحين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. والشَّيطان راصد للإنسان في كلِّ سبيلٍ لإفساد دينه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ عرشَ إبليسَ على البحر، فَيَبْعَثُ سراياه فَيَفْتِنُونَ النَّاس، فأعظمُهم عنده أعظمُهم فتنة**» (رواه مسلم).

والفتنُ من أعظم المؤثِّرات على الدِّين، فلا تعرف سنّاً ولا جنساً

ولا بلداً، وهي تمحِّص القلوب، وتظهر ما فيها من صدقٍ أو ريب، فتتعرَّض لكلِّ قلبٍ فيسقط فيها أقوام وينجو آخرون، قال النَّبيُّ ﷺ: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سوداء، وأيُّ قلبٍ أُنْكِرَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بيضاء**» (رواه مسلم).

وهي كثيرة؛ وصفَها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**بادروا بالأعمال فتناً؛ كقطع اللَّيل المظلم**» (رواه مسلم)، ولا تَدَعُ بيتاً إلا دخلته، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي لأرى مواقعَ الفتنِ خلال بيوتكم؛ كمواقعِ القَطْر**» (متفق عليه)، وكلّما فُتحت نعمةٌ نزلت معها فتنة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ماذا أنزل من الخزائن؟! وماذا أنزل من الفتن؟!**» (رواه البخاري). وإذا بَعُد النَّاس عن زمن النُّبوَّة؛ ظهرت الفتن، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تقومُ السَّاعة حتى يُقبض العلم، وتَكْثُرَ الزَّلازل، ويتقاربَ الزَّمان، وتظهرَ الفتن**» (رواه البخاري).

والفتنُ تتوالى على العبد إلى مماته، قد تأتي بمهلكته، وقد تتدرّج به، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ أمَّتكم هذه جُعِل عافيتُها في أوَّلها، وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيءُ فتنة، فَيُرَقِّقُ بعضُها بعضاً، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن: هذه مُهْلِكَتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النَّار ويُدْخَلَ الجنَّة؛ فلتَأْتِه مَنِيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ولْيَأْتِ إلى النَّاس الذي يحبُّ أن يُؤْتى إليه**» (رواه مسلم).

وخطرها كبير؛ من دنا منها أخذته، ومن حام حول حماها أوقعته، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ تشرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْه**» (متفق عليه)، منها ما هو كبير يموج كموج البحر، ومنها ما هو دون ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ ـ وهو يَعُدُّ الفتن ـ: «**منهنَّ ثلاثٌ لا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شيئاً، ومنهنَّ فتنٌ كرياح الصَّيف، منها صِغَارٌ ومنها كِبَارٌ**» (رواه مسلم).

فمنها: ما تُخْرج المرءَ من الدِّين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يصبح الرَّجل**

مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدُّنيا» (رواه مسلم) قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب».

وفتنةُ الشِّرك أعظمُ من القتل، ومن فتنته: أن يُظَنَّ أنَّ دعوةَ الأمواتِ وأصحابِ القبور مسموعة؛ فردَّ الله شبهتَهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۞ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]. أو يُظَنَّ أنَّ العملَ الصالحَ لا يَنْقضُه الشِّركُ ولا يفسِدُه، وقد أخبر الله أنَّ العملَ الصَّالحَ يَبْطُلُ إذا قارنه الشِّركُ به، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وكلُّ عملٍ لم يكن خالصاً لله؛ فإنَّه لا يُقْبَلُ ولو كَثُر، قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركتُه وشركَه**» (رواه مسلم). والرِّياء في الأعمال وعدمُ الإخلاص فيها لله، أعظمُ من فتنة الدَّجَّال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا أخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟** قال: قلنا: بلى، فقال: **الشِّركُ الخَفِيُّ**» (رواه ابن ماجه).

والتَّوكُّل على الله أحد ركني الدِّين ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والله سبحانه هو الخالق الرَّازق القدير، وتفويض الأمر إليه سبحانه يشرح الصَّدر وييسِّر الأمر ويحقِّق ـ بإذن الله ـ المُنَى، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣]، والاعتماد على الأسباب في طلب الرِّزق وغيره، والتَّعلُّقُ بالمخلوقين مع ضعف التَّوكُّل أو تركِه؛ فتنةٌ في الدِّين وذلٌّ للنَّفس وجلبٌ للأحزان وداعٍ للهموم.

والإيمان يُثبِّت النُّفوس ولا يُذَبْذِبُهَا؛ فتشكر ربَّها عند النَّعماء، وتصبر عند البلاء، ومن الفتن: ترك الهداية إن نزلت محنة، أو أقبلت

دنيا بزخرفها، أو تحليل ما كان يراه حراماً اتباعاً لهوى، أو طمعاً بدنيا، قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج: ١١].

والخلقُ يُفتن بعضهم ببعض، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفُرقان: ٢٠] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا عامٌّ في جميع الخلق، امْتُحِن بعضهم ببعض؛ فامْتُحِن الرُّسلُ بالمرسَل إليهم... وامْتُحِن المرسَلُ إليهم بالرُّسل... وامْتُحِن العلماءُ بالجهَّال... وامْتُحِن الجهَّالُ بالعلماء... وامْتُحِنَ الأغنياءُ بالفقراء، والفقراءُ بالأغنياء، وامْتُحِن الضُّعفاءُ بالأقوياء، والأقوياءُ بالضُّعفاء».

والألفةُ وجَمْعُ الكلمة على الحقِّ؛ من أُسُسِ قوَّةِ الإسلام وأهلِه، ونهى الله عن الشَّتات والافتراق فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، ومن أُولَياتِ أعمالِ النَّبيِّ ﷺ ـ لمَّا قدم المدينة ـ: تأليفُ قلوبِ الأوسِ والخزرج، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ لنشر الإسلام. ومن الفتن: الفُرقةُ والنزاعُ والاختلافُ بين المسلمين؛ اتِّباعاً لهوىً ونحوِه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفتن التي يقع فيها التَّهاجرُ والتَّباغُض، والتَّطاعنُ والتَّلاعن، ونحو ذلك: هي فتنٌ وإن لم تَبلُغِ السَّيفَ».

واللهُ كرّم الإنسانَ وفضَّلَه، وعظَّمَ حُرمةَ المسلم ودمَه، وفي آخر الزَّمان يَقِلُّ العملُ الصَّالح ويضعفُ الإيمان في النُّفوس ويُسْتَهانُ بحرمات الله، ومن الفتن: كثرةُ القتل في الأمَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تقومُ السَّاعةُ حتى يُقْبَضَ العلم، وتَكْثُرَ الزَّلازل، ويتقاربَ الزَّمان، وتَظْهَرَ الفتن، ويَكْثُرَ الهَرْج**، قالوا: وما الهَرْج؟ قال: **القتل**» (رواه البخاري).
ولكثرة القتل يسفك الدَّم من غير سبب، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ على النَّاس زمانٌ لا يدري القاتلُ في أيِّ شيءٍ قَتَل، ولا يدري المقتولُ على**

أيِّ شيءٍ قُتل» (رواه مسلم). ومن سلمت يداه عن الاعتداء؛ فليحفظ لسانه عن أعراض المسلمين.

والمالُ فتنة هذه الأمة؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**فتنةُ أمَّتي في المال**» (رواه الترمذي)، وكان النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذ من فتنته يقول: «**وأعوذ بك من فتنة الغنى، ومن فتنة الفقر**» (متفق عليه). وخشي النَّبيُّ ﷺ على أمَّته كثرةَ المال والمنافسةَ في جمعه، فقال: «**واللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبْسَطَ عليكمُ الدُّنيا؛ كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فَتُهْلِكَكُمْ كما أهلكتْهُم**» (متفق عليه).

ومن فتنته: جمعُه سواءً من حلالٍ أم من حرام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يأتي على النَّاس زمان لا يُبَالِي المرء ما أخذ منه، أَمِنَ الحلال أم مِنَ الحرام**» (رواه البخاري). ومن فتنتُه: البخلُ به، أو احتقارُ الفقراء، أو جعلهُ سبباً للعصيان، أو الاستكبارُ به على الخلق، ونسيانُ أنَّ اللهَ هو المنعِمُ عليه، أو بيع الدِّين للحصول عليه؛ كما قال ﷺ: «**يبيعُ دينَه بِعَرَضٍ من الدُّنيا**» (رواه مسلم)، والسَّعيد من قنع بعطاء الله له، وجمعه من حلال، وأيقنَ بأنَّ اللهَ هو المنعِمُ عليه وحده؛ فشَكَرَ ربَّه، وتواضع للخلق، وبذل ماله ابتغاء مرضاتِ الله.

والدُّنيا تزيَّنت لأهلها، وفتحت أبوابها في الصِّناعة والآلة والبناء وغيرها، والمرءُ قد يفتن بما قد يراه فيها، وينسى أنَّ اللهَ هو الذي وَهَبَ للإنسان العقل، وسخَّر له ما في السموات وما في الأرض؛ لتكون عوناً له على طاعة ربِّه، كما قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وحذَّر أن تكون تلك النِّعم صادَّةً عنه، وإذا استكبر بما صنعه، فالأمم السَّابقة قد فُتح لها من القوَّة والمال والولد ما لم يفتح لهذه الأمة، قال سبحانه: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [التوبة: ٦٩].

والمرأة خُلِقَتْ من ضِلَع أعوج، وهي من حبائل الشَّيطان ويزيِّنها في أعين الرِّجال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**المرأة عورة، وإنَّها إذا خرجت اسْتَشْرَفَهَا الشَّيطان** ـ أي: زيَّنها ـ» (رواه الترمذي)، وليس شيء أضرَّ على الرِّجال منها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النِّساء**» (متفق عليه)، وهي أوَّلُ فتنةِ بني إسرائيل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقوا النِّساء، فإنَّ أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النِّساء**» (رواه مسلم)، وامتدَّت فتنتُها إلى هذه الأمَّة. ودواء فتنتهنَّ: غضُّ البصر، وتحصينُ النَّفس بالنِّكاح، وأَمْرُ المرأة بالسِّترِ والحجابِ والعفاف.

والأولادُ زينةُ الحياة، وجعلهم الله فتنة؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، ومن فتنتهم: التَّفريط في تنشئتهم على الدِّين، أو جمع المال من غير حِلِّه لهم، أو ترك شيء من أنواع الطَّاعات أو انْتِهَاكِ محظورٍ من أجلهم.

والدَّجَّال ما من نبيٍّ إلا حذَّرَ أمَّته منه، وهو أعظمُ إنسان هيئةً وأشدّه وثاقاً، مجموعة الآن يداه إلى عنقه وما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، وإذا أذن الله بخروجه حَلَّ وثاقه وسعى في الأرض، فيهرب النَّاس إلى الجبال خوفاً منه. ومن فتنته: ادِّعاء الرُّبوبيَّة، فيكذِّبه بعض النَّاس، فيأمر السَّماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويَمُرُّ بالخَرِبة فيقول لها: أَخْرجي كنوزَك، فتتبعه كنوزها، ويضرب الرَّجل بالسَّيف فيقطعه قطعتين، ثم يدعوه فيقبل إليه، فإذا رأى ذلك بعض النَّاس قالوا: أنت ربُّنا، فتنة لهم.

وبعد: أيُّها المسلمون:

فلا عاصم من الفتن؛ إلا من عصم الله، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١]، والدُّعاء سلاح المؤمن في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والنَّبيُّ ﷺ أمر صحابته بالتَّعوُّذ من الفتن، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «**تعوَّذوا**

بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» (رواه مسلم)، وأمر النَّبيُّ ﷺ بالتَّعوُّذ منها في كلِّ صلاة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا تشهَّد أحدُكم؛ فليستعذْ باللهِ من أربع، يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنَّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنةِ المسيح الدَّجَّال**» (رواه مسلم).

والبُعد عن الفتن عصمةٌ منها، ولهذا أمر النَّبيُّ ﷺ بالهرب من الدَّجَّال لمن سمعه. ويعظم قدر العبد بالبعد عنها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ستكون فتن: القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي، من تشرَّف لها تَسْتَشْرِفْهُ، فمن وجد ملجأً أو مَعَاذاً** ـ أي: هرباً منها ـ **فَلْيَعُذْ به**» (متفق عليه) قال ابن حجر رحمه الله: «في الحديث: التَّحذيرُ من الفتنة، والحثُّ على اجتناب الدُّخول فيها، وأنَّ شرَّها يكون بحسب التَّعلُّق بها».

والعلمُ الشَّرعي؛ حصنٌ مكين، يَدْرَأُ عن الجوارح أعمال الشَّهوات، وعن القلب اعتقاد الشُّبهات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي قد تركت فيكم شيئين، لن تضلُّوا بعدَهما: كتابَ الله، وسُنَّتي**» (رواه الحاكم).

والصَّلواتُ الخمس جماعةً في بيوت الله تحفظ العبد من المكاره والشُّرور، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والرُّفقة الصَّالحة تدني من الخير وتباعد عن الشَّرِّ، وصُحْبةُ السُّوء ندامة تجمِّل القبيح وتَؤُزُّه إليه. والحياةُ مَعْبَرٌ، والموفَّقُ من صانه الله من الفتن والمحن، ثم لقيَه وهو راضٍ عنه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

فتنةُ الشُّبهات تُدْفَعُ باليقين، وفتنةُ الشَّهوات تُدْرَأُ بالصَّبر، والمسلم الحقُّ هو الذي يُصلح النَّاسَ يوم فتنتهم، ويبيِّن خطرَها، ويوصي بالاعتصام بحبل الله المتين. وأنواع العبادة ـ من الدَّعوة إلى الله وغيرِها ـ في أوقات الفتن يَعْظُم أجرُها عند الله، قال النَّبيُّ ﷺ: «**العبادةُ في الهرج؛ كهجرةٍ إليَّ**» (رواه مسلم). وعلى المرء ألا يغترَّ بكثرة الهالكين، وألا يستوحشَ من قلَّة السَّالكين، ولا ينظرَ إلى كثرة من هلك، وإنَّما ينظرُ إلى النَّاجي كيف نجى لينجو.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

النَّجاة من الفتـن

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أسبغ الله على الخلق نعماً ظاهرةً وباطنة، واصطفى نعمةً هي أنفس النِّعم وأعلاها، منحها لمن شاء من عباده، وحَرَم منها الكثيرَ وهم يتمنّونها، قال سبحانه: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، وهي أكثر النِّعم عرضة للزَّوال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ القلوب بين أُصبعين من أصابع الله، يُقَلِّبها كما يشاء**» (رواه الترمذي)، وكان يعقوب عليه السلام يوصي أولاده بالحفاظ عليها ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو ربَّه بأن يديمها، ويقول: «**يا مقلِّب القلوب! ثَبِّتْ قلبي على دينك**» (رواه أحمد)، ومِنْ دعاء الرَّاسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وكلُّ مسلمٍ مأمورٌ بالدُّعاء في صلاته بالحفاظ

عليها؛ إِذْ بها سعادة الدَّارين، قال سبحانه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفةَ عين»، والله أمر عباده أن يسألوه الثَّباتَ على الهداية «**يا عبادي! كلُّكم ضالٌّ إلا من هديتُه؛ فاستهدوني أَهْدِكُم**» (رواه مسلم).

والفتن كثيرة وقد تُزيل تلك النِّعمة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي لأرى مواقعَ الفتنِ خلال بيوتكم كمواقع القطر**» (متفق عليه)، وهي تزعزع قلوب العبَّاد إلا من عصم الله، ومن استشرف إليها أخذته، والحيُّ لا تُؤْمَنُ عليه فتنة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الفتنُ على القلوب، كالحصير عوداً عوداً، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سوداء**» (رواه مسلم)، وقد تُخرج المرءَ عن دينه في يومه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع اللَّيل المظلم، يُصبح الرَّجُل مؤمناً ويُمسي كافراً، أو يُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيع دينَه بعرضٍ من الدُّنيا**» (رواه مسلم) قال النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسانُ في اليوم الواحد هذا الانقلاب»، وكان النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذُ من الفتن في صلاته يقول: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات**» (متفق عليه)، وقد أَمَر أمَّته بالتَّعوُّذ منها فقال: «**تعوَّذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن**» (رواه مسلم).

وفتنة النِّساء إن لم تُحذرْ زلَّت بالرَّجُلِ القدم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النِّساء**» (متفق عليه)، ولمَّا كانت الفتنة بهنَّ عظيمة؛ أمرهنَّ الله بالقرار في البيوت وعدم الخروج منها إلا لضرورة أو حاجة، فإن مسَّت الحاجة إلى الخروج فلَيكُنْ على تبذُّلٍ وتستُّرٍ تامٍّ، وبُعدٍ عن الاختلاط بالرِّجال، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أن تمكينَ النِّساءِ من اختلاطهنَّ بالرِّجال؛ أصلُ كلِّ بليَّة وشرّ، وهو أعظم أسباب نزول العقوبات العامَّة».

والمال فتنة هذه الأمَّة، قد يُدخِل المرءَ في الدِّين وقد يُخرجه منه،

والعدل أن يُؤخذَ من حلِّه، ويجعلَ في اليد لا في القلب، وينتفعَ به في مرضات الله.

وتتبُّعُ المتشابه من الأحكام والأخذُ بالرُّخص في الحلال والحرام، والتَّحايلُ لارتكاب المحرم؛ فسادٌ للدِّين، قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥] قال سليمان التَّيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أخذتَ برخصة كلِّ عالم؛ اجتمع فيك الشَّرُّ كلُّه».

والتَّهاون بصغائر الذُّنوب؛ هلاكٌ للعبد، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إيَّاكم ومُحَقَّراتِ الذُّنوب، فإنَّهنَّ يجتمعن على الرَّجل حتى يُهلكْنَه**» (رواه أحمد)، والبعد عن الله بالعصيان، والتَّقصيرُ في الواجبات؛ من أسباب الغواية، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، والعُجب بالعمل والنَّفسِ؛ معصيةٌ قد يُعاقَب عليها بالتَّحوُّل عن الثَّبات، يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استعان بالله وحده في العصمة من الزلَّل فعُصم ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

والاستعجال في رؤية ثمرة الخير؛ يُورِثُ الفتور ثمَّ الانقطاع، والواجب: الإخلاص ومداومة العمل، واليأس من إصلاح مجتمع لظهور الخطايا فيه؛ عجزٌ في النَّفس، بُعث النَّبيُّ ﷺ وحولَ الكعبة أصنامٌ وأوثان، فما صدَّه ذلك عن نصح قومه.

ومع كثرة الفتن وتغيُّرِ الأحوال تشتد الحاجة إلى الثَّبات على الدِّين، وقد ذمَّ اللهُ من يَضْعُف تمسُّكه بالدِّين عند فتنةٍ ظهرت، أو معصية فَشَتْ، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وتلاوة كتاب الله، والإكثارُ من ذكره؛ ثباتٌ على الدِّين، قال

جلَّ شأنه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وَمَنْ أكثر مِنَ الطَّاعات وابتعد عن السَّيِّئات؛ كان أشدَّ ثباتاً، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]، والمداومةُ على العمل الصَّالح يقوّي الإيمان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله: ما دُووِمَ عليه وإن قلّ**» (رواه مسلم) قال النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويثمر القليل الدَّائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة».

ومجالسة العلماء تُحيي القلوب وتحثّ على العمل، والصَّاحب الصَّالح معينٌ على الخير، إنْ ضَعُف صاحبُه عن الطَّاعة قوَّاه، وإن زلَّت قدمُه لمحرَّم نهاه، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وفي قَصَص الأنبياء رفعٌ للهمم ووثوقٌ باليقين، قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

والرِّضا بالمكتوب من المصائب والمتاعب؛ ركنٌ من الدِّين، به الطُّمأنينةُ والسُّرور، والمؤمن أَصبرُ النَّاس على البلاء، وأثبتهم على الدِّين في الشَّدائد، وأرضاهم نفساً في المُلِمَّات.

والقناعة بما قُسِمَ حُسْنُ ظنٍّ بالله؛ يورث التَّعلُّقَ به، والتَّمسُّكَ بدينه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قد أفلح من أسلم، ورُزِقَ كَفَافاً، وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاه**» (رواه مسلم)، والإيمان يَخْلَق كما يَخلَق الثَّوب، وتجديده بالتَّوبة في كل وقتٍ وحين.

ورجاءُ ما عند الله من النَّعيم؛ يَجمح النَّفسَ عن اتِّباع الهوى، والدُّعاء أمرٌ لازمٌ على المسلم، وصفاءُ التَّوحيد وتعليمُه أعظم سبب في الثَّبات على الدِّين، أصحابُ الكهف لمَّا قاموا ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ قال الله عنهم: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: ١٤].

والإكثار من نوافل العبادات ـ من الصَّلاة والصَّدقةِ والعمرةِ والإحسانِ إلى المحاويج ـ؛ يحفظ من الفتن، في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يَبْطِش بها، ورجلَه التي يمشي بها**» (رواه البخاري).

ومن حفظ جوارحه؛ حَسُنَت خاتمتُه على الدِّين، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهرُه وَصَلَح باطنُه، ما سُمِع بهذا ولا عُلِم به، وإنَّما تكون لمن كان له فسادُ العقل، أو إصرارٌ على الكبائر، وإقدامٌ على العظائم»، ومن تمسَّك بالدِّين؛ ثبَّته الله في مُدْلَهِمَّات الأمور.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

مجاهدةُ النَّفس عن الهوى، ومنعُها من الالتفات إلى الصَّوارف عن الهُدى؛ من الثَّبات على الدِّين، ولا تتم سلامةُ القلب مطلقاً حتى يَسْلم من شركٍ يُناقض التَّوحيد، وبدعةٍ تُنافي السُّنَّة، وشهوةٍ تُخالف الأمر، وغفلةٍ تناقض الذِّكر، وهوىً يناقض الإخلاص.

والسَّعيد مَنْ هداه الله وثبَّته على الدِّين حتى الممات؛ فأخلصوا لله أعمالكم، واسألوا ربَّكم الثَّباتَ على دينه، واستعيذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

حكم المظاهرات

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

لقد مَنَّ الله على عباده بدينٍ متينٍ خاطب العقل والقلب، وأَصَّل القواعد والأحكام، وقرَّر أصول التَّعامل مع البسطاء والعظماء، وأهل البطالة والأثرياء، والفقراء والأغنياء، شامل للكلِّيَّات والجزئيَّات، والاعتقادات والعبادات، والسُّلوك والآداب، قال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولكماله حسد الأعداءُ أهلَ الإسلام تمسُّكَهم به، قال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فَيَسْعَوْنَ إلى إقصاء أهله عنه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّف: ٨].

ومن أعظم مداخل أهل الباطل على المسلمين: زعزعةُ الأمن في بلدانهم، فإذا فقدوه انقطعت السُّبل، وتفرَّقت الكلمة، وحَلَّ الفقر، وانتشرت الأسقام، وسُلِبَت الأموال والممتلكات، وهُتكت الأعراض، وسفكت الدِّماء، فيعمّ الجهل والخوف، وينشغل النَّاس عن دينهم، ويظهر أهل الرَّيب والشَّكِّ، وأرباب البغي والإفساد.

وكلَّما ابتعد النَّاس عن زمن النُّبوَّة؛ ظهرت الفتن والمحن، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ بين أيديكم فتناً كقطع اللَّيل المظلم، يصبح الرَّجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً**» (رواه أحمد).

والثَّبات في مدلهمَّات الحوادث والأزمان عزيز، ولا تظهر فتنة إلا ويسقط فيها رجال، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وقد أمر النَّبيُّ ﷺ أمَّته بالتَّعوُّذ من الفتن قبل ظهورها وعند نزولها، فقال: «**تعوَّذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن**» (رواه مسلم)، ومِن دوائها عدم الخوض فيها، وترك الأمر لأهله من الوُلاة والعلماء لعرضها على الكتاب والسُّنَّة، قال جلّ شأنه: ﴿**وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ**﴾ [النِّساء: ٨٣]، والفتنة إذا أقبلت عرفها العلماء، فإذا أدبرت عرفها العامَّة، ولكن بعد الفوات.

والعلماء ورثة الأنبياء، ولا غنى للحاكم والمحكوم عنهم في السَّرَّاء والضَّرَّاء والشِّدَّة والرَّخاء، فالله أمر بسؤالهم في جميع الأحوال، قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: ٤٣]، وهم بأمر الله أمانٌ للمجتمع من الفوضى والتَّطاول على الحاكم، وهم النَّاصحون لولي الأمر، المذكِّرون له بما يرضي الله، قال سهل بن عبد الله رحمه الله:

«لا يزال النَّاس بخيرٍ ما عظَّموا السُّلطان والعلماء، فإن عظَّموا هذين؛ أصلح الله دنياهم وأخراهم».

ومِنْ أُسُس هذا الدِّين: النَّصيحة لكلِّ فَرْدٍ فيه وإن علا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الدِّين النَّصيحة،** قلنا: لمن؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم**» (رواه مسلم)، وقد سلك السَّلف السَّبيل الأقوم في النُّصح للحاكم على ما جاء به الكتاب والسُّنَّة من غير تَشْهِيرٍ ولا تنقُّص، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مخاطبة الرُّؤساء بالقول اللَّيِّن أمرٌ مطلوبٌ شرعاً وعقلاً وعرفاً، ولذلك تجد النَّاس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النَّبيُّ ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل».

وإذا اجتمعت القلوب على الحقِّ والنُّصح؛ قويت في العبادة وحسنت بينهم المعاملة، وحفظ الله المجتمع من الشُّرور، وكانت يد الله معهم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يد الله مع الجماعة**» (رواه الترمذي). ومن أوائل أعمال النَّبيِّ ﷺ حين قدم المدينة: مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وتوحيد صفِّهم؛ لِتَقْوى شوكةُ المسلمين، ويعيشَ الجميعُ في أمنٍ واستقرار.

ومِنْ تعظيم الإسلام للجماعة: أنه أَمَرَ بقتل من أراد تفريقَها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّه ستكون هَنَّاتٌ وهَنَّات** ـ أي: فتن ومحن ـ، **فمن أراد أن يُفرِّق أمرَ هذه الأمَّة وهي جميعٌ؛ فاضربوه بالسَّيف كائناً من كان**» (رواه مسلم).

ولا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمعٍ وطاعة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا لم يكن إمام يقوم بأمر النَّاس؛ فهي الفتنة».

وقد أدرك الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذلك؛ فلمَّا توفِّي النَّبيُّ ﷺ سجَّاه الصَّحابة ـ أي: غطّوه ـ، ثمَّ ذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة له، ولمَّا

بايعوا أبا بكرٍ عادوا إلى تجهيز النَّبيِّ ﷺ ـ من غسله وتكفينه ودفنه ـ، فقدَّموا اختيارَ الخليفة على دفنه ﷺ؛ لعلمهم أنَّ المجتمعَ لا يصلح ـ ولو ساعة ـ بلا والٍ، قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا بدّ للنَّاس من إمارة برَّةٍ كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرَّة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يُؤَمَّن بها السَّبيل، ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء».

ومِنْ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة: طاعةُ وليِّ الأمر بالمعروف ـ وإن كان ظالماً ـ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك؛ فاسمع وأطع**» (رواه مسلم). قال الإمام الطَّحاويُّ رحمه الله: «ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصَّلاح والمعافاة».

ومَنْ رأى من وَالِيهِ تقصيراً أو ظلماً؛ فهو مأمورٌ بالصَّبر على بغيه، منهيٌّ عن معصيته والخروج عليه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ كَرِهَ من أميره شيئاً؛ فليصبر عليه، فإنَّه ليس أحدٌ من النَّاس خرج من السُّلطان شِبْراً، فمات عليه، إلا مات ميتةً جاهلية** ـ أي: كأنَّه لم يدرك الإسلام ـ» (رواه مسلم)، وعلى هذا النَّهج العظيم سار سلف هذه الأمَّة؛ فكان الصَّحابة وكبار التَّابعين ـ كابن عمر وابن سيرين وابن المسيَّب ـ يصلُّون خلف الحَجَّاج ـ مع عظيم ظلمه، وكثرة قتله وبطشه ـ ويدعون له، قال الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ الحَجَّاج عذابُ الله؛ فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتَّضرُّع».

والإسلام جاء بِدَرْءِ كلِّ مفسدةٍ عن الأفراد والشُّعوب؛ ليبقى الجميع يَداً واحدة متلاحمة مطمئنَّة، نابذين كلَّ فُرْقَةٍ واختلاف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «وما تكرهون في الجماعة خيرٌ ممَّا تحبُّون في الفُرقة»، وأخذ بهذه القاعدة علماء السُّنَّة والجماعة؛ فاجتنبوا الشُّذوذ والخلاف

والفُرقة، ونَهَوْا عن كلِّ وسيلة تدعو إلى منابذة السُّلطان أو الخروج عليه، والصَّحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تحريم هذا، وذلك حين حدوث أوَّل خروجٍ على الإمام في الإسلام، لمَّا قدم نفرٌ من أهل مصر والبصرة والكوفة ونزلوا على مشارف المدينة لحصار عثمان بن عفَّان رضي الله عنه في داره، طالبين عزل نفسه من الخلافة أو قتله، قال ابن كثير رحمه الله: «فكلُّ النَّاس أَبَى دخولهم ـ أي: إلى المدينة ـ، ونهى عنه».

فكلُّ تظاهرٍ سواء كان بسلاح أو خلا من سلاح؛ فهو محرَّم في ديننا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أهل العلم والدِّين والفضل لا يرخِّصون لأحدٍ فيما نهى الله عنه ـ من معصية وُلاة الأمور وغشِّهم والخروجِ عليهم بوجه من الوجوه ـ كما قد عُرِف من عادات أهل السُّنَّة والدِّين قديماً وحديثاً»، وأجمع العلماء على تحريم الخروج عليهم ـ وإن بَدَرَ منهم ظلم أو قصور ـ، قال النَّوويُّ رحمه الله: «الخروج عليهم وقتالهم حرام بإجماع المسلمين ـ وإن كانوا فسقة ظالمين ـ».

ولم يخرج أحد على إمامه إلا ندم، وكانت مفسدةُ خروجه أعظمَ من الصَّبر عليه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أهل السُّنَّة يأمرون بالصَّبر على جَوْرِ الأئمَّة وترك قتالهم... لأنَّ الفساد النَّاشئَ من القتال في الفتنة أعظم من فساد ظلم ولاة الأمر... وقَلَّ مَنْ خرج على إمام ذي سلطان؛ إلا كان ما تولَّد على فعله من الشَّرِّ أعظم ممَّا تولَّد من الخير».

وحدث من الخليفة المأمونِ أمورٌ في الدِّين جسام ـ كنفي صفات الله، والقولِ بخلق القرآن ـ وعذَّب من أنكر ما دعا إليه، فَسَجَن وجَلَد إمامَ أهلِ السُّنَّة أحمد بن حنبل، ولم يأمر أحمدُ بنُ حنبل ولا كبارُ أهل العلم في عصره ـ كإسحاقِ بنِ راهويه ومحمدِ بنِ نوح ولا غيرِهم ـ بالخروج عليه.

وفي حشد النَّاس والتَّنادي بجمعهم والتَّكالُبِ ضدَّ إمامهم؛ شتاتٌ

لشمل الأمة، وتفريق لكلمتها، وإثارة للفتن والفساد، ويوقعها في خنوع وكروب، وجوعٍ وحروب، ونَهْبٍ وسفك دماءٍ، وتحقيقٍ لمآرب الأعداء، ومَنْ يتحمَّلُ إثمَ سفك الدِّماء، وقتلِ الذَّراري، وترمّلِ النِّساء، وهتكِ الأعراض، وسلبِ الأموال، ونَهْبِ الخيرات؟! قال الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاجتماع الذي فيه نقصٌ كبيرٌ خيرٌ من الافتراق الذي يظنّ فيه خيرٌ كثير».

والقتالُ وسفكُ الدِّماء بين الأمَّة هو ما خَشِيَه النَّبيُّ ﷺ عليها، فقال: «**لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» (متفق عليه). فكلُّ تظاهرٍ على الحاكم؛ فهو محرّم ـ وإن أذنت به أنظمة وضعية لمخالفتها لديننا ـ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما يحصل بسبب قتالهم والخروجِ عليهم، أضعافُ أضعافُ ما هم عليه».

ولمَّا كانت هذه البلاد ـ بحمد الله ـ محكمةً لشرع الله، مستنيرةً بآراء العلماء، عمَّ في أرجائها بفضل الله الأمن والرَّخاء، وخابت فيها ظنون الأعداء، وتلاحمت فيها يد المحكوم مع الحاكم.

أيُّها المسلمون:

دينُ الإسلام دينُ اعتدالٍ وأمان، موافقٌ للفطر والعقول، قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ولا ينفع للشُّعوب سوى الإسلام، فبه الأمان والسَّكينة، وهو وقاية من الفُرقة والاختلاف، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وإذا سلكت الشُّعوب منهج أهل السُّنَّة والجماعة في معتقداتها مع خالقها ومعاملاتها مع الخلق؛ اطمأنَّ الرَّاعي والرَّعيَّة، فلا خروجَ ولا فوضى ولا اضطراب. وإذا ابتعد النَّاس عن الدِّين؛ دخلت الأهواء في النُّفوس واختلفت الآراء، فتفرَّقت الكلمة وعمَّ البلاء.

وفي زمن الفتن يتأكَّد العلمُ الشَّرعي وغَرْسُ العقيدة الصَّحيحة في نفوس النَّاشئة والشَّباب والكهول؛ لتكون درعاً حصيناً في وجه شُبَه أهل الباطل وشهوات الأعداء.

وممَّا يديم نعمةَ الأمن والرَّخاء: الإكثارُ من أنواع الطَّاعات، وأحبّ عبادة إلى الله: إفراده بالعبادة ونَبْذ الإشراك به ـ من الاستغاثة بالأموات ودعائهم، والطواف على الأضرحة والقبور ـ، ومجانبة أنواع المعاصي، قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النُّور: ٥٥]، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ من أُسُس إصلاح المجتمع، وترسيخ هيبةِ السُّلطان في رعيته.

وممَّا يُنزِل السَّكينةَ على الشُّعوب ويجعلها تَنْبُذ الفوضى والاضطراب: إكثار الجميع من تلاوة كتاب الله العظيم، ونشر ذلك في المساجد ودور العلم في المدن والقرى للصِّغار والكبار؛ فهو كتابٌ مباركٌ ينشر الخير، ويمنع الشَّرَّ، ويطمئن النُّفوس، قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وسعادة الجميع في التَّمسُّك بالدِّين وتحكيم الشَّرع.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّساء: ٥٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيها المسلمون:

الكلمة أمانةٌ يُسأل عنها العبد يوم القيامة، وأكثر ما يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار على وجوههم حصائدُ ألسنتهم، والصِّدق في الحديث ونقله من سِيمَا العقلاء، والإسلام أَمَر ألا يتحدَّث المرء إلا بما فيه نفع أو يَصْمُت، فقال ﷺ: «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر؛ فَلْيَقُلْ خيراً أو ليَصْمُتْ**» (متفق عليه). ومن صفات مرضى القلوب: الإرجاف والكذِبُ في نقل الأحداث أو تحريفُها أو المبالغةُ فيها بغياً وإفساداً، قال جلّ شأنه: ﴿**وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ**﴾ [النِّساء: ٨٣]، وقد أمر الله بالتَّثبُّت في أخبار الفسَّاق والمجاهيل فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

والمرء منهيٌّ أن يتحدَّثَ بكلِّ ما سمع، قال ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكلِّ ما سمع**» (رواه مسلم). وعلى المسلم ألا يكون أُذُناً لغيره؛ بل يكون حصيفاً لا يخدع بأقوال الماكرين ودعوة المفسدين، وأن يحفظ دينه ومعتقده من سموم الكائدين.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

خيـرُ يومٍ في العُمُر
(التَّوبة)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّـا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خَلق اللهُ الإنسانَ للابتلاء والتَّمحيص، والشَّيطانُ ملازمٌ له لغوايته وإضلاله، والنَّفس الأمَّارة بالسُّوء تؤزُّه إلى ما تهوى ـ مِنْ تفريطٍ في واجبٍ، أو وقوعٍ في محذورٍ ـ، والله يعاقب على السَّيِّئة بسيِّئةٍ أخرى، وتتضاعفُ عقوبةُ السَّيِّئات بعضِها ببعض حتى يستحكم الهلاك، والمعاصي توجب حُزناً وفسادَ حالٍ، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعافُ ما يعلمه منها، قال النَّبيُّ ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشْرِكَ بك وأنا أعلم، وأستغفرك لِمَا لا أعلم**» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

وبرحمةٍ من الله شرع لخلقه عبادةً من أجلِّ العبادات، تكفِّرُ عنهم سيِّئاتهم، وترفعُ درجاتِهم، وتستوجبُ رضا الله عنهم، ولا يكملُ عبدٌ ولا يحصل له كمالُ قربٍ من الله إلا بها، ومن لم يؤدِّ تلك العبادةَ كان ظالماً لنفسه، قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

سلوكها رفعة وسعادة، والله سبحانه يهبها لمن يشاء من عباده، قال جلَّ وعلا: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: ١٥]، وهي من مقتضيات ربوبيَّته لا يملكها أحد من البشر ولو كان من أقربهم إليه سبحانه، قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

والرُّجوع إلى الله ليس نقصاً؛ بل هو من أفضل الكمالات، وهو حقيقة دين الإسلام، والدِّين كلُّه داخلٌ في مسمَّى التَّوبة، وهي غايةُ كلِّ مؤمنٍ، وحاجة العبد إليها في نهايته وبدايته، والتَّوبة الصَّادقة أفضلُ وأحَبُّ إلى الله من كثير من التَّطوُّعات، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكثرُ النَّاس لا يعرفون قدر التَّوبة ولا حقيقتَها»، وَمِنْ كرمه جلَّ وعلا: أنَّه لم يجعل لهذه العبادة زماناً ولا مكاناً لا تقبل إلا فيه؛ بل أداؤها مقبولٌ في كلِّ موطنٍ وَآنٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله يبسط يده باللَّيل ليتوب مُسِيءُ النَّهار، ويبسطُ يده بالنَّهار ليتوب مُسِيءُ اللَّيل، حتَّى تطلعَ الشَّمسُ من مغربها**» (رواه مسلم).

والله سبحانه سمَّى نفسه التَّواب؛ ليذكِّر العبادَ للإقبال عليه، وهو يحبُّ العائدَ إليه، ويفرح سبحانه بتوبة التَّائب، ويريد جلَّ وعلا فضلاً منه أن يتوب على عباده، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، والملائكة تدعوا لمن تاب بالمغفرة والنَّجاة من النَّار ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

والأنبياء والرُّسل تذلَّلوا لله بها؛ لمزيدِ العبوديَّة له، وكمالِ صلاح القلب، آدمُ عليه السلام أَكَلَ من الشَّجرة، فَتَلَقَّى كَلِمَاتٍ من ربِّه فتاب عليه، وموسى عليه السلام لما رأى الجبل دكّاً ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وداود عليه السلام فتنه الله بحُكْم ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، ونبيُّنا ﷺ قال: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] ـ أي: لله توبتي ـ، وتضرَّع الأنبياء إلى ربِّهم أن يتقبلَّ منهم تلك العبادة، فقال الخليل وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو في المجلس الواحد مئة مرَّة «**ربِّ اغفر لي وَتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّاب الرَّحيم**» (رواه أبو داود).

والمجتمع لا يسعد إلا بها، فدعت الرُّسلُ أقوامَهم إليها، قال هود عليه السلام لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]، وقال صالح عليه السلام: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٦١]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٩٠]، وقال الله لهذه الأمَّة: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] وأنزل الله آيةً مدنِيَّةً خاطب بها أهلَ الإيمانِ وخيارَ الخلقِ أنْ يتوبوا، مع إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم؛ إذْ لا فلاح إلا بها، فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النساء: ٣١].

بالتَّوبة تتنزَّل أرزاقٌ من السَّماء، قال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]، وتَمنحُ قوَّةً في البدن، قال جلَّ وعلا: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وبها يسعدُ الإنسانُ في الدُّنيا، ويُمْنَحُ فيها متاعاً حسناً ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

وخيرُ يومٍ في عُمُر العبد: يومٌ يتوب فيه إلى الله، قال النَّبيُّ ﷺ لكعب بن مالك رضي الله عنه: «**أَبْشِرْ بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أُمُّك**»

(متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ يفرح بتوبة التَّائب؛ لمَّا تاب الله على كعبٍ استنار وجهُ رسولِ الله ﷺ كأنَّ وجهَهُ قطعةُ قمر، وكان الصَّحابة ﷺ يُهنِّئُ بعضُهم بعضاً بها، قال كعب ﵁: «لمَّا أنزل الله توبتي، تلقَّاني النَّاس فوجاً فوجاً يهنِّئونني بالتَّوبة، ويقولون: لتَهْنَئك توبةُ الله عليك»، وأعطى مَنْ بشَّره بها ثوبين سروراً بها، وكانوا يتصدَّقون فرحاً بالتَّوبة، قال كعب ﵁: «يا رسول الله! إنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله ورسولِه» (رواه البخاري).

التَّوبة تَحُطُّ وزرَ أعظمِ ذنبٍ عند الله، قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال للمنافقين: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ [التوبة: ٧٤]، ودعا المفسدين والسَّارقين والظَّالمين والمرابين إليها وقال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال للمسرفين في العصيان: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

والله لا يعذِّب مستغفراً تائباً، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ولا تُبقي التَّوبةُ للذَّنب أثراً؛ بل تبدِّل السَّيِّئاتِ حسناتٍ، والسَّخَطَ رضاً، وقد يكون حال المرء بعد التَّوبة خيراً منه قبلها، آدمُ ﵇ تاب فاجتباه ربُّه وهداه، وداودُ ﵇ تاب فغفر الله له وقرَّبه إليه؛ قال سبحانه: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [صٓ: ٢٥] قال شيخ الإسلام ﵀: «كان داود ﵇ بعد التَّوبة؛ خيراً منه قبل الخطيئة»، وكان يونسُ ﵇ بعد خروجه من بطنِ الحوت وتوبتِه، أعظمَ درجةً منه قبل ذلك، قال ﷻ: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]، وكعب بن مالك ﵁ بقي ذكره خالداً، يُتلى في المحاريب دهوراً لتوبته.

ففضله سبحانه عظيم، ورحمته وسعت كلَّ شيء، مَنْ أقبل إليه تائباً فرح به وآواه، تاب إليه أفرادٌ فقبل توبتَهم ورفع ذكرَهم، الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه كان يعبد صنماً فأقبل إلى الله؛ فكان من المبشَّرين بالجنَّة، ورجلٌ قتل مئةَ نفسٍ فتاب إلى الله؛ فقبل الله توبته، وأقبل إليه أقوام فتجاوز عنهم جميعاً وبسط عليهم فضلَه، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، وسحرةٌ صدُّوا عن دين الله أوَّلَ النَّهار، ولمَّا سجدوا لله آخرَه، جعلهم من عباده الطَّائعين ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

فَأَقْبِلْ على التَّوَّاب الرَّحيم، وَتَعَلَّقْ بحبل رجاء الكريم، فبابُ الرَّؤوفِ الودودِ مفتوحٌ منذ أن خلق السَّموات والأرض، وهو مَقْصِدُ الآمال ومَحَطُّ الأوزار.

وتوبةُ هذه الأمَّة أيسرُ الأمم توبة، كان من شرط توبةِ قومِ موسى من عبادة العجل: قتلُ أنفسهم تكفيراً لخطيئتهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وهذه الأمَّة خطؤها ونسيانها مغفور، وتوبتها تركُ ذنبٍ وندمٌ وعزمٌ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما من مسلمٍ يذنبُ ذنباً، فيتوضَّأُ ويُحْسنُ الوُضوء، ثمَّ يصلِّي ركعتين ويستغفرُ الله، إلا غُفِر له**» (رواه الترمذي)، وجاء ماعزُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ وقد زنى فقال: يا رسول الله! طَهِّرْنِي، فقال: «**ويحك! ارجع فاستغفر الله وَتُبْ إليه**» (رواه مسلم).

وكلُّ تائبٍ يجد في توبته حُزنَ فراقِ المعصية، والسُّرورُ والفرحُ عَقِبَ التَّوبة على قدر هذا الحزن، فكلَّما كان أقوى وأشد؛ كانت الفرحة

بعد التَّوبة أكمل، فبداية الحزن على فراق الذَّنب دليلٌ على حياة القلب، ومحبَّتِه لفراق المعصية، وما أبهى سرورَ الطَّاعةِ بعد ظُلْمةِ المعصية.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

العبد بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنبٍ منه يحتاج إلى استغفار، ومن بُلي بآفات الذُّنوب؛ وجب عليه منعُ وصولها إليه، والتَّوبةُ من ترك الواجبات المأمورِ بها ـ كدعوة الآخرين ونصحهم ـ أشدُّ من فعل السَّيِّئات، وتركُ الذَّنب أيسرُ من طلب التَّوبة، ودواءُ الذُّنوب: الاستغفارُ والتَّوبة.

ومن علامة قبول التَّوبة: كراهةُ العبدِ المعصيةَ واستقباحُه لها، وأن يبقى خائفاً من خطيئةٍ لا يأمنُ مكرَ اللهِ منها طرفَةَ عين، ومن تمام التَّوبة: عملٌ صالحٌ بعدها، قال سبحانه: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١]، ومن لم يتب من معصيته؛ ندم إذا أقبل على الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

ويجب أن تكون التَّوبةُ خوفاً من الله وتعظيماً له وَلِحُرُمَاتِهِ، لا خوفَ زوالِ دنيا عنه، قال علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ إلا ربَّه،

ولا يخافنَّ إلا ذنبه»، وفرح العبد بالمعصية جهلٌ بقدر مَنْ عصاه وبسوء عاقبتها وعِظَمِ خطرها، ومن خذلان الله للعبد: أن يُخلِّي بينه وبين ذنبه، ولا يوفِّقَه للتَّوبة.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

خطبة الاستسقاء

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واسألوه في السَّرَّاء والضَّرَّاء.

أيُّها المسلمون:

الخلق فقراءُ إلى الله، لا غنى لهم عنه في جميع أحوالهم، يلجئون إليه في الشِّدَّة والرَّخاء، وهو سبحانه واسع حميد، يعطي من سأله بسخاءٍ مديد، يداه مبسوطتان بالإنفاق، سحَّاءُ اللَّيل والنَّهار، ويكشف كلَّ كربٍ شديد، نجَّا ذا النُّونِ من لُججِ البحار وظَلْماءِ القفار.

مرجوٌّ للعطاء والإحسان، سخَّر مع سليمانَ عليه السلام جنوداً من الجنِّ والإنس والطَّير فهم يوزعون، لا راحم ولا واسع للعبيد سواه، رَحِم أيُّوبَ عليه السلام فكشف عنه الضُّرَّ وأكرمه بِجَرَادٍ من ذهب، لا ملجأ ولا مفرَّ منه إلا إليه، استغاث به نبيُّنا ﷺ في بدرٍ فأغاثه بماءٍ وأنزل جنوداً لم يروها، وهو فارجُ الكربات ومغيثُ اللَّهفات، أنزل على نبيِّنا ﷺ أَمْناً

بعد خوفٍ في الغار، وهو العالم بالظَّواهر والنِّيَّات، اصطفى من الملائكة رسلاً ومن النَّاس.

مستوٍ على عرشه، كبيرٌ كَوَّن الأكوان ودبَّر الأزمان، وأغشى اللَّيل على النَّهار، مَلِكٌ عظيمٌ يقول للشَّيء: كن فيكون، صمدٌ قهَّار، إذا تكلَّم بالوحي أخذت السَّمواتِ منه رعدةٌ ورجفةٌ شديدة فَرَقاً من الواحد الأحد، يحبُّ الأوَّاب ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، ويتوب على من تاب؛ فتاب على آدم بعد النِّسيان.

قائمٌ بأرزاق جميع المخلوقات؛ فرَزَقَ الطُّيورَ في علوِّ أوكارها، والحيتانَ في بحارها، وأرزاقه دارَّةٌ من السَّماء والأرض على عباده ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سبأ: ٢٤]، وأغدق عليهم النِّعم والآلاء ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾ [لقمان: ٢٠]، وإذا لجأ العبادُ إليه وشكروه منحهم مزيداً ممَّا نالوه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٧].

قويٌّ متينٌ، قال للسَّموات وللأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، لا يعجزه إنزال القطر من السَّماء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ولكن العباد بخطاياهم يمنعون رزق الله إليهم، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وما يُصاب به العباد من القحط وقِلَّةِ الأرزاق، إنَّما هو ببعض ذنوبٍ وخطايا اقترفوها، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، والبُعْدُ عن الاستقامة يمنع القطر من السَّماء، قال ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، والذي يفوت بارتكاب المعاصي من خَيْرَيِ الدُّنيا والآخرة،

أضعافُ ما يحصل من السُّرور واللَّذَّة بها ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، والألم فيمن أسخط ربَّه ومولاه بتدنيس نفسِه بالذُّنوب والآثام؛ فمَنَع الرِّزق عن نفسه وعن غيره ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والمعاصي والذُّنوب مُهْلِكةٌ للأوطان والشُّعوب ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ - أي: قلَّةُ الأرزاق - فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ [الروم: ٤١]، جالبةٌ للشُّرور والمصائب، بها تزول النِّعم وتَحِلُّ النِّقم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وبسببها تتوالى المحن، وتتداعى الفتن ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وبالمعصية تتعسَّر الأمورُ على العاصي، وتُمحَق بركةُ عمره، ويعودُ حامدُه من النَّاس ذامّاً له، وقد توهَّم بعض النَّاس في أمر الذَّنب إذْ لم يروا تأثيرَه في الحال، وقد يتأخَّرُ تأثيرُه فينسوا أنَّه من الذَّنب، ولم يَعْلَمْ أنَّ عقوبةَ الذَّنب تَحِلُّ ولو بعد حين، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

ومن عمل سوءاً؛ جُزي به، لُعن إبليس وأُهبط من منزل العزِّ بترك سجدة واحدة، وأُخرج آدمُ من الجنَّة بأَكْلةٍ تناولها، ودخلت امرأةٌ النَّارَ في هِرَّة حبستها، وبينما رجلٌ يجرُّ إزاره إذ خُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، وهوانُ الذَّنب على العاصي من علامة الهلاك، وإذا صَغُر الذَّنب في عين العبد؛ عَظُم عند الله، وصغائر الذُّنوب إذا اجتمعت على الرَّجل أهلكته، قال أنس ﵁: «إنَّكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم من الشَّعَر، وإنْ كنَّا لنعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» (رواه البخاري).

والخطيئة إذا خفيت لم تضرَّ إلا صاحبَها، وإذا ظهرت فلم تُغيَّر ضرَّت العامَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأكثرُ ممَّن يعملُه فلم يغيِّروه، إلا عمَّهم الله بعقاب**» (رواه أحمد)، والذَّنب يَعظُم ويَحْدُق خطره إذا جاهر به العبد، أو استصغره، أو فَرِح به، أو تهاون بستر الله عليه، والذَّنب على الذَّنب يُعمي، والمجاهرة به من أعظم الأوزار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلُّ أمَّتي معافى إلا المجاهرون**» (متفق عليه)، والذَّنب لا يقتصر على ارتكاب المناهي فحسب؛ بل إنَّ التَّقصير في أداء الواجب من جملةِ المآثم، ومن لم يتقدمْ بالطَّاعة فقد تأخَّرَ بالتَّقصير، وَمِنْ أعظم الاغترارِ: التَّمادي في الذُّنوب مع رجاءِ العفوِ من غير ندامة.

وربُّنا سبحانه الرَّؤوف اللَّطيف الحليم، إذا أخطأ العبادُ أنذرهم، فيمنع عنهم القطرَ ليلجؤوا إليه بالاستغفار والإنابة، وإذا كَثُر الاستغفار وصدر عن قلوب مطمئنَّة؛ دفع الله عنها ضروباً من النِّقم، وصرف عنها صنوفاً من البلايا والمحن، قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وأنزل عليهم الخير والرَّحمات ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، وبالاستغفار تنال السَّعادة ويُعطى كلُّ ذي فضلٍ فضلَه ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، وبالاستغفار ينهمر المطر من السَّماء فينعم الخلق بالقطر، ويستبشرون بالزُّروع والأبناء والعيون ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

ومع الاستغفار لازِموا التَّوبة، فلا تَظْلِموا خَلْقاً، ولا تمزِّقوا بالغيبة عِرْضاً، وتسامحوا وتراحموا، ولا تشاحنوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا

ولا تقاطعوا، واحفظوا أموالكم من دَنَسِ المحرَّمات والشُّبهات، وأكثروا من الصَّدقة بكسبكم الحلال تُرْزقوا، وأْمُروا بالمعروف تُخصبوا، وَانْهَوْا عن المنكر تُنْصروا، وَاسْعَوْا إلى التماس هبات الوهَّاب، فربّنا كريمٌ ودود، من لجأ إليه أعطاه، ومن قرب منه أدناه، ومن سأله أرضاه.

وما ضاق على العباد أمر ولجئوا إليه إلا رزقهم بغير حساب، ولا عَظُم عليهم خَطْبٌ إلا جعل لهم معه فرجاً قريباً، وأبواب فضله واسعة ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، جعل مع الاستغفار أرزاقاً، ومع الدُّعاء عطاءً، ومع الاستكانة سخاءً، فتوجَّهوا إلى الله مستغفرين راغبين، مؤمِّلين داعين، متوكِّلين راجين، منيبين تائبين؛ تنالوا العطايا من الكريم.

فاللَّهم إنَّا نستغفرك إنَّك كنت غفاراً، فأرسل السَّماء علينا مدراراً، اللَّهُمَّ أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغنيُّ ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللَّهُمَّ أغثْنا، اللَّهُمَّ أغثْنا، اللَّهُمَّ أغثْنا، اللَّهُمَّ سُقْيا رحمة لا سقيا عذابٍ ولا غرق، ولا هدمٍ ولا بلاء، ربَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكوننَّ من الخاسرين، سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

خطبة الاستسقاء
(منافع المطر)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أسبغ اللهُ على عباده النِّعمَ ظاهرةً وباطنة، ويداه سبحانه مبسوطتان بالعطاء، سحَّاءُ اللَّيلِ والنَّهارِ لا تغيضهما نفقةٌ، وتكفَّل برزقِ عبادِه ومخلوقاتِه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

وأنعم الله على عباده نعمةً لا غنى للخلق عنها، وأمر ملائكةً تُسيِّرُ الرِّياحَ وتسوقُ السَّحابَ وتُنْزل القطرَ؛ ليذوق عبادُه تلك النِّعمة ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، وأنزلها من السَّماء ليراها الخلقُ بأبصارهم، فتتحرَّك القلوبُ لطلبها وإلى شكرها بعد نزولها.

وَعَدَ برزقِ العباد، وأنشأ سحاباً ثقالاً كالجبال تَعْصِر الماء ثَجَّاجاً، وشَقَّ أحجاراً يَخْرُجُ رزقُ العباد منها ماءً ينتفعون به ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾، وفجَّر من الصُّخور أنهاراً فضلاً منه على عباده ليستقوا منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤]، وأَسَالَ سبحانه في الأرض أوديةً يراها الخلق؛ ليتحقَّق بها وعدُ الله لهم برزقهم الماء، قال جلَّ وعلا: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧]، وأودع رزقَهم هذا في ينابيعِ الأرض وتحت أقدامهم؛ لتطمئنَّ نفوسُهم بقربهم منه، ثمَّ يخرجه لهم من بين الصُّخور والأتربة عَذْباً زُلالاً، قال سبحانه: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، والله بقدرته وقوته أحكم الكون، وبعلمه وحكمته يُنْزل قطراتِ الماء إلى كلِّ أرضٍ بمقدار، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [الزخرف: ١١] قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: بحَسَبِ الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم، لأنفسكم ولأنعامكم».

وبجبروته تعالى تحدَّى الخلق أن يُنْزِلوا قطرةً من الماء غيرَ ما أنزل، قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩]، ولو غار ماءُ الأرض أو حَبَسه، لم يخرجْه أحد ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]. والسَّحاب ينشأ أمامَ أبصارِ البشر ويَعْجَزون عن إنشاء مثلِه، ولعظيم صنع الله في الماء أقرَّ المشركون بأنَّ الخالق له هو الله، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ومن فضله سبحانه: أن جعل هذا الماء طهوراً يُزَال به دَرَنُ الأجساد، وتتزيَّن به الأرض، وجعله فراتاً تتلذَّذ به الأنفس والأبدان ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، والمطرُ مباركٌ يجتمع من قطراتٍ

معدودةٍ فتسيلُ به الأودية، ومن بركته: أنَّه إذا أصاب الأرض اهتزَّت وربَتْ، وأَخْرَجَتْ من جميعِ ألوان الزُّروع والثِّمار، قال جلَّ شأنه: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ماءٌ واحدٌ ينزل على أرض واحدة، فتظهر جنَّاتٌ من نخيلٍ وأعنابٍ وزروعٍ صنوانٍ وغيرِ صنوان يُفضَّل بعضُها على بعض في الأُكل، منها حلوٌ ومنها مُرٌّ، وفي بعضها داء وفي الآخر دواء، ومن بركاته: إذا نزلت تلك القطراتُ من السَّماء؛ تحرَّكت قلوبُ البشر بالفرح والسُّرور بعد همٍّ وحُزن، وبَشَّرَ بعضُهم بعضاً بها، قال سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ * فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٨ ـ ٥٠].

وإذا أذنب العبادُ حَبَسَ اللهُ عنهم تلك النِّعمةَ أَمَداً؛ ليحاسب كلُّ امرئٍ نفسَهُ ويَعُودَ إلى الله، وإذا أَيِسَ العبادُ من القطر؛ أنزله عليهم، فيُظْهِرُ لهم كرمَه وحلمَه سبحانه، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨].

والسَّماءُ تُفْتَحُ خزائنَها، والأرضُ تُخْرج طيِّباتِها بالتَّوبة والاستغفار، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، والله رحيمٌ يقبل من عاد إليه، وكريمٌ يُعطي من سأله، وهو سبحانه لا يُخيِّبُ رجاء من طلبه، وهو الغنيُّ لا يتعاظمه شيء منحه، وهو الغفور يمحو ذنوب الخطَّائين، وينشر فضله على المستغفرين.

فاللَّهمَّ إنا نستغفرك إنَّك كنت غفَّاراً؛ فَأَرْسِلِ السَّماء علينا مدراراً...

خطبة الاستسقاء
(فوائد التَّوبة والاستغفار)

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واسألوه في السَّرَّاء والضَّرَّاء.

أيُّها المسلمون:

سمَّى الله نفسه بأسماءَ حسنى، واتَّصف سبحانه بصفاتٍ علا، فهو الله الذي لا إله إلا هو السَّميع البصير، يسمع أقوالَ خلقه ويرى أفعالهم، عليمٌ بما في صدورهم، يتوب على التَّائب منهم، وهو سبحانه مطَّلعٌ على أحوالهم، رقيبٌ عليهم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السَّماء ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٩٥]، يُحصِي أعمالَ العباد وينالُ كلٌّ منهم جزاءَ عملِه في هذه الدُّنيا من خيرٍ أو شرٍّ، وَعَدَ سبحانه مَنْ عمل خيراً بقوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]،

وتوعَّد جلّ وعلا من اقترف السَّيِّئات بالمجازاة عليها، قال سبحانه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعافُها يعلمه منها، قال النَّبيُّ ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «**قل: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرُك لِمَا لا أعلم**» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

والله سبحانه يُمْسك بعضَ نِعَمِه عن عباده ـ من حبس القطر، وجدب الدِّيار، ومَحْلِ الأرض ـ؛ ليستكينوا لخالقهم، ويرجعوا إليه من ذنوب اقترفوها، أو تقصيرٍ في واجبات لم يؤدُّوها.

وإظهار التَّوبةِ والإنابةِ إلى الله؛ أوجبُ وألزم حال فقرِ العباد وحاجتهم إلى المطر، أو استنزالِ نعمة، أو دفعِ عقوبة، أو رفعِها، والرُّجوعُ إلى الله في الشِّدَّة والرَّخاء من أفضل الكمالات، فيه تُجلبُ الأرزاق، ويدنو المرء من الله، ويُخَلِّصُ العبدُ نفسَه من الظُّلم، قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

والأنبياء والرُّسل تذلَّلوا لله بالرُّجوع إليه، آدم عليه السلام أكل من الشَّجرة؛ فتلقَّى كلماتٍ من ربِّه فتاب عليه، وموسى عليه السلام لما رأى الجبل دكّاً؛ خرَّ صَعِقاً، وقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وداود عليه السلام فتنه الله بحكم بين خصمين؛ ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، ونبيُّنا ﷺ قال: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦] ـ أي: إلى الله أدعو وإليه أتوب ـ، وكان ﷺ يدعو في المجلس الواحد مئة مرة: «**ربِّ اغفرْ لي وتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّاب الرَّحيم**» (رواه أبو داود)، والملائكة تدعو لمن تاب بالمغفرة والنَّجاة من النَّار ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ومن فَضْلِ الله: أنَّه لم يجعل لعبادةِ التَّوبة زماناً ولا مكاناً

مخصوصاً؛ بل أداؤها مقبول في كلِّ مكانٍ وحِينٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله يبسط يده باللَّيل ليتوبَ مسيءُ النَّهار، ويبسط يده بالنَّهار ليتوبَ مسيءُ اللَّيل، حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ من مغربها**» (رواه مسلم).

التَّوبة تَحُطُّ أعظمَ ذنبٍ عند الله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وتُكَفِّر خطايا المسرفين في العصيان، والله لا يعذِّب مستغفراً تائباً، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وبالاستغفار تتفتَّح السَّماء بالأرزاق، قال سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]، وتُمنح قوَّة في البدن، قال جلّ وعلا: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وبه يكثر المال والولد، قال سبحانه: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٢]، وبه يَسْعَدُ الإنسان في الدُّنيا ويُمتَّع فيها متاعاً حسناً ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، وخير يوم على العبد في دهره: يومٌ يتوب فيه إلى الله ويتوبُ الله عليه، قال النَّبيُّ ﷺ لكعب بن مالك رضي الله عنه لمَّا نزلت توبته في القرآن: «**أبشر بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك**» (متفق عليه).

ومن علامة قبول التَّوبة: كراهةُ العبدِ المعصيةَ واستقباحَه لها، وأن يظلَّ خائفاً من خطيئته لا يأمن من مكر الله طرفةَ عين، ومن تمام التَّوبة: عملٌ صالحٌ بعدها، قال سبحانه: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١].

فأقبلوا على التَّوَّاب الرَّحيم بتوبةٍ صادقة، وأَحْسِنوا ظَنَّكم به، واسألوا ربَّكم الكريم الغيث؛ فبابه مفتوح، وفضله عظيم، ورحمته وسعت كلَّ شيء، من أقبل إليه تائباً؛ فرح بتوبته وآواه، ومن استغفره؛

غَفَر له، ومن طلب إنزال المطر من الله وحده بقلبٍ منكسرٍ ودعاءٍ صادقٍ وكسبٍ حلال؛ فقد استجمع شروطَ إجابةِ الدُّعاء.

فاللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك إنَّك كنت غفَّاراً، فأرسل السَّماء علينا مدراراً . . .

فهرس الكتاب